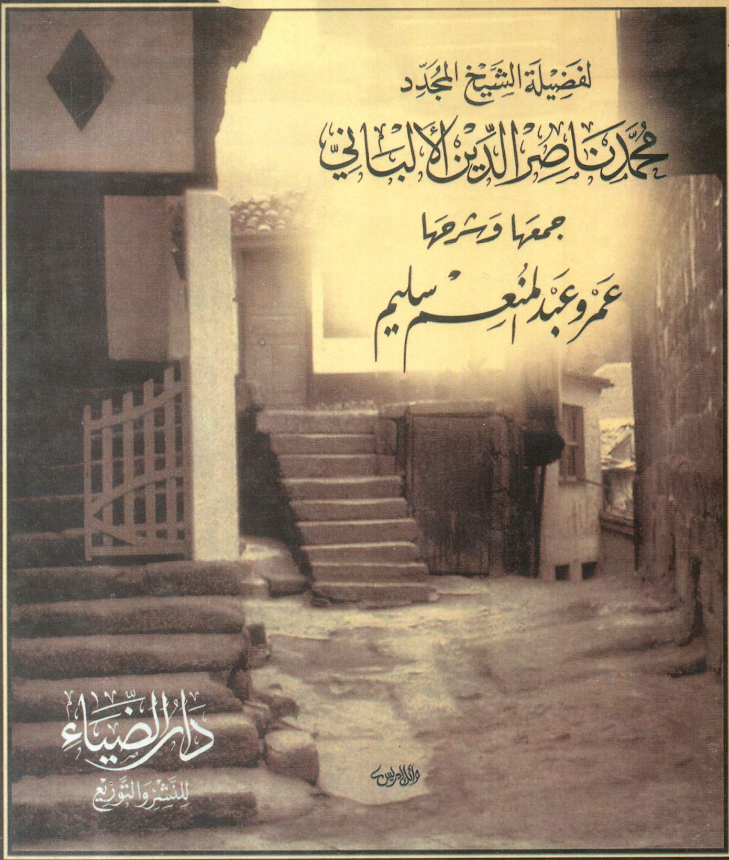
السلفية

حقيقتها - أصولها - موقفها من المذاهب
شبهة حولها

أربع رسائل علمية في:

- أصول الدعوة السلفية
- السلفية والمذاهب
- شبهة حول السلفية
- حقيقة الدعوة السلفية



لفضيلة الشيخ المجدد

محمد ناصر الدين الألباني

جمعها وشرحها

عمرو عبد المنعم سليم

دار الضياء للنشر والتوزيع

السلفية

حقيقتها - أصولها - موقفها من المذاهب
شبهة حولها

أربع رسائل علمية للشيخ العلامة

محمد ناصر الدين الألباني

أصول الدعوة السلفية
شبهة حول السلفية
السلفية والمذاهب
حقيقة الدعوة السلفية

ويليها

الفتاوى المنهجية
«أسئلة حول السلفية»

جمعها ورتبها وشرحها

عمرو عبد المنعم سليم

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية :	٢٠٠٦/٢٤٥٦٩

للاتصال بالدار : تليفاكس : 002040-3290288

بريديًا : جمهورية مصر العربية - طنطا

دار الضياء للنشر والتوزيع

آخر شارع بطرس مع شارع محمد فريد برج محمد فريد

البريد الإليكتروني : **e-mail** :
3amro@mooga.com
dar_eldia_eg@yahoo.com

موقعنا على الإنترنت : **our site** : diatanta.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾

[الأحزاب: ٧٠و٧١].

أما بعد :

فإن خير الكلام كلام الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

فالساحة الإسلامية تتردد ما بين «**صيحات**» و«**صحوات**»، «**صيحات**» جوفاء، و«**صحوات**» مباركة ،«**صيحات**» تدعوا إلى أسماء عارية عن صفاتها، و«**صحوات**» تدعو إلى طريق مستقيم ، وإلى حبل الله المتين ، وإلى السراج المنير ، إلى العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله الكريم بفهم السلف الصالح ، «**صيحات**» تنتحل أسماء مشرفة تمويهًا على العامة ، ومناهجها تحكم ببطلان

مثل هذا الانتماء ، وتشهد بصورية مثل هذا الانتحال.

و«**صحوات**» تنتسب إلى منهج السلف الصالح ، وتعتزي إليه، وتتسمى به ، وتتبع أصوله ، وتسير على حقائقه، طلبًا للمحجة البيضاء، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك.

والانتساب إلى «**السلف**» و«**السلفية**» انتساب قديم معروف عند الأئمة والعلماء وعموم الناس من المتقدِّمين والمتأخرين ، وقد تسمى بهذه الأسماء غير واحد من أهل العلم ، وانتسب إلى هذا المنهج جم غفير منهم ، لأنها من أشرف النسب ومن أكرمها ، ومن أجلِّها.

ولكن اليوم انتشر في الساحة من ينتسب زوراً وبهتانًا إلى هذه النسبة الشريفة ، وحقيقة منهجه تخالف منهج السلف الصالح جملة وتفصيلاً ، بل وقد تخالفه في أخص خصائصه وأصوله ، وإنما دفعهم لمثل هذا الانتحال شرف هذه النسبة من جهة ، والتمويه على الناس بحسن اعتقادهم من جهة أخرى ، ولربما جهل بحقيقة منهج السلف من جهة ثالثة.

إلا أن العلماء والأئمة في القديم والحديث لا يزالون يذبون عن هذا الدين بكل نفس ونفيس ، فصنفوا في اعتقاد الأمة والأئمة الكثير من المصنفات التي بلغت شأنًا عليًّا ، وشأوا عظيمًا ، وبيَّنوا مذاهب السلف ومنهجهم في جميع مناحي ونواحي الدين من : اعتقاد ، وفقه ، وسلوك، وتربية ، بيانًا لـ «**الإسلام المصفَّى**» الذي تلقاه الصحابة والسلف عن النبي ﷺ ، وتلقاه عن الصحابة التابعين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وقد كان للشيخ الإمام المحدِّث المجدِّد شيخ الإسلام : فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - اليد الطولى في بيان معالم «**المنهج السلفي**» ، و«**أصول السلفية**» ، و«**حقيقتها**» ، و«**الجواب عما يُثار حولها من**

شبه» إما بالبنــان وبما تُسطره يديه - رحمــه الله - ، وإما بالبيــان بما ينطلق به لسانه في محاضراته ودروسه الغرَّاء النافعة ، لئلا ينتحل من لا يفقه هذا المنهج المعتــدل الوسطي القــويَم هذا الاسم الشريف ، ويدنســه باعتــقاد فــاسد ، أو بطريقة حزبية ، أو بمنهج زائغ.

فما أكثر ما ينتسب الحزبيون اليوم ، والحماسيون ، بل والتكفيريون إلى هذا الاسم الشريف ، تمويهًا على الناس ، وزورًا وبهتانًا.

إن السلفيــة تعني أول ما تعني : بالرجوع إلى الكتــاب والسنة ، وفهمهــما بفهم السلف الصالح،ولا سبيل إلى ذلك إلا بدراســة علم الحديث ومستلزماته لأجل تصفية العلوم من الدخيل عليها من الأخبار والأحاديث الواهية والضعيفة والموضوعة،ومن الأقوال الشاذة أو المرجوحة.

وتستعين في فهم أدلة الأحكام : باجتهــادات العلماء جميعًــا ، ولا يفرقون بينهم في ذلك ، لأن الأصل إدراك الحق بأي وســيلة كانت ، ســواء كان على وجه ما رجحــه الإمام أحمد ، أو الشافعي ، أو مــالك ، أو أبو حنيفة ، أو الأوزاعي ، أو غيرهم .

فــهي لا تتخــذ المذهبيــة دينًا لها ، بل الاتبــاع للكتــاب والسنة لأهل العلم القادرين على الاجتهاد والترجيح بين أقوال العلماء والأئمة.

على أن للمسلم غــير القادر على الاجتــهاد التقليد لأحد الأئمــة العلماء ، على أن لا يُتخــذ التقليــد دينًا ومنهجًــا للقادر على النظر في الأدلة والتــرجيح بينها.

كما أن هذه الدعوة المباركة : تعرف لجميع العلماء والأئمــة لا سيما الأئمة الأربعة رفيع قدرهم ، وعالي شأنهم ، فيحبونهم في الله ، وينشرون مآثرهم، ويدعون الله لهم في السر والعلن.

كما أنها تعنى: بإصلاح عقائد الناس وعباداتهم وسلوكياتهم بالحكمة والموعظة الحسنة والدعوة بالكلمة الطيبة ، بعيداً عن التنفير ، أو التشدد ، أو العنف.

كما أنها تحارب وبشدة : كل مظاهر التفرق والتحزب لأنها من أسباب زرع الفرقة والشقة بين المسلمين ، فليس للمسلمين إلا جماعة واحدة ، هي جماعة المسلمين الأم ، التي تجمع كل بر وفاجر ، العاصي والعابد، الكبير والصغير ، الشيخ والطفل والولد الصغير ، الذكر والأنثى.

كما أنها لا تُقرُّ أبداً :ما انتشر في بعض الجماعات من اتخاذ أمراء لها ، وأخذ البيعة لهم ،والطاعة العمياء لهم،لأن هذا يقدح في أهم معتقد من معتقدات السلف ألا وهو: « **السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين برهم وفاجرهم** ».

وهذه المحاضرات للشيخ العلاَّمة الألباني - رحمه الله - قد بيَّن فيها المنهج السلفي القويم ، الذي يدعو إلى « **الوسطية** » و « **الاعتدال** » و«**الإنصاف**» ، وقل إن شئت : يدعو إلى « **الإسلام المصفَّى** » من البدع والمحدثات ومن التشدد والغلو في الدين ومن كل مظاهر ما لا يقره الدين في العقائد والأحكام والسلوكيات ، لئلا يتمسح اليوم أهل الأهواء والحزبيون والحماسيون والتكفيريون بهذا الاسم الكريم ، ولئلا ينتسبوا إلى هذه النسبة الشريفة ، ولئلا يعتزوا إلى هذا المنهج القويم - الذي هو منهج الوسطية والاعتدال والمسالمة والإنصاف وإنزال الناس منازلهم - وهم في حقيقة أمرهم أبعد الناس عن أصول هذا المنهج الكريم ، منهج جمع الكلمة ، وسد الثغر ، وإصلاح الخلل وعدم التفريق بين المسلمين ، بل الرحمة بهم ، والحرص عليهم.

فدونك هذه الرسائل القيمة ، عسى الله تعالى أن ينفعنا بها في الدنيا والآخرة ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، والحمد لله رب العالمين.

* * *

أصول الدعوة السلفية

للشيخ العلامة

محمد ناصر الدين الألباني

جمعها ورتبها وشرحها

عمرو عبد المنعم سليم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠و٧١]. (١)

---

(١) ابتدأ الشيخ - رحمه الله - حديثه بالحمد لله تعالى ، والثناء عليه ، مستخدمًا في ذلك خطبة الحاجة التي صح حديثها عن النبي ﷺ من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة فذكرها.

أخرجه أبو داود(٢١١٨)، والترمذي(١١٠٥)، والنسائي في«المجتبى»(٦/ ٨٩) وفي«عمل اليوم والليلة»(٤٩٢و٤٩٣)، وابن ماجة(١٨٩٢) من طرق: =

«**أما بعد**» :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ،وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار.[1]

= عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود به. **وسنده صحيح**.

وللشيخ - رحمه الله - رسالة لطيفة في جمع ونقد روايات خطبة الحاجة.

ويجوز البدء بغيرها ، إن اشتمل على الحمد لله ، والثناء عليه ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه كان يفتتح كلامه وخطبه بالحمد لله ، والثناء عليه ، كما ورد في حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - عند مسلم (٢/ ٥٩٣) :

كان رسول الله ﷺ يخطب الناس يحمد الله ، ويُثني عليه بما هو أهله.

وكما ورد في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - في قصة رجم ماعز بن مالك - عند مسلم (٣/ ١٣٢١)- قال:

فقام النبي ﷺ من العشي ، فحمد الله ، وأثنى عليه. . .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًا.

(١) قوله : «**فإن أصدق الحديث كتاب الله. . . .**» ورد مرفوعًا عن النبي ﷺ ، من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - في صفة خطبته عليه السلام في الجمعة .

أخرجه أحمد (٣/ ٣١٩و٣٧١) ،ومسلم (٢/ ٥٩٢) ، والنسائي (٣/ ١٨٨)، وابن ماجة (٤٥) ، والبيهقي (٣/ ٢١٣) من طريق :

جعفر بن محمد الهاشمي، عن أبيه ، عن جابر به.

إلا قوله : «**وكل ضلالة في النار**» ، فهي زيادة شاذة من هذا الوجه كما=

وبعد:[1]

فإن خير ما نستفتح به كلمتنا هذه إنما هو قول الله تبارك وتعالى:

= بينته تفصيلاً في «صفة خطبة النبي ﷺ»(ص:١٧) ، وفي كتابي «**الزيادات الضعيفة في الأحاديث الصحيحة**» (٢) ، ولكنها ثابتة من قول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - **بسند حسن** عند ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص: ٢٤).

(١) قوله : «**وبعد**» ، وقبلها : «**أما بعد**» ، متابعة للسنة ، حيث كان النبي ﷺ يفتتح خطبه كلها ، ومكاتباته ، ومواعظه بالحمد لله ، والثناء عليه بما هو أهله ، ثم يقول : «**أمابعد**» ، وقد بوَّب البخاري في «صحيحه» (١/ ٢٩٢) :

« **باب : من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد** ».

وذكر تحته عدة أحاديث في الدلالة على ما ذكره ، وعلى مشروعيته ، وسنيته ، لالتزام النبي ﷺ به في غالب أحواله.

●وقد قيل: إن «**أمابعد**» هي فصل الخطاب الذي أوتيه داود عليه السلام، وقد روى ذلك ابن جرير في «التفسير»(٢١/ ١٧٣)عن الشعبي **بسند ضعيف جداً**[1] وأخرج ابن أبي حاتم في «التفسير»(١٠/ ٣٢٣٧) **بسند ضعيف جداً**[2]عن أبي=

---

(١) فيه جابر بن نوح ، قال ابن معين : «ليس بشيء»،وقال في رواية : «ليس بثقة» ، وقال أبو داود :«ما أنكر حديثه»،وقال النسائي:«ليس بالقوي ».

(٢) فيه عبد العزيز بن أبي ثابت ، وهو ابن عمران ، قال ابن معين: « كان صاحب نسب، ولم يكن من أصحاب الحديث » ، وقال : «ليس بثقة» ، وقال البخاري : «منكر الحديث، لا يُكتب حديثه » ، وقال أبو حاتم : « ضعيف الحديث ، منكر الحديث جداً ».

وفيه - كذلك - عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وهو متكلَّم فيه.

﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ١٠٠].

إن هذه الآية الكريمة هي الأساس الذي ينبغي لكل مسلم أن ينطلق منها لمعرفة الدعوة .(١)

= موسى الأشعري - رضي الله عنه - أنه قال : أول من قال : **«أما بعد» داود عليه السلام ، وهو فصل الخطاب.**

• وأما المعنى في الفصل بين الحمد لله والثناء عليه ، وبين ما بعده من الكلام بـ:«أما بعد» ؛فقال فيه الحافظ ابن رجب في «فتح الباري» (٥/ ٤٨٤):

« المعنى في الفصل بأما بعد : الإشعار بأن الأمور كلها وإن جلَّت وعظمت فهي تابعة لحمد الله ، والثناء عليه ، فذاك هو المقصود بالإضافة ، وجميع المهمات تبع له من أمور الدين والدنيا.... فالحمد لله متقدِّم على جميع الكلام ، والكلام كله متأخر عنه وتبع له ».

(١) قوله - رحمه الله - : « **هذه الآية هي الأساس . . .** » وذلك لأن في هذه الآية الحض على اتباع السلف ، وبيان ثواب اتباعهم، لأن في اتباعهم اتباع الهدي النبوي الشريف ، والالتزام بالمنهج القويم ،الكتاب الكريم وسنة النبي ﷺ ، وهذا ظاهر من قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

والأصل الأصيل الذي قامت عليه الدعوة السلفية الالتزام بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح - رضي الله عنهم أجمعين -.

○ اصطلاح «الدعوة السلفية»:

اصطلح بعض العلماء قديمًا وحديثًا على تسميتها بـ«**الدعوة السلفية**» وقد يسميها بعضهم بدعوة أنصار السنة المحمدية وآخرون بدعوة «**أهل الحديث**» ، وكلها أسماء تدل على معنىً واحد [(١)]، هذا المعنى الواحد طالما غفل عنه جماعاتٌ من المسلمين قديمًا وحديثًا ولم ينتبهوا لها ، أو أنهم انتبهوا لها ولم يرعوها حق رعايتها .

---

(١) قول الشيخ - رحمه الله - : « **وكلها أسماء تدل على معنىً واحد**» أي إذا وافق الاسم الصفة ، فالتسمية لا أثر لها إن لم يوافق الخُبر الخبر ، والاسم الصفة ، فالانتساب إلى السنة المحمدية ، أو إلى السلفية ، أو إلى أهل الحديث إن لم يكن موافقًا لأصول أهل السنة والجماعة ، والتي يُعبر عنها بهذه التسميات ، فلا أثر لهذه التسمية ، بل هو ادعاء كاذب، وكم من هذه الادعاءات اليوم يروَّج لها ،والشيخ - رحمه الله - كان من أشد الناس تفطنًا لهذه المسألة ، وها هو ذا يبين أنه لا قيمة للتسمية ، إن لم يُتصف بصفتها .

ولأهل الحديث ، ولأهل السنة والجماعة ، أصول قد بنوا عليها منهجهم في الدعوة إلى الله تعالى ، ولا يزال أهل العلم والفضل من المحققين والأئمة في هذا العصر ، يرشدون الناس إلى هذه الأصول ، ويبينون ما يخالفها من المدخول عليها ، ويحذرون الدعاة منها ، وقد ضرب في هذا المجال بسهم وافر الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ الألباني ، والشيخ ابن عثيمين - رحمهم الله أجمعين -.

وانظر تفصيل هذه الأصول في كتابي : « **الأصول التي بنى عليها أهل الحديث منهجهم في الدعوة إلى الله** ».

○ موقف السلفية من التمذهب:

ذلك لأن الناس قد مضى عليهم قرون طويلة وقد ران على قلوبهم الجمود على التقليد المذهبي بين أهل السنة الذين ينتمون إلى أنهم من أهل السنة والجماعة [1]، ران على هؤلاء كلهم في القرون المتأخرة بعد القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية ران عليهم الجمود على التقليد والتدين بالتقليد فضلاً عن غير أولئك الذين لا ينتمون إلى مذهب أهل السنة والجماعة من

---

(١) بعد أن تكلم الشيخ - رحمه الله - على اصطلاح «**الدعوة السلفية**» ، وأصل التسمية ، عاد ليركز على جملة الأصول التي تنبني عليها هذه الدعوة ، فابتدأ بالكلام على أصل مهم من أصول الدعوة السلفية ، وهو : « **نبذ الجمود والتعصب المذهبي** » ، فالسلفية لا تعني فقط مجرد الالتزام بمنهج السلف في الاعتقاد فحسب ، بل هي أوسع من ذلك ، إذ إنها تشمل أيضًا التزام منهجهم في العبادات والفقه ، **لأن الأصل في ذلك كله : الالتزام بالكتاب والسنة وعمل سلف الأمة وفهمهم للنصوص،سواءً كان في العقائد، أو في العبادات ، أو في السلوك** ، وهذا مقتضاه ولا شك : نبذ التقليد المذهبي ، والتعصب لأراء الرجال ومذاهب الأئمة إن خالفت النصوص الشرعية ، ونبذ العقائد الفاسدة المخالفة للكتاب والسنة وفهم السلف الصالح.

ولا مجال لادعاء العصمة للأئمة المتبوعين ، لأنه قول فاسد لا يتخرَّج إلا على قالة أهل البدع والأهواء من الرافضة ، وكل أحد وإن كان من الأئمة يعزب عنه من سنن النبي ﷺ الشيء من الحديث والأثر ، ويصيب معرفته غيره من الأئمة ، **فأحد المجتهدين مصيب له أجران ، والآخر مخطيء له أجر ، وثبوت أجر المخطيء لا يقتضي جواز اتباعه** ، وإنما أُجر مع وقوعه في الخطأ=

الفرق الأخرى التي يشملها قول نبينا ﷺ في الحديث المشهور:

= لأهليته على النظر مع كونه مريداً لإصابة الحق ، واجتهاده فيه.

وكلمات أهل العلم في نبذ التقليد ، واتباع الدليل أكثر من أن تحصى .

● وقد قال الإمام **مالك** - رحمه الله - :

إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأيي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة ، فاتركوه .(1)

● وقال الإمام **الشافعي** - رحمه الله - :

إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ ، فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ، ودعوا ما قلت.(2)

● وقال الإمام **أحمد** - رحمه الله - :

لا تقلِّد دينك أحداً من هؤلاء ، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ ، ثم التابعين بعد الرجل فيه مخير.(3)

● وصح عن **أبي حنيفة النعمان** - رحمه الله - أنه قال :

ويحك يا يعقوب ، لا تكتب كل ما تسمعه مني ، فإني قد أرى الرأي اليوم ، فأتركه غداً.(4)

---

(1) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٣٢).

(2) أخرجه البيهقي في «مناقب الشافعي» (١/ ٤٧٢) بسند صحيح.

(3) «مسائل أحمد» لأبي داود السجستاني (١٧٩٣).

(4) أخرجه الدوري في «التاريخ» (٢٤٦١) ، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٤٢٤) بسند صحيح.

«تفرقت اليـهود على إحدى وسبـعين فرقة ، وتفتـرق النصارى على اثنتين وسبعين فـرقة ، وستفتـرق أمتي على ثلاث وسبعين فـرقة ، كلها في النار إلا واحدة ».

قالوا: من هي يا رسول الله ؟ قال: **«هي الجماعة»** .

وفي رواية مفسرة للرواية الأولى : قال ﷺ :

«هي التي تكون على ما أنا عليه وأصحابي» .(١)

(١) هذا الحديث قـد ورد من رواية كل من : أبي هريرة ، ومعـاوية بن أبي سفيان ، وعـبدالله بن عمرو بن العاص ، وسعـد بن أبي وقاص ، وعوف بن مالك ، وأنس بن مـالك ، وعمرو بن عـوف ، وأبي أمامة ، وابن مسـعود ، وجماعة من الصـحابة - رضي الله عنهم أجمعين- **والحديث صحيح ثابت ، باللفظ الأول الذي ذكره الشيخ** ، وقد ذكر الشيخ في «الصـحيحة» (١/ ٣٥٩) **من صحح هذا الحديث من العلماء** ، وهم : الحاكم ، وأقره الذهبي ، وحسنه الحافظ ابن حجر ، والشاطبي في «الاعتصام» ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « هو حديث صحيح مشهور » .

بخلاف مـن توسع في رده من طلبة العلم من المعـاصرين ، وتمسك بـبعض الإشكالات المردودة المتعلقة بالمتن .

وأما اللفظ الثاني المفسَّر فقد ورد من رواية : عبدالله بن عمرو بن العاص ، ومن رواية عوف بن مـالك ، ومن رواية حديث جماعة من الـصحابة ، وهذه الثلاثة ضعيفة الأسانيد.(١) =

(١) وقد توسعت في تخريج الحديث ، وتقدَّمت بدراسته دراسة وافية - فيما أحسب إن شاء الله - في كتابي «**أصول أهل الحديث**»(ص: ٢٩١-٣١٧).

= ولم يرد في رواية من **الروايات الصحيحة** لهذا الحديث زيادة استفسار من الصحابة -رضوان الله عليهم- أو سؤال منهم للنبي ﷺ عن معنى «**الجماعة**»، وهذا يدل على استقرار معرفة معناها عندهم ، لأنه يستحيل على النبي ﷺ أن يبين سبيل النجاة من الفرقة بجواب مبهم لا معنى له يُعرف عند الصحابة ، ويستحيل عليهم أن يسكتوا عن الاستفسار عنه.

وبتتبع هذا الوصف في الأحاديث الصحيحة الواردة في الحث على الجماعة، وبتتبع فهم الصحابة وأهل العلم من السلف لها ، نجد أن المعني بالجماعة هنا هم أهل الفقه والعلم والحديث واتباع السنة.

قال الإمام الترمذي - رحمه الله - في «الجامع» (٤/ ٤٦٧) :

« وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم : **أهل الفقه والعلم والحديث** ، قال : وسمعت الجارود بن معاذ ، يقول: سمعت علي بن الحسن يقول: سألت عبد الله ابن المبارك ، من الجماعة ؟ فقال : أبو بكر وعمر ، قيل له : قد مات أبو بكر وعمر ، قال : فلان وفلان ، قيل : قد مات فلان وفلان ، فقال عبد الله بن المبارك : أبو حمزة السكري جماعة ، قال أبو عيسى : وأبو حمزة هو : محمد ابن ميمون ، وكان شيخًا صالحًا ، وإنما قال هذا في حياته عندنا ».

قلت : وهذا يؤيده ما أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» بسند صحيح عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال :

الجماعة ما وافق الحق ، وإن كنت وحدك.[1] =

(١) نقلاً عن تخريج «المشكاة» للشيخ الألباني - رحمه الله - (١/ ٦١).

○ الفرق بين الانتماء إلى الكتاب والسنة وبين العمل بهما :

فإذاً هذا الحديث من الأحاديث الصـريحة ، التي تدل دلالة واضحة على أن الفرقة الناجـية من الفرق الثلاث والسبعين التي أخـبر رسولنا ﷺ أنها ستقع في هذه الأمة،وخبره ﷺ صدقٌ-لأنه كما قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣و٤] - فالفرقة الناجية علامتهـا ليست فقط كما تدعي جماعاتٌ أخرى في هذا الزمان، هذه الفرقـة ليست علامتـها فقط أنها تنتمي إلى الـعمل بالكتاب والسنة ، فإن هذا الانتـماء لا يستطيع أحـدٌ من المسلمين - ولو كانوا من الفرق الخـارجة عن الفرقة الناجـية - لا تستطيع أي فرقـة من تلك الفرق قديمًا أو حديثًا أن تتبرأ من الانتماء إلى الكتاب والسنة ، لأنها إن فعلت ؛

= ويتأكد ذلك أيضًا بفهم الصحابي أبي أمامة رضي الله عنه لمعنى الجماعة الواردة في اللفظ النبوي الشريف.

فقد روى الشعبي ، عن النعمان بن بشير ، قال :

قال رسول الله ﷺ على هذه الأعواد - أو على هذا المنبر - :

« **من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر ، والجماعة رحمة ، والفرقة عذاب** ».

فقال أبو أمـامة الباهلي : عليكم بالسواد الأعظم ، قال : فـقال رجل : ما السواد الأعظم ؟ فقال أبو أمامة : هذه الآية في سورة النور:

﴿ **فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ** ﴾.[1] [النور: ٥٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٧٨) بسند حسن.

فقد رفعت علم الخروج عن الإسلام ، **ولذلك كل الجماعات الإسلامية وكل الفرق الإسلامية هذه الفرق التي ذكرها الرسول ﷺ أوأشار إليها في الحديث السابق كلها تشترك على كلمة واحدة ألا وهي الانتماء إلى الكتاب والسنة** .(١)

---

(١) **هذه المسألة مسألة مهمة جداً** ، وهي : أن مجرد الانتماء إلى الكتاب والسنة ، إن لم يصاحبه حقيقةً الركون إليهما ، والعمل بهما ، فهو مجرد دعوى عارية عن الصحة ، وكذلك الانتساب إلى السلفية إن لم يكن مشتملاً على العمل بأصول أهل السنة والجماعة ، فهي مجرد دعوى فارغة ، وادعاء المسميات لا يقتضي ثبوت الصفات.

وكما قال الشيخ - رحمه الله - فإن كافة هذه الفرق المذكورة في الحديث تدعي الانتماء إلى الكتاب والسنة ، سواء الجهمية ، أو الخوارج ، أو المعتزلة ، أو الروافض أو . . . فجميع هؤلاء يدّعون الانتماء والانتساب إلى الكتاب والسنة ، وعند التمحيص والتدقيق والتحقيق نجد أن كل فرقة من هذه الفرق تخالف أصول أهل السنة والجماعة ، تخالف الجماعة التي حضّ النبي ﷺ أمته على اتباعها ، ألا وهي : أهل الفقه والعلم والحديث ، وهي أصحاب رسول الله ﷺ ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وهي السواد الأعظم ، وهي سبيل المؤمنين، ومن اتبع حقيقةً نصوص التنزيل والسنة الثابتة.

قال الإمام أحمد - رحمه الله - :

« **ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن** من أهلها : الإيمان بالقدر خيره وشره ، . . . »وذكر أموراً من مهمات الاعتقاد، وقال: « الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه=

= **لا يكون صاحبه - وإن أصاب بكلامه السنة - من أهل السنة حتى يدع الجدال، ويسلِّم، ويؤمن بالآثار »**.[1]

فبيَّن الإمام أحمد - رحمه الله - أن اتباع السنة لا يكون إلا بالركون إليها، والعمل بمقتضاها، والاستدلال بها لا بغيرها من الجدال والكلام والرأي، فإن المرء إن ادَّعى انتسابه إلى السنة، ثم احتج بغيرها، أو انتصر في كلامه بالآراء والكلام والجدل، لم يكن من أهل السنة، وإن أصاب الحق، لأنه قد أصابه عن غير طريق السنة النبوية.

وهذا معنى قول الإمام البربهاري - رحمه الله -:[2]

« **لا يحل لرجل أن يقول: فلان صاحب سنة، حتى يعلم أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة، فلا يُقال له: صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها**، قال عبد الله بن المبارك: أصل اثنتين وسبعين هوى أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة الأهواء تشعبت الاثنان وسبعون هوى: القدرية، والمرجئة، والشيعة، والخوارج، فمن قدَّم أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليًا على أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يتكلَّم في الباقين إلا بخير، ودعا لهم، فقد خرج من التشيع أوله وآخره، ومن قال: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره، ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج أوله، وآخره، ومن قال: المقادير كلها من الله عز =

(١) «رسالة عبدوس بن مالك العطار» المشهورة باسم: «أصول السنة» (ص: ٤٢و٤٩).

(٢) « شرح السنة » للبربهاري (ص: ٥٧).

○ **حقيقة «السلفية»:**

أما الذين أشرنـا إليهم في مطلع هذه الكلمة من السلفـيين وغيرهم ممن ينحون منحاهم ، وقـد يُسمون بغير هذا الاسم فهـؤلاء يختلفون عن كل الطوائف الإسـلاميـة الأخرى ، بأنهم ينتـمون إلى شيء آخـر ، هذا الشيء الآخر: **العـصمـة من الخـروج عن الكتاب والسنـة باسم التمـسك بالكتـاب والسنة ألا وهو التـمـسك بما كان عـليه أصـحـاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبـعوهم من أتبـاعهم وأتباع أتبـاعهم ، ألا**

= وجل ، خيرها وشرها ، يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء ، فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره ، **وهو صاحب سنة** ».

قلت : وأما اليوم فقد أنتجت الحزبيات المنتنة ، والعصـبيات المقيتة الاستهانة بهذه الأصـول السنية ، وبهذه العقـائد السلفية ، فتـساهل كثيـر من الدعاة في الالتـزام بعقـائد السلف الصـالح وبمنهجـهم وبفـهمـهم للنصوص ، وأباحـوا الاختـلاف في العقـائد والأصول بـأفكار سقـيمة ، وحـجج واهيـة ، وأقوال معكوسة منكوسـة ، يحدوهم في ذلك ترديد تلك العبارة المشـئومة : « **نعمل فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه** » ، وهذه العبارة قد تتجه في غيـر الأصول والعقائد والمناهج ، وأمـا عند الاختلاف في الاعتـقاد ، وفي المنهج ، فلا اتفاق ولا كـرامة ، فأي اتفاق يكون مع قدري مـشئوم يرى أن الله تعالى لم يقدر أقـدار العباد ، وأي اتفاق يكون مع رافضي خبـيث يسب أمهات المؤمنين ، ويتطاول على الصـحابة ، وأي اتفـاق يكون مع خارجي شـرير يرى كفـر الناس ، وأي اتفاق يكون مع مرجئ يرى أن الإيمان قـول دون عمل ، أو جهمي خبيث يرى أن الله تعالى عدمًا .

وهم القـرون المشهـود لهم بالخيـرية في الحديـث الصحيح ، بـل الحديث المتواتر الذي قاله رسول الله ﷺ ، ألا وهو :

« خير الناس قرني ثم الذين يلونهم » .(١)

فأتباع هؤلاء الجيل الأول ،جيل الصحابة الأبرار الأطهار ، ثم الذين جـاءوا من بعدهم يقـولون : ﴿**رَبَّنَا اغْـفِـرْ لَنَا وَلإِخْـوَانِنَا الَّذِينَ سَـبَقُـونَا بِالإِيمَانِ**﴾ ، **هؤلاء لابد لكل من أراد أن يكون من الفرقة الناجية ، لابد أن ينتـهى إلى العـمل بما كان عليـه هؤلاء الصـحابة والتـابعـون وهم السلف الصالح الذين نحن نقتدي بهم** .(٢)

---

(١) هذا الحديث: أخرجه أحـمد(١/ ٣٧٨و٤٤٢)، وابن أبي عاصم(١٤٦٦)، والبخاري(٤/ ١١٨) ، والتـرمذي(٣٨٥٩) من طريق : الأعمش ، عن إبراهيم النخعي ، عن عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه به.

وهو عند مسلم (١٩٦٣) من طريق : ابن عون ، عن إبراهيم به.

(٢) قول الشيخ - رحمه الله - : « **هؤلاء لابد لكل من أراد أن يكون من الفرقة الناجية ، لابد أن ينتهى إلى العمل بما كان عليه هؤلاء الصحابة والتابعون وهم السلف الصالح الذين نحن نقتدي بهم** » : فيه مسائل :

الأولى : أن السـداد في الدنيـا ، والنجـاة في الآخـرة يكون باتبـاع هدي السلف من الصحـابة والتابعين وتابعيـهم ، وهم القرون الثلاثة الخـيرية ، التي ورد تفضيلها على غيرها في الحديث الشريف.

الثانية : أن الانتساب إلى السلفية لابد أن يكون حقـيقيًا - بالاتباع الصحيح لمذهب السلف وهديهم ، وعدم الخروج عن فهمهم إلى فهم غيرهم ممن قصروا عنهم في الصـحبة والتلقي الصـحيح للشـرع الحنيف - لا صوريًا ، بانتـحال=

○ **وجوب الاقتداء بالسلف:**

وليس هذا الأمر من وجوب الاقتداء بهؤلاء السلف الصالح بالأمر

= الاسم فقط ، دون الالتزام بالصفة ، وهو ما وقع فيه كثير من الدعاة اليوم إلا من رحم ربي سبحانه.

الثالثة : أن من توابع الالتزام بهدي السلف الصالح وفهمهم للنصوص ، وكيفية العمل بها : عدم الشذوذ عنهم في الأقوال أو الترجيحات ، أو الخروج عن اجتهاداتهم إلى اجتهاد جديد لم يُسبق إليه ، كما قال الإمام أحمد - رحمه الله - لتلميذه أبي الحسن الميموني : **لا تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام**.(١)

وقال الإمام أحمد : **لا يكاد شيء إلا ويوجد فيه عن أصحاب النبي ﷺ**.(٢)

الرابعة : أن من توابع الالتزام بهدي السلف الصالح الأخذ بما وافق الدليل من اجتهاداتهم، مع الاعتذار عنهم بالجميل من الذكر ، فيما خالفوا فيه النص ، فإن المجتهد المخطئ له أجر ، والمجتهد المصيب له أجران ، ومن خالف منهم فعن عذر لا عن عمد ، ومن جمع الرخص من زلل العلماء جمع الشر كله ، وهلك ، وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - :

ثلاث يهدمن الدين : زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، وأئمة مضلون.(٣)

وقال الإمام الأوزاعي - رحمه الله - :

من أخذ بقول المكيين في المتعة ، والكوفيين في النبيذ ، والمدنيين في الغناء ، والشاميين في عصمة الخلفاء ، فقد جمع الشر كله.(٤) =

(١) « مناقب أحمد » لابن الجوزي : (ص:١٧٨).

(٢) « مسائل أحمد » لأبي داود السجستاني (ص:٢٧٧).

(٣) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٠) **بسند صحيح**.

(٤) «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي (٨/ ٨١).

المبتدع ، بل هو الأمر الواجب الذي جاءت الإشارة إليه ، بل التصريح به في مثل قوله تبارك وتعالى:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء :١١٥].

= **الخامسة** : أن من توابع الالتزام بهدي السلف نبذ الخلفية المقيتة ، والتي أساسها إعمال العقل على النقل ، ورد نصوص الكتاب والسنة بالتأويلات الفاسدة ، والطعون الجائرة.

وقد قال الأوزاعي - رحمه الله - :

عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس. (١)

السادسة : في بيان الفرق بين الصحابة والتابعين وتابعيهم من حيث الاحتجاج بأقوالهم،وهل يُقال لقول الصحابي أو لفعله:إنه سنة ؟فيه تفصيل :

فقد ذهب الإمام **أحمد بن حنبل** - رحمه الله- إلى حجية آثار الصحابة، وأنزلها بمنزلة السنن من حيث الحجة - بخلاف أقوال التابعين وأحكامهم واجتهاداتهم - كما ورد صريحًا عند أبي داود السجستاني في «المسائل» (ص:٢٧٦) ، قال :

وسمعت أحمد غير مرة سئل : يُقال : لما كان من فعل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - سنة ؟ قال : نعم،وقال مرة : لحديث رسول الله ﷺ : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**» .

قيل : فعمر بن عبد العزيز ؟ قال : لا ، قال : أليس هو إمامًا ؟ قال: =

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص:٥٨) ، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (٦) **بسند صحيح** .

= بلى ، فقيل له : **فنقول لمثل قول أبي ومعاذ وابن مسعود : سنة ؟ قال : ما أدفعه أن أقول ، وما يعجبني أن أخالف أحدًا منهم .**

والمشهور عنه - رحمه الله - أنه كان ينزل الأثر بمنزلة الحديث ، وقد يُوفِّق بينه وبين الحديث المرفوع ، لئلا يُبطل العمل بأحدهما.

وأما الإمام **الشافعي** -رحمه الله - ؛ فقد وافق أحمد على مجمل قوله في الاحتجاج بآثار الصحابة ، إلا أنه أطلق الاحتجاج بها إذا عُدمت الحجة من الكتاب والسنة.

كما دلَّ عليه ما أخرجه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٣٥) **بسند صحيح** عن الشافعي ، قال : **ما كان الكتاب أو السنة موجودين ، فالعذر على من سمعهما مقطوع إلا باتباعهما ، فإذا لم يكن ذلك ، صرنا إلى أقاويل أصحاب النبي ﷺ ، أو واحدهم .**

وأما **مذهب أبي حنيفة النعمان** - رحمه الله - فموافق لمذهب الشافعي ، على وجه التخير من أقوالهم.

فقد أخرج ابن معين في «تاريخه» برواية الدوري (٤٢١٩) **بسند صحيح** عن يحيى بن ضريس ، قال :

شهدت سفيان ، وأتاه رجل ، فقال : ما تنقم على أبي حنيفة ؟ قال : وما له ؟ قال : سمعته يقول : آخذ بكتاب الله ، فما لم أجد فسنة رسول الله ﷺ، فإن لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسوله **آخذ بقول أصحابه ، آخذ بقول من شئت منهم ، وأدع قول من شئت**، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم .

وأما الإمام **مالك** - رحمه الله - : فقد احتج بقوله تعالى : =

. . . .

= ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. [التوبة: ١٠٠].

على مشروعية اتباع الصحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم- .

وخالفهم **الظاهرية**، فذهبوا إلى ترك الاحتجاج بمذهب الصحابي.

وقد صرح بذلك ابن حزم في مواطن عديدة من كتبه، لا سيما في «المحلى»، وفي «الإحكام في أصول الأحكام».

والذي يترجح على وجوه:

(١) مذهب الصحابي الذي انتشر بين الصحابة ولم يُنكر عليه.

فهذا من قبيل الإجماع السكوتي، وهو مقدَّم على غيره فيما لم يرد به كتاب ولا سنة، وهو حجة عند جمهور العلماء.

● **ومثال ذلك:**

ما صح عن جماعة من أصحاب النبي ﷺ من المسح على الجوربين منهم: علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك، وأبي مسعود، والبراء بن عازب، وأبو أمامة الباهلي - رضي الله عنهم -.

فهذا لم يصح فيه خلاف عن الصحابة -رضي الله عنهم- وفيه جملة من الأحاديث المرفوعة، كلها لا تخلو من مقال، وصحتها متنازع فيها.(١) =

---

(١) وقد جمعت الأخبار الواردة في هذه المسألة - المرفوعة، والموقوفة، والمقطوعة - في رسالة مستقلة، ضمن دراسة حديثية فقهية نقدية.

= (٢) **مذهب الصحابي الذي تفرد به ، ولم يُعارض بمذهب غيره.**

فهو حجة أيضًا عند الأكثر إذا لم يعارض بمرجح أصولي، أو بنص شرعي .

● **مثاله :**

ما صح عن ابن عمر - رضي الله عنه - أنه قال :

الأذنان من الرأس. (١)

وقد روي مرفوعًا ، وموقوفًا على جماعة من الصحابة ، ولا يصح إلا من هذا الوجه عن ابن عمر ، وبه احتج الإمام أحمد .

ولم يخالفه أو يعارضه أحد الصحابة.

ومثله : ما ثبت عن ابن عمر -رضي الله عنه - أنه كان يغسل ظهور أذنيه وبطونهما إلا الصماخ من الوجه ، مرة أو مرتين ، ويدخل بأصبعيه بعد ما يمسح برأسه في الماء ، ثم يدخلهما في الصماخ مرة. (٢)

فهذا مقتضاه تجديد الماء لمسح الأذنين .

ولم يخالفه أحد من الصحابة.

وهو ما رجحه الإمام أحمد -رحمه الله - في « مسائل إسحاق النيسابوري»(٧٤).

(٣) **مذهب الصحابي إذا خالفه مذهب غيره من الصحابة.**

فيما ليس فيه نص من الكتاب أو السنة. =

---

(١) أخرجه عبد الرزاق(١/ ١١) ، وابن المنذر في «الأوسط»(١/ ٤٠١) **بسند صحيح**.

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١/ ١١) **بسند صحيح** ، وعند مالك في «الموطأ»(١/ ٣٤) **بسند صحيح** : أن عبد الله بن عمر كان يأخذ الماء بأصبعيه لأذنيه.

. . . .

= فهذا على مراتب :

■ **الأولى : أن يكون مذهب أحد الخلفاء الأربعة:**

فهو مقدَّم على غيره ، بنص السنة :

« **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين** » .(١)

وهذا أمر ، والأمر يقتضي الوجوب ، وهو ما رجحه الشيخ الألباني - رحمه الله - في كتابه : «صلاة التراويح» ، حيث قال :

« **وقد أُمرنا باتباع سنته ﷺ ، وسنة الخلفاء الراشدين** » .

وهو اختيار الشافعي كما في «المدخل» للبيهقي (٣٨) .

ويؤيده ما ورد عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-:

إني لأستحي من ربي أن أخالف أبا بكر .(٢)

وعن ابن عباس -رضي الله عنه - : أنه كان إذا سئل عن الأمر فكان في القرآن أخبر به ، وإن لم يكن في القرآن ، وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به ، **فإن لم يكن فعن أبي بكر وعمر** ، فإن لم يكن قال فيه برأيه .(٣)

فإن كان الخلاف بينهم قُدِّم أبوبكر ، فعمر ، فعثمان ، فعلي -رضي الله عنهم - تبعًا لحديث التفضيل الذي رواه ابن عمر -رضي الله عنهما - قال :

كنا نخيِّر بين الناس في زمن النبي ﷺ ، فنخيِّر أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان -رضي الله عنهم - .(٤) =

(١) وهو حديث صحيح أخرجه الأربعة ، وغيرهم ، ويأتي زيادة بيان (ص: ٣٠) .

(٢) أخرجه أبو بكر العشاري في «فضائل أبي بكر الصديق» (٧) **بسند حسن** .

(٣) أخرجه الدارمي (١٦٦) **بسند صحيح** .

(٤) أخرجه البخاري(٣/٨) من طريق : يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن نافع ، عن ابن عمر به .

فالله تبارك وتعالى قد ذكر في هذه الآية تحذيراً شديداً عن مخالفة الرسول ﷺ ومشاقفته ، ثم عطف على ذلك فقال : ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ولا شك أن هؤلاء المؤمنين الذين حذَّر الله تبارك وتعالى الناس من المسلمين أن يخالفوا سبيل المؤمنين ، لا شك أن هؤلاء إنما هم الذين ذُكروا في الآية السابقة :

﴿ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾.

فقد رضي الله عنهم ، ورضوا عن ربهم.

○ **معيار التفرقة بين الادعاء والعمل:**

ذلك هو المعيار الذي يفرِّق بين المسلم الذي ينتمي بلسانه إلى الكتاب والسنة ، ثم قد يُخالف الكتاب والسنة حينما لا يرجع إلى العصمة من مخالفة الكتاب والسنة ، ألا وهو التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ.

فأنتم الآن أمام نصٍّ من الآية ومن الحديث الصحيح ، ذكرت الآية سبيل المؤمنين ، وذكر النبي ﷺ أصحابه ، كما ذكر سنة الخلفاء الراشدين في الحديث الآخر الصحيح الذي رواه جماعة من أصحاب السنن ، منهم:

= ■ **الثانية : أن يكون مذهبه هو مذهب الأكثر من الصحابة.**

فهو حجة ، لا سيما إن كان من فقهاء الصحابة.

■ **الثالثة : أن يكون مخالفًا للأكثر ، ولا مرجح لقوله .**

فالحجة قول الجماعة آنذاك.[1]

(١) هذا المبحث منقول بتصرف في بعض المواضع من كتابي «الدُربة على المَلَكة» (ص: ١٠-١٥).

أبوداود ، والترمذي ، والإمام أحمد ، وغيرهم :

عن العرباض بن سارية قال:

وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا يا رسول الله ! كأنها وصية مودِّع ، فأوصنا ، قال:

« أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن ولّي عليكم عبدٌ حبشي ، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » .(١)

---

(١) هذا الحديث : قد روي من طرق عن العرباض بن سارية - رضي الله عنه - ، **وهو حديث صحيح** ، صححه جماعة من أهل العلم منهم الترمذي، والبزار ، والهروي ، وابن عبد البر ، واحتج به الإمام أحمد - رحمه الله - كما في «مسائل أبي داود» (١٧٩٢) ، دلالة على ثبوته عنده ، وقد تَعَنَّى بعض المتشددين في التصحيح المتراخين في التضعيف تضعيف هذا الحديث ، وأنشأ ردًا على الشيخ - رحمه الله- في تصحيحه هذا الحديث ، وقد أجاب الشيخ عن شبه ذلك المتعنت في كتابه «النصيحة» ، ولا مجال لتخريجه هنا ، لأننا استقصينا طرقه في غير هذا الموضع.

ولكن لا يفوتنا التنبيه على شذوذ الزيادة الأخيرة التي ذكرها الشيخ : **« وكل ضلالة في النار »** ، وهي ليست من حديث العرباض ، وإنما من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته ، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش ، يقول : صبَّحكم ومسَّاكم، ويقول : « **بُعثت أنا والساعة كهاتين** » ،ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ،=

وفي الحديث الآخر : « **وكل ضلالة في النار** » .

فتجدون النبي ﷺ في هذا الحديث أيضًا عطف سنة الخلفاء الراشدين على سنته ﷺ ، فهذا الحديث يلتقي مع حديث الفرقة الناجية ، ويلتقي مع قوله تعالى في الآية الثانية ، ألا وهي قوله تبارك وتعالى :

﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ .

ولذلك فلا يجوز للمسلم باسم اتباع الكتاب والسنة أن يتبع أراءً أو أقوالاً تخالف ما كان عليه سلفنا الصالح ، ذلك لأن ما كانوا عليه تبيانٌ

= ويقول : « **أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة** » ، ثم يقول :

« **أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، من ترك مالاً فلأهله ، ومن ترك دينًا أو ضياعًا فإليَّ وعليَّ** » .

وهذا الحديث أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٢) ، والنسائي (٣/ ١٨٨) ، وابن ماجة (٤٥).

وأما الزيادة ، فعند النسائي والبيهقي في «الأسماء والصفات» ، وهي غير ثابتة عن النبي ﷺ ،ولذا أوردتها في كتابي : « **الزيادات الضعيفة في الأحاديث الصحيحة** » (٢).

وهي حسنة الإسناد من قول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عند ابن وضاح في «البدع والنهي عنها » (١).

(١) كما تقدمت الإشارة إليه في أول الكتاب (ص:١١).

للكتاب والسنة ، وأنتم تعلمون جميعًا أن السنة هي بنصٍّ القرآن الكريم تبيانٌ للقرآن الكريم ،كما قال الله تعالى مخاطبًا شخص النبي ﷺ بقوله:
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

○ **أقسام السنة وطريق الوصول إليها:**

فكما أن النبي ﷺ تولى بيان القرآن بسنته ، وسنته تنقسم إلى ثلاثة أقسام: إلى **قولٍ ، وفعلٍ ، وتقريرٍ** .

وهذه السنة ليس لنا طريقٌ إلى الوصول إليها والتعرف عليها إلا من طريق أصحاب النبي ﷺ ، ولذلك فلا سبيل إلى أن يكون المسلم من الفرقة الناجية إلا بأن يتبع الكتاب والسنة وعلى ما كان عليه السلف الصالح ، هذا الأمر الثالث يجب أن يكون ثابتًا في أذهان المسلمين كلهم إذا كانوا صادقين في أن يكونوا من الناجين يوم القيامة ،﴿**يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُون إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾.(١)

---

(١) قول الشيخ - رحمه الله - : « **وعلى ما كان عليه السلف الصالح** » دلالة على أصل مهم في فهم نصوص الكتاب والسنة ،وهو فهمها بفهم الصحابة، لا بفهم غيرهم ، فإنهم - كما قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله - :

السابقون ، وإنهم عن علم وقفوا ،وببصر نافذ كُفوا ، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل فيه لو كان أحرى ، فلئن كان الهدي ما أنتم عليه ، فقد سبقتموهم إليه،ولئن قلت إنما أُحدث بعدهم،ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ، ورغب بنفسه عنهم ، لقد تكلموا فيه بما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فما دونهم مقصِّر ، وما فوقهم محصر،لقد قصر دونهم أقوام فجفوا ،وطمح عنهم =

= **آخرون فغلوا ، إنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم**.(١)

وهذا بخلاف ما يقع من بعض الفـقهاء المتأخرين من الترجـيح بخلاف فهم الصحابي للنص،كما وقع لبعض فقهاء الشافعية في حديث النبي ﷺ: « **كنت نهيتكم عن زيارة القـبور ، فزوروها** » ، قال النووي - رحمه الله - في «شرح صحيح مسلم» (٤/ ٥٠) :

« هذا من الأحاديث التي تجمع الناسخ والمنسوخ ، وهو صريح في نسخ نهي الرجال عن زيارتها ، وأجمعوا على أن زيارتها سنة لهم ،**وأما النساء ففيهن خلاف لأصحابنا قدمناه،وقدمنا أن من منعهن قال:النساء لا يدخلن في خطاب الرجال، وهو الصحيح عند الأصوليين** ».

قلت : وهذا يخالف فهم أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - للنص ، وفهمها مقدَّم على فهم غيرها ،ولا شك، فإنها زوج النبي ﷺ ،وصاحبة الرواية عنه ، ومن فقهاء النساء ، وقد روى عبدالله بن أبي مليكة:

أن عائشة - رضي الله عنها - أقبلت ذات يوم من المقابر ، فقلت لها : يا أم المؤمنين ، من أين أقبلت ؟ قالت : من قبر عبدالرحمن بن أبي بكر .

فقلت لها : أليس كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور ؟ قالت : **نعم ، ثم أمر بزيارتها** .(٢) =

(١) أخرجه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (٧٧) **بسند حسن**.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧٦) ، وابن عبد البر في «التمهيد» (٣/ ٢٣٣) من طريق: يزيد بن حميد أبي التياح،عن عبدالله بن أبي مليكة به.

قال الذهبي في «تلخيص المستدرك»: «صحيح» ، وهو كما قال.

. . . .

= فهـذا هو فهم أم المؤمنين لنـص المنع ونص الإباحة والرخـصة ، وأن هذا النسخ عام في حق الرجال والنساء جميعًا بخلاف ما ذهب إليه المانعون من متأخري الفقهاء.

وكيف لنا أن نُعـمل أفهامنا بما يُخالف أفـهام الصحابة للنصـوص وقد أمرنا باتباعهم كما في حديث النبي ﷺ :

« عليكم بسنتي وسنـة الخلفاء الراشـدين المهديـين من بعدي ، تمسكوا بهـا ، وعضوا عليها بالنواجذ ».

وقد احتج بهذا الحديث الإمام أحمـد - رحمه الله - على أن أقوال الصحابة سنة(١) ، وهو قول الزهري(٢) وغير واحد من أهل العلم.

وقال النبي ﷺ :

« النجوم أمنـة للسماء ، فـإذا ذهبت النجوم أتى السـماء ما تـوعد ، وأنا أمنةٌ لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يُوعدون ». (٣)

ففي اتبـاعهم ، والتزام فهـمهم الأمان من الضـلال والزيغ والابتداع ، وفي الخروج عن أقوالهم اتباع غير سبيلهم ، والالتزام بغير هديهم .

(١) انظر « مسائل أحمد » برواية أبي داود (١٧٩٢).

(٢)فقد أخرج ابن سعد في «الطبقات»(٢/ ٢/ ١٣٥)، وأبو نعيم في «الحلية»(٣/ ٣٦٠)، والخطيب البغدادي في «تقييد العلم»(ص: ١٠٦-١٠٧) **بسند صحيح** عن صالح بن كيسان - رحمـه الله - قال : اجـتمـعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم ، فـقلنا نكتب السنن ، فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ ، ثم قال : **نكتب ما جاء عن أصـحابه ، فإنه سنة** ، فقلت أنا ليس بسنة ، فلا نكتبه ، قال : فكتب ، ولـم أكتب ، فأنجح وضيعت.

(٣) أخرجه مسلم(٤/ ١٩٦١) من حديث سعيد بن أبي بردة ، عن أبيه به.

○ **نظرة في واقع الحال:**

ونحن اليوم نعيش مع جماعاتٍ كلها تدَّعي أنها تنتمي إلى الإسلام، وكلها تعتقد أن الإسلام هو القرآن والسنة ، **ولكن الجماهير منهم لم يرتضوا الاعتماد على ما سبق بيانه من الأمر الثالث ، ألا وهو سبيل المؤمنين، سبيل الصحابة المكرَّمين ، ومن تبعهم بإحسان من التابعين وأتباعهم** ،كما ذكرنا آنفاً في حديث : «**خير الناس قرني**» . . إلى آخره .

○ **سبب الافتراق في الدين:**

ولذلك فعدم الرجوع إلى ما كان عليه سلفنا الصالح من المفاهيم ومن الأفكار والآراء ، هو السبب الأصيل الذي جعل المسلمين يتفرقون إلى مذاهب شتى وطرائق قددًا.[1]

○ **الاتباع:**

فمن كان يريد حقًّا الرجوع إلى الكتاب والسنة ، فيلزمه الرجوع إلى ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ والتابعين وأتباعهم من بعدهم.[2]

---

(١) هذا الذي ذكره الشيخ - رحمه الله - هو حقيقة **بيت الداء في افتراق** المسلمين اليوم، فإنه لا يكفي المسلم انتماؤه إلى الكتاب والسنة ، حتى يعمل بمقتضاهما ، ولا يكون عاملاً بمقتضاهما إلا على فهم السلف الصالح،وهذا هو الذي يعبرون عنه بـ:« **صحة العمل** » ، الذي هو أحد ركني القبول ، فإن صحة العمل تعتمد على الاتباع ، والاتباع لا يكون صحيحًا إلا بموافقة فهم الصحابة والسلف للنصوص ، والالتزام بهديهم.

(٢) قول الشيخ - رحمه الله - : «**فمن كان يريد حقًّا الرجوع إلى الكتاب والسنة. . . .** » هو في حقيقته تعريف لمعنى الاتباع . =

. . . .

= وقد عرَّفه الإمام أحمد -رحمه الله- كما في «مسائل أبي داود» (١٧٨٩):

« الاتباع : أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ ، وعن أصحابه ، ثم هو من بعد التابعين مخيَّر ».

وليس ثمة مخالفة بين هذه العبارة ، وبين عبارة الشيخ في اتباع ما ورد عن التابعين ، **فإن اتباع ما ورد عن التابعين مشروط بموافقة النصوص الشرعية** ، وإنما مقصد الشيخ - رحمه الله - باتباعهم هنا : هو عدم الخروج عن أقوالهم إلى قول آخر مخترع جديد ليس له إمام ، ولا قائل به من السلف ، وهذا هو نفسه الذي حثَّ عليه الإمام أحمد - رحمه الله - حين حذَّر تلميذه الميموني من مغبة الأقوال المخترعة ، الخارجة عن أقاويل أهل العلم ، وقد تقدَّم النقل عنه أنه قال له :

يا أبا الحسن ، إيَّاك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام .

ولا يُظن أن هذا القول دعوة إلى المذهبية ، وكيف يكون ذلك والإمام أحمد - رحمه الله - من أشد الناس تحذيراً من الرأي وأهله ، ومن أشدهم دعوة إلى الاتباع والسنن ، وإنما هو تحذير من الأقوال المخترعة الخارجة عن اجتهادات أهل العلم من السلف الصالح.

وقد صح عن الإمام أحمد - رحمه الله - التحذير من التقليد المذهبي ، والأخذ بآراء الرجال ، وتقديمها على النصوص ، فعند أبي داود في «المسائل» (ص:٣٦٧-٣٦٩) :

سمعت أحمد يقول : **لا يُعجبني رأي مالك ، ولا رأي أحد.**

وقال: سمعت أحمد - وقال له رجل: جامع سفيان نعمل به ؟ - قال : **عليك بالآثار**. =

○ فهم خاطئ لما تقدَّم :

وأنتم تسمعون في كثير من المناسبات أقوالاً يتلفظ بها بعض من ينتمي إلى العلم ، ولكن ليس هذا هو العلم الذي طريقه ما ذكرته آنفًا ، الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة ، وإنما يعنون بالعلم ما يفهمونه هم من الكتاب والسنة دون أن يرجعوا إلى العصمة التي تحفظهم من أن يكونوا من الفرق الضالة .(١)

= قال : وسمعت أحمد يقول : **أنا أكره أن يُكتب عني رأي.**

قال : وسمعت أحمد يقول : **ليس أحد إلا ويؤخذ من رأيه ويُترك ، يعني: ماخلا النبي ﷺ.**

قال : قلت لأحمد : أليس الأوزاعي هو أتبع من مالك ؟ قال : **لا تقلِّد دينك أحدًا من هؤلاء ، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به ، ثم التابعين بعدُ الرجل فيه مخيَّر.**

(١) قول الشيخ - رحمه الله - : « **وإنما يعنون بالعلم ما يفهمونه هم من الكتاب والسنة دون أن يرجعوا إلى العصمة التي تحفظهم....** » وصف لطريقة أهل الأهواء والبدع في الفهم للنصوص والاستدلال بها ، وهي تنبني على : تتبع النصوص الشرعية - لا سيما المتشابه منها - بعيدًا عن فهم الصحابة وعمل السلف ، وتناولها بالهوى والرأي، وبما يؤيد أفكارهم ومعتقداتهم وأهواءهم ، وقد نبهنا النبي ﷺ إلى خطورة هذا المنهج البدعي ، كما في حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - : أن النبي ﷺ تلا هذه الآية :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ =

لذلك تجدون وتسمعون في بعض ما يُنشر ويُطبع في العصر الحاضر، من رسائل أو من مقالات ، أن كثيرًا من هؤلاء الذين يدَّعون العلم ، أو ينتمون إلى العلم ، أو يزعم الجماهير أنهم من أهل العلم ، تسمعون منهم من يقول مخالفًا لكل هذه الأدلة التي ذكرنا آنفاً يقول:

= **﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ.....﴾** الآية [آل عمران: ٧] .

فقال ﷺ :

«يا عائشة ،إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله تعالى ، فاحذروهم» .(١)

والخوارج من أولى الفرق التي أعملت هواها في فهم نصوص الشريعة والعمل بها ، فاستباحوا دماء المسلمين بالباطل ، وخرجوا على الولاة والطاعة ، **وهم وإن كانوا أصحاب عبادة وصلاة وصيام وقيام ، إلا أنهم من الفرق الضالة ، التي مرقت من الدين مروق السهم من الرمية**، لأنهم لم يتبعوا سبيل المؤمنين ، بل اتبعوا الأهواء، وفسروا النصوص على غير طريقة السلف ، وعلى غير فهمهم.

وأهل الأهواء والبدع لم تسلم نصوص الكتاب العزيز من إفسادهم بالتأويل، والصرف عن الظاهر المراد، فكيف بنصوص السنة التي ردوها تارة بالشذوذ المزعوم، وتارة أخرى لأن العقل لايحتملها، وتارة ثالثة لأنها آحاد، وما كان من الآحاد فهو ظني الثبوت على حدٍّ زعمهم وتارة رابعة بالتأويل الفاسد ،وأما أهل السنة والجماعة فيقولون كما قال الله تعالى عنهم في الكتاب :

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

---

(١) أخرجه البخاري(٣/ ١١٠) ، ومسلم (٢٠٥٣) ، وأبو داود (٤٥٩٨) ، والترمذي (٩٩٣) ، وابن ماجة (٤٧).

« **مذهب السلف أسلم ، ومذهب الخلف أعلم وأحكم** ».[1]

هذا إعلان صريح مفضوح بأن هذا القائل وأمثاله ، يرجعون إلى ما

---

(١) هذه المقارنة بين مذهب السلف ومذهب الخلف مقارنة فاسدة ، مخالفة لنص حديث النبي ﷺ : « **خير الناس قرني. . .** » - والذي تقدَّم تخريجه - فإن هذا الحديث يقتضي تقديم القرون الثلاثة الأولى - وهي قرون السلف الصالح- على غيرهم في الخيرية والعلم والاتباع، ويدخل في عموم ذلك : الاعتقاد ، ومذهبهم في فهم النصوص والاستدلال بها ، وأما الخلف فهم دون هؤلاء - ولا شك - في كل شيء ، ومن كل جهة ، بل وردت الإشارة إلى ما وقع من هؤلاء من السوء والهوى ، فقال ﷺ في تتمة الحديث :

« **ثم يتخلَّف من بعدهم خلف ، تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته** ».

بل العلم في هذه القرون الخيرية أظهر وأشهر من غيرها من القرون التي جاءت بعدها، كما أن رفع العلم وانتشار الجهل والمعاصي أظهر في قرون الخلف ، كما دل عليه حديث النبي ﷺ:«**إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم،ويثبت الجهل ، ويُشرب الخمر،ويظهر الزنا** ».[1]

وكما دل عليه قول النبي ﷺ :

« **لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم** ».[2] =

---

(١) أخرجه البخاري (فتح :١/ ١٤٥) ، ومسلم (٤/ ٢٠٥٦) من طريق : أبي التياح ، عن أنس بن مالك به.

(٢) أخرجه البخاري(٤/ ٣١٥) ، والترمذي (٢٢٠٦) من طريق : الزبير بن عدي ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - به.

ذكرنا أنفًا من النصوص ، التي توجب عليهم أن يلتـفتوا إلى ما كان عليه السلف أصحاب النبي ﷺ من الهدى والنور .

فقول هؤلاء :

إن علم السلف أسلم وعلم الخلف أعلم وأحكم .

معنى ذلك : أنهم أعرضـوا عن اتباع السلف الذين أمـر النبي ﷺ باتباع سنتهم.

= ولا ريب أن هذه المقالة كما قال شيخ الإسلام -رحمه الله- [1]:

« شعبة من الرفض ، فإنه وإن لم يكن تكفيراً للسلف كما يقوله من يقوله من الرافضة أو الخوارج ، ولا تفسيقًا لهم ، كما يقوله من يقوله من المعتزلة والزيدية وغيرهم، كان تجهيلاً لهم، وتخطئة وتضليلاً ، ونسبة لهم إلى الذنوب والمعاصي، وإن لم يكن فسقًا فزعمًا : أن أهل القرون المفضولة في الشريعة أعلم ، وأفضل من أهل القرون الفاضلة ، ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة ، وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف: أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة ، أن خيرها : القرن الأول ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من غير وجه، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة : من علم، وعمل ، وإيمان ، وعقل ، ودين ، وبيان، وعبـادة ، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل ، هذا لا يدفـعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام ، وأضله الله على علم » .

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٥٧).

○ **أمثلة على مخالفة منهج السلف إلى منهج الخلف:**

ولئن أردتم بعض الأمثلة التي تبين الفرق بين من يتخذ هذا المنهج -السلف الصالح- منهجًا لهم ، وبين أولئك الذين يُعرضون عن هذا المنهج إلى اتباع الخلف ، بزعم أنهم أعلم وأحكم ، نقول:

على سبيل المثال : تجدون هؤلاء الذين لا يلتفتون إلى معرفة ما كان عليه سلفنا الصالح ، يأتون بأقوال وبأفكار وبمذاهب نقطع ببطلانها وبمخالفتها للكتاب والسنة ، لأنها على خلاف ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة والتابعون لهم بإحسان.

○ **التفريق بين أحاديث الآحاد وأحاديث التواتر وحكم ذلك:**

من أوضح الأمثلة على ذلك ، والتي يلهج بها بعض الناس في العصر الحاضر : **تفريقهم بين حديث الآحاد وبين حديث المتواتر** .

• إن هذا التفريق من أبرز الأدلة على خروجهم عن اتباع السلف الصالح، **لأنهم لا يعرفون شيئًا اسمه حديث متواتر وحديث آحاد**[1] ،

---

(١) تقسيم الأحاديث إلى آحاد ومتواتر من مباحث المتكلمين ، ومن اختراع أهل الأهواء ليردوا بها أحاديث الاعتقاد و أحاديث الصفات ، وهذا التقسيم كما قال أبو المظفر السمعاني- فيما نقله عنه أبو القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٢١٤)- :

« رأس شغب المبتدعة فى رد الأخبار ، وطلب الدليل من النظر والاعتبار فنقول، وبالله التوفيق : إن الخبر إذا صح عن رسول الله ﷺ ، ورواه الثقات والأئمة ، وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله ﷺ، وتلقته الأمة بالقبول: فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم. =

وبخاصة أن هؤلاء الخلف الذين اصطلحوا على هذا التفريق بين الحديث الآحاد وأحاديث المتواتر بنوا على ذلك حكمًا شرعيًّا .

فقالوا : بأن الحديث الآحاد ولو كان صحيحًا إذا كان قد تضمن عقيدة فلا يُؤخذ بهذا الحديث ولو كان صحيحًا، إلا إذا بلغ مبلغ التواتر.

هذا التقسيم الذي رُتِّب عليه هذا الحكم هو التفريق بين العقيدة ، فلا يُؤخذ فيها بحديث الآحاد ، وبين الأحكام ، فيُؤخذ فيها بحديث الآحاد.

= **هذا قول عامة أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة** ،وإنما هذا القول الذى يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ، ولا بد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به: **شيء اخترعته القدرية والمعتزلة،وكان قصدهم منه رد الأخبار**،وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم علم فى العلم وقدم ثابت،ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول، ولو أنصفت الفرق من الأمة لأقروا بأن خبر الواحد يوجب العلم،فإنهم تراهم مع اختلافهم فى طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب إليه بالخبر الواحد » .

وهذا التقسيم كما بيَّن الشيخ رحمه الله تقسيم مبتدع ،والحجة تقوم بالحديث الذي صح سنده ، وإن كان من طريق واحد ، سواءً كان في الاعتقاد ، أو في الأحكام ، لا فرق بينهما ، مادام السند صحيحًا ، ولم يُعل المتن بأحد أوجه الإعلال المعروفة عند أهل النقد ،وهو الذى عليه أئمة أهل الحديث ، وأهل السنة والجماعة ، ومحققو المتأخرين.

وقد نقل ابن عبد البر فى « التمهيد» (٨/١) هذا القول عن :

« قوم كثير من أهل الأثر ، وبعض أهل النظر ، منهم الحسين الكرابيسى وغيره، وذكر خواز بنداذ أن هذا القول يخرج على مذهب مالك» . =

هذا التقسيم ؛ مَنْ دَرَسَ ما كان عليه الصحابة ، وما كان عليه أتباعهم من بعدهم ، يقطع يقينًا بأن مثل هذا التقسيم هو دخيل في الإسلام ، وهي فلسفة يتبرأ منها الإسلام[1] ،وكلنا يعلم ، وهم يعلمون

= وإليه ذهب ابن حزم ، وبه أخذ ، ونقله عن داود الظاهرى ، والحارث بن أسد المحاسبى ، كما فى كتابه « الإحكام فى أصول الأحكام » (١/ ١١٥) .

وهو مذهب البخارى والشافعى .

فأما البخارى فأفرد له بابًا من أبواب « صحيحه » (٤/ ٢٥٢) فقال :

(**باب : ما جاء فى إجازة خبر الواحد الصدوق فى الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام**). وأورد فيه أخبارًا تدل على ما ترجم له .

وأما الشافعى فقال فى « الرسالة » (ص٤٠١) :

« **الحجة فى تثبيت خبر الواحد** » . ثم ساق الأدلة على ذلك .

وقد توسعنا في رد الشبه التي تمسك بها أهل الأهواء في التفريق بين الآحاد والمتواتر من حيث الحجية في كتابنا: « دفاعًا عن السلفية »(ص: ١٦٣)، وللشيخ رسالة نافعة في هذه المسألة باسم: «**الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام** ».

(١) قول الشيخ : « **وهي فلسفة يتبرأ منها الإسلام** » : وصف دقيق جدًا ، وتعبير شامل ، إذ أن هذه القاعدة في التفريق بين أحاديث الآحاد والمتواتر، وبين حكم الاحتجاج بالآحاد في الأحكام ، ورد الاحتجاج بها في العقائد من القواعد التي وضعها أهل الكلام ، والفلسفة ، والسفسطة ، والكلام والفلسفة ليسا من علوم الإسلام في شيء ، كما تواتر عن أهل السنة والجماعة والأئمة المتبوعين ، كالأئمة الأربعة ، وأئمة الأمصار .

---

(١) فلا حجة بعد ذلك فيما نقله ابن عبد البر من أن الشافعي يذهب إلى إثبات العلم دون العمل بأحاديث الآحاد .

أيضًا ولكنهم يجحدون ، كما قال الله عز وجل في غيرهم :

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾ [النمل : ١٤].

○ الدليل على حجية حديث الواحد :

فإنهم جميعاً يعلمون أن النبي ﷺ كان يُرسل أفرادًا من أصحابه ﷺ، يدعون الناس البعيدين عن المدينة ، حيث كان فيها النبي ﷺ ، كان يُرسل أفرادًا يدعونهم إلى الإسلام ، وليس الإسلام إلا ما جاء به الرسول ﷺ شاملاً كما لا خلاف في ذلك ، بينما كان عقيدةً ، وبينما أحكامًا.

ومن الأمثلة المشهورة في السنة الصحيحة التي يعرفونها ، ثم ينحرفون عنها : إرسال النبي ﷺ إلى اليمن تارةً معاذًا ، وتارةً أبا موسى الأشعري، وتارةً عليًّا.

ماذا كان يفعل هؤلاء الصحابة حينما أرسلهم رسول الله ﷺ إلى اليمن ؟ لا شك أنهم كانوا يدعونهم إلى الإيمان بالله ورسوله ، وهو أصل كل عقيدة ، ثم إلى الإسلام الذي جاء به ﷺ .

وقد جاء في « صحيح البخاري » وفي « صحيح مسلم »:

من حديث أنس - رضي الله تعالى عنه -:

أن النبي ﷺ لما أرسل معاذًا إلى اليمن ، قال له :

« **ليكن أول ما تدعوهم إليه : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فإذا هم أطاعوك فمرهم بالصلاة** .. » إلى آخر الحديث .[1]

(١) إنما ورد الحديث من رواية ابن عباس - رضي الله عنهما -.

والحديث : أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣) ، والبخاري(١/ ٤٣٠) ، ومسلم (١/ ٥١) ، وأبوداود (١٥٨٤) ، والترمذي (٦٢٥) ، والنسائي (٥/ ٢و٥٥) ،=

ففيه أن النبي ﷺ أمر معاذًا وهو فردٌ ، وحديثه في اصطلاح المتأخرين: حديث آحاد ، فأمره ﷺ أن يكون أول ما يدعوهم إليه : الاعتقاد بالله وحده لا شريك له : « **فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله**» فإذا أنتم قابلتم هذا الحديث المجمع على صحته بين المسلمين قاطبة ، بين متبعين للسلف ، والمخالفين لهم ، يعتقدون معنى أن النبي ﷺ أرسل معاذًا إلى اليمن، وأمره أن يدعوهم إلى شهادة ألا إله إلا الله، فكيف يعتقدون بصحة هذا الحديث ثم يقولون إن حديث الآحاد لا يؤخذ به في العقيدة.(٢)

من هنا يتبين لكم أن الحيد عمَّا كان عليه أصحاب النبي ﷺ من انتشارهم في الآفاق ، ودعوة الناس إلى الإسلام ، دون فلسفة التفريق بين حديث التواتر وحديث الآحاد، هذه المسألة وحدها تكفي لتبين لكل مسلمٍ عاقلٍ خطر الانحراف عن اتباع الكتاب والسنة وعن منهج السلف الصالح.

= وابن ماجة (١٧٨٣) من طريق: يحيى بن عبدالله بن صيفي، عن أبي معبد ، عن ابن عباس به .

(٢) هذه الحجة قوية جدًا، فما علمنا أحدًا ممن يرد الاحتجاج بحديث الآحاد من أهل البدع، رد الاحتجاج بهذا الحديث، بل هو مجمع على صحته كما قال الشيخ رحمه الله ليس لاتفاق «الصحيحين» عليه فقط ، بل لاتفاق الكتب الستة على إخراجه ، وتصحيح أهل العلم له ، وتلقيهم له بالقبول.

والحديث كما ترى لم يرو إلا من طريق ابن عباس ، ولم يروه عن ابن عباس إلا أبو معبد وأشار الترمذي إلى حديث الصنابحي في الباب، وهذا لا يكفي لتحقيق شرط التواتر.

○ الحاجة إلى معرفة عمل السلف إلى جنب دراسة الكتاب والسنة :

لذلك كان لزامًا على كل من يريد أن يكون على هذا المنهج السلفي كما يدرس الكتاب والسنة فعليه أن يدرس أيضًا ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم ، لأنهم هم الذين نقلوا إلينا هذه الدعوة على الوجه الصحيح.(١)

○ الاحتجاج على الخلفيين بأحاديث الآحاد التي تحتوي على الأحكام والعقائد :

وهذا المثال بين أيديكم ؛ تفريقهم بين حديث الآحاد وحديث التواتر، فهم يقولون بأن العقيدة لا تؤخذ إلا من حديث التواتر ، ولقد وقعوا في بعض الأحيان في متناقضات عجيبة جدًّا ، وذلك بسبب ابتعادهم عن هذا المنهج السلفي ،فإنَّ بعض النصوص الشرعية تتضمن في آن واحد عقيدةً وحكمًا ، كمثل قوله ﷺ - والحديث في «الصحيحين»

---

(١) هذه الشرط الذي ذكره الشيخ - رحمه الله - يدل على قوة بصيرته، وتمام نظره، إذ كيف يُعقل فهم النصوص الشرعية دون الرجوع إلى فهم السلف الصالح، والاحتجاج بعملهم ، ولا أكون مبالغًا إذا قلت: إن الشيخ من أوائل المعاصرين الذين أحيوا منهج معالجة نصوص الكتاب والسنة والاحتجاج بها على ضوء عمل السلف الصالح .

وقد عزف كثير من فقهاء المتأخرين - لا سيما المنتسبين إلى الأشعرية وأهل الكلام - عن هذا المنهج السلفي ، الذي هو في حقيقته عصمة من الخطأ والزلل، إلى طرق استنباط أهل الكلام ومن نحا نحوهم ، وقد تقدَّم التمثيل لذلك بحديث الرخصة في زيارة القبور ، ومخالفة الفقهاء من متأخري الشافعية لفهم أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - للنص الناسخ.

من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ - :

« إذا جلس أحدكم في التشهد الأخير ، فليستعذ بالله من أربع ، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال » .[1]

---

(١) قلت : قد ورد هذا الحديث في «الصحيحين» من رواية أم المؤمنين عائشة وأبي هريرة - رضي الله عنهما -.

فأما حديث أم المؤمنين - رضي الله عنها - :

فأخرجه البخاري(١/ ٢٦٨) ، ومسلم (١/ ٤١٢) ، وأبو داود (٨٨٠) ، والنسائي (٨/ ٢٦٢) من طريق : شعيب بن أبي حمزة ، عن الزهري ، عن عروة ابن الزبير ، عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - به.

وأما حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - :

فأخرجه البخاري (١/ ٤٢٣)، ومسلم (١/ ٤١٣) من طريق: هشام الدستوائي، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة.

وهذا الحديث حجة قوية على هؤلاء الخلفيين مثله مثل سائر الأحاديث التي احتوت على الأحكام والعقائد معًا مما تُعد في الآحاد والأفراد ، فإن هؤلاء الخلفيين يعتقدون ما فيها من جهة الأحكام تشريعًا يجب العمل به ، ولا يعتبرونه تشريعًا من جهة العقائد ، وهذا هو الضلال بعينه ،فإن النص متى ثبت لم يجز مخالفته ولا التوقف في العمل به بحجة أنه من أخبار الآحاد سواءً كان في العقائد أو في الأحكام ، لا عبرة بذلك التفريق عند أهل العلم والفهم والتمييز.

وقد احتج الأئمة العلماء من المتقدمين بأحاديث آحاد في أخص أبواب الاعتقاد وصفات الرب تعالى ،وهو مما تُنكره المبتدعة وأهل الأهواء أو يتأولونه على غير وجهه.

هذا الحديث فيه أمرٌ بالاستعاذة من هذه الأربع ، فهي مسألة فيها حكم من أحكام الشريعة ، وهم معنا على أن حديث الآحاد تثبت به الأحكام الشرعية ، لذلك لا يسعهم إلا أن يأخذوا بهذا الحديث ، وفيه الأمر بالاستعاذة من الأربع ، أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرِّ فتنة المسيح الدجال ، **فهل يعتقدون بعذاب القبر ؟**

هنا يقعون كما يُقال : « في حيص بيص » ، عذاب القبر عقيدة، وعذاب القبر في اعتقادهم لم يثبت بحديث متواتر ، ولذلك فهم لا يعتقدون بعذاب القبر ، اللهم إلا ما جاء ذكره في آية في القرآن في حق فرعون : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** ﴾ [غافر : ٤٦].

هذه النار يقولون :عذاب فرعون وآل فرعون ، أما عامة الكفار أولاً، ثم المسلمون الذين ثبت في حقهم شيء من عذاب القبر ؛ فهذا مما لا يؤمنون به ، وما ذاك إلا انطلاقًا من تلك العقيدة الباطلة،وهي قولهم : إن الحديث الصحيح ما لم يكن متواترًا لا تثبت به عقيدة ، ولذلك فهم ينكرون أحاديث كثيرة وكثيرة جدًّا ، بزعم أنها لم تصل مرتبة التواتر.

فأنتم مثلاً تعلمون - إن شاء الله - حديث البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : مرَّ النبي ﷺ بقبرين ، فقال :

«**أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة ، وأما الآخر لا يستنزه** - وفي رواية : **لا يستتر - من البول**» .

ثم أمر النبي ﷺ بأن يُؤتى له بغصن من نخيل ، فشقه شقين ، وضع على رأس كل قبر منهما شقًّا ، وسألوه عن ذلك ، فقال:

« لعل الله عز وجل يخفف عنهما ما داما رطبين ».[1]

هذا الحديث في «صحيح البخاري» ، وتسمعون أن النبي ﷺ صرَّح فيه بأنَّ هذين مسلمان ، ومع ذلك فهما يُعذبان ، فدعا الرسول ﷺ لهما بأن يخفف الله عنهما العذاب بقدر ما بقى هذان الغصنان رطبين .

كذلك هناك حديث آخر ، يقول فيه النبي ﷺ :

« استنزهوا من البول ، فإن أكثر عذاب القبر من البول».[2]

وهكذا ، فالأحاديث كثيرة وكثيرة جدًّا .

---

(١) أخرجه البخاري(١/ ٨٩) ، وأبو داود (٢١) ، والنسائي (٤/ ١٠٦) من طريق : منصور بن المعتمر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس .

وأخرجه الستة من طريق : الأعمش ، عن مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس به .

والروايتان فيما يظهر لي محفوظتان ، فإن مجاهد حافظ وإمام كبير ، فيحتمل أنه سمع الحديث أولاً بواسطة طاوس ، ثم سمعه مباشرة من ابن عباس ، وهذا محتمل ومتاح ، بل إخراج البخاري للروايتين يدل على ذلك ويؤكده.

(٢) الحديث بهذا اللفظ عند الدارقطني في «السنن»(١/ ١٢٨) من طريق :

محمد بن الصباح السمان البصري ، حدثنا أزهر بن سعد السمَّان ، عن ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة مرفوعًا به .

قال الدارقطني : « الصواب مرسل ».

قال الشيخ الألباني - رحمه الله - في «الإرواء» (١/ ٣١١) :

« هذا سند رجاله ثقات ، غير محمد بن الصباح هذا ، أورده الذهبي في «الميزان» ، فقال: «بصري ، عن أزهر السمان ، لا يُعرف ، وخبره منكر» ،=

من ذلك أيضًا - ولا أُطيل - قـوله ﷺ لما مرَّ بقبرين لمشـركين ماتا في الجاهلية ، قال ﷺ :

«لولا أن لا تدافنوا لأسمعتكم عذاب القبر».[1]

مع ورود هذه الأحـاديث في عذاب القـبر بالنسـبة لبعض المـشركين ولبـعض المسلمين ، مع ذلك عُطِّلت هذه الأحـاديث ، ولـم يُعـتـقد بهـا وبمضمـونها ، بفلسفـة أنها أحاديث آحـاد ، فماذا كان مـوقفهم بالنسـبة لحديث أبي هريرة رضي الله عنه :

« إذا جلس أحدكم في التشهد الأخير فليستعذ بالله من أربع.. ».

= وكأنه يعني هذا ».

وأخرجه ابن ماجة (٣٤٨) ، والدارقطني(١/ ١٢٨) من طريق أبي عوانة ، عن الأعمش، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ :

« أكثر عذاب القبر من البول».

قال الدارقطني : « **صحيح** » ، وهو كما قال.

وقد ورد الحديث باللفظ الأول **بسند صحيح** ولكن من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - عند ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٢٦).

وانظر « إرواء الغليل» (١/ ٣١٠).

(١) هذا الحديث أخرجه البخاري (١/ ١٨٧)،ومسلم (٢/ ٦٢٤) من طريق: فاطمة بنت المنذر ، عن أسماء بنت أبي بكر ، بلفظ :

« إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ».

منها : عذاب القبر ، إن استعاذوا بالله من عذاب القبر تنفيذاً لهذا الحكم الشرعي ، وهو واجبهم ، لأنهم لا يختلفون معنا في أنه يجب الأخذ بحديث الآحاد في الأحكام ، فهذا حكمٌ شرعي ، أمرنا الرسول ﷺ أن ندعو بهذا الدعاء في التشهد الأخير ، فإن هم أخذوا به كما هو قولهم ، وقولهم الحق لأنه معنا ، فكيف يأخذون به وهم لا يؤمنون بعذاب القبر -لا يصدِّقون بعذاب - ؟

فإذاً ؛ هم حيارى ضالين منحرفين بسبب الفلسفة التي خرجوا بها عما كان عليه أصحاب النبي ﷺ ، من عدم التفريق بين الأحاديث ، وجعلها تواتر .

○ موقف السلف والأئمة الأربعة من هذه المسألة :

لا تفريق عند السلف إطلاقًا ، ولا عند أحدٍ من الأئمة الأربعة الذين اتبعوا السلف الصالح في عقائدهم ، إلا من انحرف من أتباع الأتباع من بعض الفرق الضالة ، كالمعتزلة والخوارج ونحو ذلك ، فهؤلاء خالفوا سبيل المؤمنين فحق فيهم وعيد رب العالمين :

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥].

هذا مثال واضح جداً يؤكد لكم أن التمسك بالكتاب والسنة وحده لا يفيدهم ، فقد أنكروا السنة فيما يتعلق بما سمُّوه بحديث الآحاد ، فالعصمة العصمة : التمسك بماكان عليه السلف ، لذلك نجد أحد أئمتنا والذين لهم الفضل في إرشادهم إيانا إلى التمسك بهذا المنهج - منهج

السلف الصالح- في فهم الكتاب والسنة ، وأعني : ابن القيم - رحمه الله - الذي جمع هذا المعنى في بيت له من الشعر فقال - رحمه الله - :

العلم قال الله قال رسوله   قال الصحابة . . . .

لم يقتصر على قوله : «**العلم قال الله قال رسوله**» ، بل أضاف إليهما : «**قال الصحابة**» ، وقد عرفتم السبب في ذلك : الآية والأحاديث الصحيحة التي تدل على أن الفرقة الناجية هي التي تتمسك بما كان عليه السلف أصحاب النبي ﷺ .

لذلك قال ابن القيم - رحمه الله - :

العلم قال الله قال رسوله   قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة   بين الرسول وبين رأي فقيه
كلا ولا جحد الصفات ونفيها   حذراً من التعطيل والتشبيه

وفي هذا البيت الثاني من بيتي ابن القيم - رحمه الله - إشارة إلى مثال آخر غير المثال الأول ، الذي يتعلّق بتفريقهم بين حديث الآحاد وحديث التواتر ، فلا يأخذون بحديث الآحاد في العقيدة ، مع أن هذا خلاف ما كان عليه السلف من الأخذ بكل الأحاديث في كل ما يتعلق في الإسلام سواء كان عقيدةً أو حكمًا .

يشير ابن القيم - رحمه الله - في قوله:

كلا ولا جحد الصفات ونفيها   حذرًا من التعطيل والتشبيه

○ **مخالفة الخلف لمذهب السلف في الصفات :**

فإن من المنهج الذي سلكه هؤلاء الخلف ، خلافًا لمنهج السلف هو : تأويل الآيات وعدم اتباعها كما جاءت دون تأويل ودون تعطيل ، فالسلف رضي الله عنهم - ومنهم الأئمة الأربعة - قد ذهبوا في موقفهم من آيات الصفات وأحاديث الصفات إلى الإيمان بحقائق معانيها ، دون تشبيه ، ودون تعطيل .(١)

---

(١) قد وردت عبارات الأئمة ببيان هذا المذهب السلفي .

● قال الأوزاعي - رحمه الله - :

كان الزهري ومكحول يقولان :

أمروا هذه الأحاديث كما جاءت .(١)

● وقال سفيان بن عيينة -رحمه الله - :

كل ما وصف الله تعالى به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره ، ولا كيف ، ولا مثل .(٢)

● وعن أحمد بن نصر ، أنه سأل سفيان بن عيينة ، فقال :

حديث عبد الله : « **إن الله يجعل السماء على أصبع** » ، وحديث : « **إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن** » ، و «**إن الله يضحك ممن يذكره في الأسواق**»، وأنه عز وجل : « **ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة** » ونحو هذه الأحاديث ؟ فقال : =

---

(١) أخرجه اللالكائي (٧٣٥) ، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٩٦) ، والموفق المقدسي في «ذم التأويل» (ص: ٢٢) **بسند حسن** .

(٢) أخرجه الدارقطني في «الصفات» (٦١) **بسند صحيح** .

. . . .

= **هذه الأحاديث نرويها ، ونقر بها كما جاءت بلا كيف**.[1]

● وقال الوليد بن مسلم - رحمه الله - :

سألت مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، والأوزاعي عن الأخبار التي في الصفات ؟ فقالوا :

أمروها كما جاءت .[2]

● وقال ابن معين -رحمه الله - :

شهدت زكريا بن عدي يسأل وكيع بن الجراح ، فقال : يا أبا سفيان ، هذه الأحاديث ، يعني مثل : « **الكرسي موضع القدمين** »، فقال :

أدركنا إسماعيل بن أبي خالد ، وسفيان ، ومسعرًا يحدِّثون بهذه الأحاديث ، ولا يفسرون شيئًا.[3]

● وقال أبو عبيد :

ما أدركنا أحدًا يُفسر هذه الأحاديث ، ونحن لا نفسرها.[4] =

---

(١) أخرجه الدارقطني في «الصفات» (٦٣) **بسند صحيح**.

(٢) أخرجه أبو بكر الخلال في «السنة» (٣١٣) ، والدارقطني في «الصفات» (٦٧) ، والآجري في «الشريعة» (ص: ٣١٤) **بسند صحيح**.

(٣) أخرجه الدوري في «تاريخ ابن معين» (٢٥٤٣) ، ومن طريقه الدارقطني في «الصفات» (٥٨) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٥٩) **بسند صحيح**.

(٤) أخرجه الدارقطني في «الصفات» (٥٧) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٦٠) ، واللالكائي (٩٢٨) ، والآجري في «الشريعة» (ص: ٢٥٥) **بسند صحيح**.

= ● وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن :

الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، ومن الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق.[1]

فهؤلاء جماعة السلف وأئمتهم قد اتفقت كلمتهم على هذا المذهب ، وتابعهم عليه من بعدهم من علماء الملة المحققين ، وأئمتها المعروفين.

● قال الخلال : أخبرنا المرُّوذي ، قال : سألت أبا عبد الله - وهو الإمام أحمد ابن حنبل - عن أخبار الصفات ، فقال :

نُمرُّها كما جاءت.[2]

● وقال أبو بكر الحميدي عبد الله بن الزبير وهو من شيوخ البخاري -رحمهما الله - :

« أصول السنة عندنا ....فذكر أشياء ، ثم قال :

وما نطق به القرآن والحديث ، مثل : ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أيْدِيهِمْ﴾ ومثل :﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ..﴾ وما أشبه هذا من القرآن والحديث،لا نزيد فيه ولا نُفسره،ونقف على ما وقف عليه القرآن والسنة،ونقول: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ومن زعم غير هذا فهو معطل جهمي ».[3] =

---

(١)أخرجه الذهبي في «العلو» (٣٥٢) **بسند صحيح.**

(٢) كذا عزاه الموفق في «ذم التأويل» (ص:٢٦) إلى الخلال ، **وسنده صحيح** ، وهو في «السنة» للخلال (٢٨٣) بأطول من هذا اللفظ.

(٣) ضمن اعتقاده المطبوع بذيل «المسند».

. . . .

= ● وقال أبو عثمان الصابوني -رحمه الله - :[١]

« إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة ، حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم ، يشهدون لله تعالى بالوحدانية ، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة ، ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه ، ويثبتون له جل جلاله منها ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، ولا يعتقدون تشبيهًا لصفاته بصفات خلقه ، فيقولون : إنه خلق آدم بيده ، كما نص سبحانه عليه في قوله - عز من قائل - : ﴿ **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ ولا يحرفون الكلام عن مواضعه ، بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين ، تحريف المعتزلة والجهمية أهلكهم الله، ولا يكيفونهما بكيف ، أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين ، تشبيه المشبهة خذلهم الله. . . . . .وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ، ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة واليقظة والفرح والضحك وغيرها من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين ، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى ، وقاله رسوله ﷺ من غير زيادة عليه ، ولا إضافة إليه ، ولا تكييف له ، ولا تشبيه ، ولا تحريف ، ولا تبديل ، ولا تغيير ، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر ، ويُجْرونه على الظاهر ، ويكلون علمه إلى الله تعالى ، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله ، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى : ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾ ».

(١) « اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة »(ص: ٢١).

○ **الكلام على التشبيه والتعطيل:**

التشبيه من مذهب المشبِّهة ، والتعطيل من مذهب المؤوِّلة [(١)]، أما السلف فقد جمعوا إثبات معاني الصفات على حقائقها ، مع تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهته للحوادث ، والنص القرآني في ذلك صريح - كما تعلمون - ، ألا وهو قوله عز وجل :

﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى : ١١].

﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾: تنزيه ، فوقعوا في **التعطيل : وهو إنكار صفات الله عز وجل** إلى عباده ، حينما وصف نفسه ببعض الآيات وفي بعض

---

(١) قول الشيخ - رحمه الله - :« **التشبيه من مذهب المشبِّهة ، والتعطيل من مذهب المؤوِّلة** » ؛ **التشبيه**: معناه تشبيه الرب تعالى بأحد من خلقه ، أو تشبيه إحدى صفاته بصفة من صفات المخلوقين أو المُحْدثين ، كأن يُقال : يد كيد ، وقدم كقدم ، وبصر كبصر ، ونحوها، وأما اتفاق الصفات في الأسماء فلا يقتضي تشبيه الخالق بالمخلوق ، وفي ذلك يقول ابن منده - رحمه الله - : «التمثيل والتشبيه لا يكون إلا بالتحقيق ، ولا يكون باتفاق الأسماء،وإنما وافق اسم النفس اسم نفس الإنسان الذي سماه الله نفسًا منفوسة ، وكذلك سائر الأسماء التي سمى بها خلقه إنما هي مستعارة لخلقه،منحها عباده للمعرفة ».[(١)]

وأما التعطيل: فمقتضاه النفي،وإن ترخص صاحبه رام التأويل وهو نوع أخف من النفي، مقتضاه صرف المعنى المراد الظاهر،إلى معنىً آخر بعيد ، فالتأويل من شعب التعطيل، كما أن الأشاعرة والمعتزلة من شعب الجهمية ، فإنهم جميعًا من النفاة على اختلاف درجاتهم في النفي، وأما المشبهة فقد بالغوا في الإثبات حتى=

---

(١) بواسطة «الحجة في بيان المحجة» لأبي القاسم الأصبهاني (١/ ٩٣).

الأحاديث ، فعطَّل الخلف معاني هذه الآيات ، لإخراجها عن معانيها الظاهرة.

زعموا أنهم فعلوا ذلك من باب التنزيه ، فخالفوا الآيات ، **وخالفوا السلف الصالح الذين كانوا يُمرونها على معانيها الظاهرة والمعروفة في اللغة العربية** ، مع تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهته للمخلوقات.

○ القاعدة السلفية في إثبات الصفات:

وأنتم تعلمون أن من الأئمة الأربعة إمام دار الهجرة مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فقد أصبح معلومًا لدى الخاصة والعامة ما ثبت عنه **بالسند الصحيح**: جاء رجلٌ يسأله قال : يا مالك ، ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**﴾ كيف استوى ؟ قال: **الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة ، أخرجوا الرجل فإنه مبتدع** .[1]

= خرجوا عن الظاهر المراد إلى التشبيه المذموم الممنوع ، وأما السلف فوسط بين هؤلاء جميعًا ، فإنما أثبتوا ما ورد في الكتاب والسنة الثابتة في ذلك ، مع معرفتهم بحقائق معانيها، وأما الكيف فإلى الله تعالى، مع تنزيهه سبحانه عن الشبيه والمثيل ونبذ التأويل والتعطيل.

(١) قد وردت هذه الحكاية عن الإمام مالك -رحمه الله- من طرق عدة ، مفاريدها ضعاف ، ولم أقف لها على سند صحيح لذاته أو على الأقل حسن ، ولعل هذا يكون من قصور جهدي ، وقلة بضاعتي[1] ، إلا أنه ولله الحمد والمنة=

---

(١) وقد صححه عن مالك الإمام الذهبي ، فقال في «العلو» (ص:١٣٩) :

«هذا ثابت عن مالك، وتقدَّم نحوه عن ربيعة شيخ مالك، وهو قول أهل السنة قاطبة».

وانظر ما علَّقه الشيخ - رحمه الله - في الرد على حسان عبد المنان في رده هذا القول جملة وتفصيلاً واحتجاجًا في كتابه : « النصيحة » (ص:١٠٥).

لقد أجاب هنا الإمام مالك - رحمه الله - بجواب شافٍ وافٍ ، حيث بيَّن أن الاستواء في اللغة العربية معلوم ، وهو العلو أي أن قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ يعنى : استعلى .

ولذلك يقول كل مسلم يعبد الله ساجدًا : سبحان ربى الأعلى ، فأجاب مالك بأن الاستواء المذكور فى الآية **معلوم لغةً** ، لكن أنت تسأل

= ثابت من قول شيخ الإمام مالك ربيعة بن أبي عبد الرحمن .

فقد أخرج الذهبي في كتابه «العلو» (٣٥٢) **بسند صحيح** إلى سفيان الثوري، قال : كنت عند ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فسأله رجل ، فقال: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**﴾ كيف استوى ؟ فقال : **الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق** .

وهو مخرَّج عند اللالكائي (٦٦٥) ، وابن قدامة في «العلو» (٩٠) من طريق آخر عن ابن عيينة ، عن ربيعة به ، ومن تأمل هذه العبارة تبينت له أمور :

« **الأولى** : كيفية الصفات مجهولة للعباد.

والثاني : معاني الصفات معلومة من لسان العرب ولغتها .

والثالث : الإيمان بالصفة كما أخبر الله بها ، مع الجهل بكيفيتها ، والعلم بمعناها واجب، لأنه داخل في عموم الإيمان بالله تعالى .

والرابع : إن الزيادة والنقص بالسؤال والخوض فيها بدعة مذمومة لم تُعرف عند السلف، لما تتضمن من القول على الله تعالى بغير علم ».(١)

---

(١) مابين القوسين نقلاً عن كتاب «العقيدة السلفية» للشيخ عبد الله بن يوسف الجديع (ص:٥٨).

عن التكييف كيف استوى ؟

الكيف مجهول ، لأن الحق أن صفات الله عز وجل يُقال فيها ما يُقال في ذاته عز وجل[١] ، فكما أن كل مسلم يُثبت وجود الله تعالى ذاته ، كذلك يثبت صفاته عز وجل ، وكما أنه عاجزٌ عن أن يكيف ذات الله تبارك وتعالى، فكذلك هو عاجزٌ أن يكيف شيئًا من صفات الله تبارك وتعالى ، ولذلك قال : **والكيف مجهول والسؤال عنه** - أى عن الكيف - **بدعة ، فأنت مبتدع** ، لذلك أمر بطرد الرجل من ذلك المجلس الذي كان فيه مالك رحمه الله تبارك وتعالى .

---

(١) وهذا هو المعتمد عند أئمة العلم من أهل السنة والجماعة ، قال الخطيب البغدادي في جزئه في «**الكلام على الصفات**» :

« أما الكلام في الصفات ، فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف - رضي الله عنهم - إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ، ونفي الكيفية ، والتشبيه عنها .

والأصل في هذا : أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات ،ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله ، فإذا كان معلومًا أن إثبات رب العالمين عز وجل إنما هو إثبات وجود، لا إثبات تحديد وتكييف ، فكذلك إثبات صفاته ، إنما هو إثبات وجود ، لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا : لله تعالى يد وسمع وبصر ، فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله تعالى لنفسه ، ولا نقول : إن معنى اليد القدرة ، ولا أن معنى السمع والبصر العلم ».

وهذا الاعتقاد قد أخرجه ابن قدامة بسنده في «ذم التأويل» (ص: ١٧-١٨)، وورد بأسانيد صحيحة كما بيناه في أصل الجزء ، وهو مطبوع قديمًا بتحقيقي.

فإذاً ؛ **مذهب السلف : الإيمان بآيات الصفات وأحاديث الصفات على المعنى اللغـوي ، دون تأويل لأنه تـعطيل ، ودون تشـبـيه لأنه يـنافي التنزيه** المصرَّح به في قوله تعالى:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ .

○ **التعطيل عند أهل البدع من الروافض والأشاعرة والماتريدية والمعتزلة :**

إن بعض المذاهب الموجودة اليوم على وجه الأرض بعضها ليست من أهل السنة ، كالرافضة وأمثالهم ، فهم معطِّلة فيما يتعلق بالصفات الإلهية، أى إنهم على مذهب المعتزلة قديمًا ، والمعتزلة قد أوَّلوا كثيرًا من الآيات التي خالفـهم فيـها بعض الخلف من الأشـاعرة والماتريدية ، أي أن الأشـاعرة والماتريدية يلتقون مع المعتزلة في تأويلهم لبعض الآيات ، منها آية الاستواء مثلاً ، فإنهم يفسرونها بالمعنى المبتدع ، وهو في الواقع ضلال وقعوا فيه ، من حيث أرادوا في زعمهم الفرار من الضلال حينما فسَّروا قوله تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾ .

أي - قالوا - : « **استولى** » .

لا أريد أن أقف هاهنا ، قد أعود إليه إن ساعد الوقت ، لكن أريد أن ألفت النظر إلى أن بعض الفِرَق من الذين يتـمسكون بمذهب الخلف في الآيات - آيات الصفات وأحاديث الصفات - يلتقون مع المعتزلة في تأويل بعض هذه الآيات ، ويخالفونهم في بعضها ، من هذه الآيات:

أن المعتزلة حينما وقفوا عند الآية السابقة : **﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾** في الآية كما ترون تنزيه لله عز وجل ، وإثبات له صفتي

السمع والبصر ، ماذا قالت المعتزلة في هاتين الصفتين ؟ هل قالوا كما قال رب العالمين : وهو السميع البصير ؟

○ تأويل المعتزلة صفتي السمع والبصر بالعلم:

لا بل تأولوا صفتي السمع والبصر بالعلم ، وهذا هو التعطيل ، فقالوا: ليس كمثله شيء تنزيه ، فهنا يتفقون معنا في التنزيه ، لكنهم غلوا في التنزيه كما أشرتُ آنفاً ، **فقالوا: وهو السميع البصير أي العليم** ، فعطَّلوا صفة السمع والبصر.

○ مخالفة الأشاعرة والماتريدية للمعتزلة في ذلك:

أما الماتريدية والأشاعرة الذين يلتقون مع المعتزلة كما ذكرت آنفًا في تأويل بعض آيات الصفات وأحاديث الصفات ، فإنهم هاهنا وقفوا مع المذهب السلفي ، فقالوا: وهو السميع البصير ، أي لله صفة السمع والبصر.

ولكن ماذا فعلوا حينما قيل لهم من المعتزلة هذا تشبيه لأن الإنسان له سمع وله بصر بشهادة القرآن حيث قال عز وجل عن الإنسان الأول آدم عليه الصلاة والسلام : ﴿ **فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ [الإنسان :٢].

فقالت المعتزلة : فإذا قلنا بأن لله صفة السمع والبصر فقد شابهناه بالمخلوقات.

أجاب الأشاعرة والماتريدية هنا بجواب السلف الصالح حيث قالوا : نحن نصف الله عز وجل بما وصف به نفسه ،فنقول : ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ ، ولكن : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ .

فنقول لهؤلاء الماتريدية والمعتزلة : كونوا مع السلف الصالح في آيات الصفات وكل أحاديث الصفات ، أثبتوا ما أثبت الرب لنفسه من الصفات مع التنزيه ؛ ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ .

فهل التزموا هذا المنهج ؟!!

حملهم على القاعدة التي ذهبوا إليها منحرفين عن الآيات والأدلة المصرحة ، أن السلف الصالح رضي الله عنهم ورضوا عنه - حيثُ قالوا: علم الخلف أعلم وأحكم أما علم السلف فهو أسلم فقط - كأنهم جعلوا علم السلف عبارة عن علم دراويش لا يتعمقون في فهم النصوص ، أما الخلف فهم الأعلم وهم الأحكم ، فكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا .(١)

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :

« إن هؤلاء المبتدعين الذين يفضِّلون طريقة الخلف -من المتفلسفة ومن حذا حذوهم - على طريقة السلف إنما أُتوا من حيث ظنوا : أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك ، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم : ﴿ **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ** ﴾ وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ، فهذا الظن الكاذب أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر ، وقد كذبوا على طريقة السلف ، وضلوا في تصويب طريقة الخلف ، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم ، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف».

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٩).

○ **اضطراب الأشاعرة والماتريدية في الصفات:**

فهم في الواقع مضطربون أشدَّ الاضطراب ، فهم تارة سلفيون في بعض الصفات ، والمثال بين أيديكم قالوا : ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ .

له صفة السمع والبصر ، لكن سمعه ليس كسمعنا ، وبصره ليس كبصرنا .

قلنا : هذا حق ، فلماذا لم تقولوا : الرحمن استوى ؟!

○ **تفويض المعنى ومجانبته لمذهب السلف:**

استوى : أي «استعلى» استعلاءً يليق بكماله ، وإنما تأولتم الاستعلاء بمعنى «استولى» ، وليتكم لم تؤولوا هذا التأويل ، ووقفتم موقف بعض الناس الآخرين الذين لم يقفوا لا مع عقيدة السلف ولا مع عقيدة الخلف من المعتزلة وغيرهم ، **فقالوا: نحن نفوِّض**.[1]

(١) التفويض هنا هو تفويض المعنى ، وينسب ابن حجر - رحمه الله - إلى هذا المذهب، والصواب من تتبع كلامه في «الفتح» أنه يثبت بعض الصفات إثبات السلف ، ويفوِّض بعض الصفات ، ويوافق الأشاعرة في بعض الصفات من حيث التأويل ، ولربما ذكر مذاهب الناس في الصفة سواء السلف أو الخلف ، ثم يسكت ولا يُبدي ترجيحًا، والحقيقة أن في كلامه في أبواب الصفات اضطرابًا كبيرًا، فإنه لم يثبت فيه على مذهب ، هذا مع كونه رد على الأشاعرة في بعض المسائل العقدية .

والفرق بين هؤلاء المفوِّضة وبين أهل السنة والسلف أن التفويض عند أهل السنة هو تفويض الكيف ، بعد إثبات الصفة ، ومعرفة معناها من لغة العرب ، وأما مفوِّضة المعنى فلا طائل من وراء إثباتهم إلا إثبات اسم الصفة ، وأما معناها=

○ واقع كثير من الدعاة اليوم في مخالفة مذهب السلف :

وهنا يجب أن تنتبهوا إلى أن كثيراً من الدعاة الإسلاميين اليوم ، ممن لم يُؤتوا حظًّا من العلم بالكتاب والسنة ، يتحاشون الخوض في اتباع السلف فيما نحن في صدده في هذا المثال الثاني ، وهو اتباعهم في إيمانهم بآيات

= فلا يخوضون فيه ، وهو مخالف لما تقدَّم ذكره وبيانه من مذهب السلف ، والذي دلت عليه عبارة الإمام مالك ، ومن قبله شيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن - رحمهما الله- في الاستواء، وأن المعنى معلوم عند العرب، وهو الذي ذكره الشيخ - رحمه الله - فقال : أي استعلى ، وأما الكيف فهو مجهول ، ولا نخوض فيه ، بل نكل علمه إلى الله تعالى مع تنزيهه سبحانه عن النقص وصفات المُحْدِثين .

هذا وقد وقع التعبير بـ «**تفويض المعنى**» عند بعض أهل العلم من أهل السنة والجماعة كالذهبي وابن قدامة المقدسي .

فأما الذهبي - رحمه الله - فقال في «السير» (٨/ ١٠٥) :

« فقولنا في ذلك وبابه : الإقرار ، والإمرار ، **وتفويض معناه إلى قائله الصادق المعصوم** » .

وقد عبَّر - رحمه الله - بـ « **المعنى** » هنا عن « **الكيف** » ، والدليل على ذلك أنه لما أورد قاعدة الإمام مالك - رحمه الله - في «الاستواء» في كتابه «العلو» (٢/ ٩٥٤) ، قال :

« هذا ثابت عن مالك ، وتقدَّم نحوه عن ربيعة شيخ مالك ، وهو قول أهل السنة قاطبةً : **أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها ، وأن استواءه معلوم كما أخبر به في كتابه** ، وأنه كما يليق ، لا نعمق ، ولا نتحذلق ، ولا نخوض في لوازم=

. . . .

= ذلك نفيًا ولا إثباتًا ، بل نسكت ونقف كما وقف السلف. . . ».

ففرَّق - رحمه الله - بين الكيف والمعنى ، ففوَّض الكيف ، وأثبت المعنى.

وأما ابن قدامة المقدسي - رحمه الله - فقد وقع التعبير عنده بـ « **تفويض المعنى**» في كتابه « ذم التأويل» (ص: ١١) حيث قال :

« وعلموا أن المتكلم بها صادق لا شك في صدقه فصدَّقوه ، **ولم يعلموا حقيقة معناها ، فسكتوا عما لم يعلموه** ».

وأيَّد أن المقصود بـ « **التفويض**» هنا هو «**المعنى**» لا «**الكيف**» قوله في «لمعة الاعتقاد» (ص: ٣١) :

« **وما أُشكل من ذلك وجب إثباته لفظًا ، وترك التعرض لمعناه** ، ونرد علمه إلى قائله ، ونجعل عهدته على ناقله ».

وقد اعترض عليه بعض المحققين من الأئمة كالشيخ العلاَّمة محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية سابقًا ، فقال - رحمه الله - :[1]

«**وأما كلام صاحب اللمعة ، فهذه الكلمة مما لوحظ في هذه العقيدة ، وقد لوحظ فيها عدة كلمات أُخذت على المصنف**،إذ لا يخفى أن مذهب أهل السنة والجماعة هو **الإيمان بما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته لفظًا ومعنىً، واعتقاد أن هذه الأسماء والصفات على الحقيقة لا على المجاز ، وأن لها معاني حقيقية تليق بجلال الله وعظمته** ، وأدلة ذلك أكثر من أن تُحصر ، ومعاني هذه الأسماء ظاهرة معروفة من القرآن كغيرها، لا لبس فيها ولاإشكال، ولا غموض=

(١) « فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم » (١/ ٢٠٢-٢٠٣).

الصفات وأحاديث الصفات على المفهوم العربي مع التنزيه.

إنهم لا يريـدون أن يكونوا سلفـيين ، ولا يريدون أن يـكونوا من المعتزلة، فيقولون : نحن نفوِّض هذه المعاني التي جاءت في آيات الصفات

= فقد أخـذ أصحاب رسول الله ﷺ عنه القـرآن ، ونقلوا عنه الأحاديث، ولم يستشكلوا شيئًا ».

وقال العلاَّمة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - :[1]

« **مذهب السلف هو التفويض في كيفية الصفات لا في المعنى ، وقد غلط ابن قدامة في «لمعة الاعتقاد» ، وقال بالتفويض ، ولكن الحنابلة يتعصَّبون للحنابلة ، ولذلك يتعصَّب بعض المشايخ في الدفـاع عن ابن قدامة، ولكن الصحيح أن ابن قدامة مفوِّض** ».

قلت : من اعتذر عنه فقد حسَّن به الظن ، وهو واجب في حقه ، فإنه إمام من أئمة السنة والجماعة .

وقد قال في حقه شيخ الإسلام ابن القيم - رحمه الله - : [2]

« قول شيخ الإسلام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد المقدسي ، **الذي اتفقت الطوائف عى قبوله وتعظيمه وإمامته ، خلا جهمي ، أو معطِّل** ».

وإن قصد بالتفويض هنا : « **تفويض المعنى** » ، فهي زلة ولا شك ، ولا يتابع عليها ،والله الموفق.

---

(١) « فتاوى الشيخ عبد الرزاق عفيفي » (١/ ١٥٣).

(٢) « اجتماع الجيوش الإسلامية » (ص: ١٩١).

الصفات وأحاديث الصفات على المفهوم العربي مع التنزيه.

إنهم لا يريـدون أن يكونوا سلفــيين ، ولا يريدون أن يـكونوا من المعتزلة، فيقولون : نحن نفوِّض هذه المعاني التي جاءت في آيات الصفات وفي أحاديث الصفات ، فسُمُّوا بـ « **المفوِّضة** ».[1]

ومعنى « **المفوِّضة** » هنا: هو الجهل بعشرات الآيات والأحاديث التي جاءت عن النبي ﷺ ، والتي كما قلنا آنفاً تعـرَّف بها إلى عباده ، عرَّفهم

---

(١) تفويض المعنى مذهب قديم مـعلوم معروف عند الخلف ، وهو مذهب وسط بين التأويل الخلفي ، والإثبات السـلفي ، إلا أنه مذهب في ذاته يخالف مذهب السلف الصالح.

وأما اعتناق كثير من الدعاة الإسلاميين اليوم له فهو من التمييع المعروف لدي الكثير منهم لاعـتقاد السلف الصالح ، ومنهج الأئمة ، بدعـوى ما يُسمى بـ : «**مصلحـة الدعوة**»، مستـدلين على ذلك بتلك الكلمة التي لطالما ترددت على ألسنة كثير من الجهلاء : « **نتعاون فيما اتفقنا عليـه ، ويعذر بعضنا البعض فيما اختلفنا فيه** » ، وهذه قاعدة مردودة جملةً وتفصيلاً ، اللهم إلا إذا كان الاتفاق في الاعتـقاد ، والخلاف واقع في مسـائل الأحكام التي لم يرد فيها إجـماع ، وكان النزاع فيـها قائمًا ، فـالعذر واجب بين المختلفين إن كانوا أهلاً للاجـتهاد والفتـيا ، وأحيل القاريء الكريم إلى كـتاب : « **زجر المتـهاون بضرر قـاعدة المعذرة والتعاون** » ، للشيخ : حمد بن إبراهيم العـثمان - حفظه الله - وهو كتاب نافع جدًا في بيان خطر هذه القاعدة وسقوطها، وضررها على الأمة،وقد قدَّم لها كل من أصحـاب الفضيلة: الشيخ : صالح الفـوزان ، والشيخ : عبد المحسن العبَّاد حفظهما الله تعالى .

ببعض صفات غيب الغيوب إن صح التعبير ،[1] وهو الله تبارك وتعالى ، فجهلوا هذه المعاني كلها ، قالوا : الله أعلم بمراده ، ليت هؤلاء الذين تأولوا الاستواء بقولهم : «**استولى**» ليتهم صمتوا ،وليتهم سكتوا ،

(١) الأولى التعبير عن الرب تعالى بما عبَّر به عن نفسه ، أو بما عبر به النبي ﷺ عنه ، أو بما ورد عن الصحابة ، وعدم تجاوز عبارات السلف في ذلك ، والشيخ - رحمه الله - من أشد الناس تمسكًا بذلك ، وانظر ما علَّقه في هذه المسألة في مقدمة مختصر «العلو» (ص:١٨-١٩) ، ولذلك فقد أردف بقوله : « **إن صح التعبير** » تورعًا منه - رحمه الله - ، والتعبير بخلاف الوصف ، فإن الوصف توقيفي .

وقد سئل الشيخ - رحمه الله - :[1]

نُسب إليكم أنكم تقولون : « **إن مؤسس الدعوة السلفية هو الله** » ، فهل هذا صحيح ؟ وإن كان صحيحًا ، فكيف ننسب إليه صفة لم ينسبها لنفسه ؟

فأجاب - رحمه الله - بقوله :

« نعم قلت ذلك ، **وهذه ليست صفة ، فالتحدث عن الله عز وجل بلغتنا للتعبير عن حقيقة واقعة هذا لا يعني أننا نصف الله بما لم يصف به نفسه** ، فإذا قلت : - ردًا على من يقول : فلان مؤسس الدعوة الفلانية - المؤسس : الله، هو الذي أسس بنيان هذا الكون ، فهذا ليس وصفًا مما اتفق عليه العلماء أنه لا يجوز إطلاقه على الله ، فالتأسيس ليس من أمر البشر ، وإنما هو أمر رب البشر ». =

(١) « فتاوى المدينة » (سؤال : رقم ٤٨).

وفوَّضوا ذلك، لأن الذي فروا منه - ما الذي فروا منه ؟ - إذا قال الإمام مالك : **الاستواء معلوم** ، وهو: الاستعلاء ، قـالوا : الاستعلاء أنَ الله عز وجل في جهـة، أي جهة العلو، فقالوا : إذًا نحن لا نقـول بالجهة ، فـلا نقول بالعلو لله عـز وجل ، إذاً ما مـعنى ﴿ **الرَّحْـمَنُ عَلَى العَـرْشِ اسْتَوَى** ﴾ ؟قالوا: . . . .

○ **الرد على من قال: الاستواء بمعنى الاستيلاء:**

سبحان الله ، « استولى » تقتضي باللغة العربية أن هناك كانت توجد مغـالبة بين الله عز وجل وبين غـيره ، ومن يكون هذا الغيـر سوى بعض خلقه، فاستولى الله على ملكه !! **من يقول هذا الكلام؟!!**

= وهو تمامًا الذي أفتى به الشـيخ عبد الرزاق عفيفي - رحـمه الله - حينما سُئل :

هل يجـوز الإخبـار عن الله تعـالى بأنه (واجب الوجـود) ؟ فأجـاب جوابًا تضمن قوله : « يصح الإخبار عن الله تعـالى بأنه (واجب الوجود)، **وهذا من باب الإخبار ، لا من باب الصفة** ».[1]

وهو ما نصَّ عليه شيخ الإسلام ابن القيم - رحمه الله - قال :[2]

« **إن ما يُطلق عليه في باب الأسماء والصفـات توقيفي ، وما يُطلق عليه من الإخبـار لا يجب أن يكون توقيـفيًا ، كـالقديم ، والشيء ، والموجـود ، والقائم بنفسه**».

---

(١) « فتاوى الشيخ عبد الرزاق عفيفي » (١/ ١٦٤).

(٢) «بدائع الفوائد» : (١/ ١٦٢)

لقد عرفوا ، وصرح أحد كبارهم من المنحرفين عن السلف الصالح في تأويل آيات الصفات وأحاديث الصفات ، لقد صرَّح بأن قولنا في تأويل الآية : «استوى» بمعنى «استولى» بسحب معنى المغالبة ، أي لقد عَطَّل نفس المعنى الذي فسر به الآية ، إذا سحبنا معنى المغالبة فلم يبق هناك معنىً ، وهذا في الحقيقة تعطيل لهذا النص ، كما عطَّلوا آيات الصفات وأحاديث الصفات.

من أجل ذلك يعجبني ما رُوي عن أحد أئمتنا ابن القيم - أو ابن تيمية - رحمه الله، أنه قال:

إن المجسمة يعبدون صنمًا ، والمعطلة يعبدون عدمًا .(٣٤)

يعبدون شيئًا لا وجود له ، وهذا في الواقع صريح جدًا حينما ينفون عن الله عز وجل صفة العلو الثابت ، ليس في آية الاستواء فقط ، بل في آيات كثيرة وأحاديث عديدة لسنا الآن في صددها.

فكُتب أئمة السلف مطبوعة ومنشورة ، والحمد لله ، ولكن حسبي أن أذكر الآن ما جاء عن بعض أئمة الخلف ، أنه في سبيل الزعم الذي ادعوه من التنزيه لله عز وجل ، ونفوا عنه هذه الصفة - صفة العلو - قالوا : ربنا عز وجل لا يُقال - ولا يُوصف - بأنه فوق ، ولا تحت ، ولا يمين ولا يسار ، ولا أمام ، ولا خلف ، لا داخل العالم ، ولا

(٣٤) الشطر الثاني ورد عن جماعة من السلف والأئمة منهم ابن المبارك وعلي بن المديني، وجماعة من أهل العلم والتحقيق والسنة ، وقد نقل عنهم عباراتهم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - .

فانظر «مجموع الفتاوى» (٥/ ٥٢-٥٣).

خارجه ، هكذا يقولون في معبودهم - الله - !!

تقول المعطِّلة : الله لا فوق ، ولا تحت ، لا يمين ، ولا يسار ، لا أمام ، ولا خلف ، لا داخل العالم ، ولا خارجه !!

لو قيل - لأفصح الناس بيانًا - : صف لنا المعدوم ؟ لما استطاع أن يصفه بأكثر مما يصف هؤلاء المعطلة معبودهم - الحق سبحانه وتعالى - حيث قالوا: لا فوق ، لا تحت ، لا يمين ، لا يسار . . . إلى آخر هذه العبارة.

ولذلك لما اجتمع بعض علماء الخلف في عهد ابن تيمية - رحمه الله- وشكوه إلى الأمير ، الذي كان يومئذٍ في دمشق ، بأن هذا يخالف العلماء، وأنه يجسِّم الله عزوجل ، ويشبهه بالمخلوقات ، طلبوا أن يعقد لهم مجلسًا مع شيخ الإسلام ابن تيمية ، فكان هذا المجلس ، وتناقش شيخ الإسلام مع أولئك الناس الذين هم مخالفون للسلف في آيات الصفات وأحاديث الصفات ، والأمير يسمع ما يدَّعيه هؤلاء الخلف ، وما ادَّعاه عليهم ابن تيمية من الآيات والأحاديث الصريحة في إثبات صفات الله عز وجل ، بصورة عامة ، وإثبات صفة العلو بصورة خاصة .

لما سمع ذلك الأمير - ويبدو أنه كان ذكيًّا عاقلاً - لما سمع وصف أولئك العلماء الخلف لله عز وجل ، بأنه لا فوق ولا تحت ولايمين ولا يسار إلى آخر الضلالة التي ذكرناها آنفًا ، ماذا قال ذلك الأمير العاقل ؟

هؤلاء قومٍ أضاعوا ربهم .

فعلاً ؛ إذا كانوا لا يدرون أين الله ، فإذًا هم جماعة ضالون أضلوا ربهم ، حيث إن الله عز وجل وصف نفسه أنه على العرش استوى وتعرج

الملائكة والروح إليه :

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: ١٠].

إلى آخر ما هنالك من آيات وأحاديث كثيرة.

○ **الفرق بين المتخرج على مذهب السلف والمتخرج على مذهب الخلف:**

وحسبكم أخيراً - لتعلموا الفرق بين من يتخرَّج من المدرسة السلفية ومن يتخرَّج من المدرسة الخلفية - أن تنظروا :

المدرسة السلفية هي مدرسة محمد ﷺ ، التي تخرَّج منها أصحابه عليه الصلاة والسلام ، فلا جرم أنه عليه الصلاة والسلام أمرنا باتباعهم ، كما سبق ذكر الأدلة على ذلك ، وإذا أردتم الدليل على من تخرَّج من المدرسة السلفية أنه يكون على هُدى من ربه ولو كان من عامة الناس ، وأنه من تخرَّج من المدرسة الخلفية فهو في ضلال مبين، ولو كان من أعلم الناس، كأولئك الذين تجمعوا على ابن تيمية - رحمه الله - في القصة المذكورة آنفًا، إذا أردتم أن تتبينوا هذه الحقيقة:

○ **الكلام على حديث الجارية:**

فاذكروا معي حديث تلك الجارية ، التي كان سيدها قد ضربها وصفعها صفعة ، في قصة يرويها سيدها، وهو معاوية بن الحكم السُّلمي، في حديث رواه الإمام مسلم في «صحيحه» فيه طول ، فأختصر الآن لموضع الشاهد منه فقط، قال معاوية بن الحكم :

يا رسول الله إن لي جارية ترعى غنمًا لي في أحُد ، فسطى عليها الذئبُ يومًا - على غنمي - وأنا بشر أغضب كما يغضب البشر ،

فصككتها صكة، وعليَّ عتق رقبة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ائتني بها**» .

لما جاءت ، قال ﷺ : «**أين الله؟**» .

- اسمعوا هذا الحديث وعوه وافهموه واحفظوه -.

قال عليه الصلاة والسلام لها : «**أين الله؟**» ، قالت: في السماء ، قال لها: «**من أنا؟**» ، قالت: أنت رسول الله .

فقال عليه الصلاة والسلام: «**اعتقها فإنها مؤمنة**».(١)

لقد شهـد النبي ﷺ لهذه المرأة - وهي راعية غنم - شهـد لها بأنها مؤمنة، لماذا ؟ لأنها عرفت ربها ، وأنه على العرش استوى ، وأنه استعلى على خلقه تبارك وتعالى .

وكيف لا وهي تعيش في مجتمع ، في مدرسة -كما يُقال اليوم في لغة العصر الحاضر- هي مدرسة محمد ﷺ ، وسيدها من تلامذتها ، فهو الذي نقل إليـها هذه العـقيدة ، ولذلك لما سـألها النبي ﷺ هـذا السؤال الفاحص لعقيدتها ، أجابت بالجواب الصحيح ، قالت : الله .

كيف لا وهي إن لم تكن تحفظ سورة تبارك فعلى الأقل سمعت من

---

(١) هذا الحديث أخرجه مسلم (١/ ٣٨٢) ، وأبو داود (٣٢٨٤) ، والنسائي (٣/ ١٤) من حديث معاوية بن الحكم - رضي الله عنه -.

وهذا الحديث خصوصًا لم يسلم من مـحاولات طعن المبتدعة وأهل الأهواء فيه ، لأنه صريح في إثبات صفة العلو لله الواحد القهار ، وانظر ما علقناه في الجـواب عن شبـهـهم حـول هذا الحديث في كـتـابنا «**دفـاعًـا عن السلفـيـة**» (ص: ١١٠-١١٦).

النبي ﷺ، أو على الأقل من سيدها وهو يقرأ في سورة تبارك من كل ليلة: ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك : ١٧].

لقد سَمِعت هذه الآية كما يفهمها كل عربي ، ولذلك أجابت بالجواب الصحيح لما سألها عليه السلام: «**أين الله؟**»، قالت: في السماء .

○ موقف الخلفيين من هذا الحديث ونحوه:

أتدرون ما موقف الخلف اليوم - والذين يكتبون بعض المؤلفات وبعض الرسائل ، يزعمون أن الخلف علمهم أحكم وأعلم - ؟

يقولون : إن هذا السؤال الذي جاء ذكره في هذا الحديث لا يجوز توجيهه اليوم ، هذا ليس فقط يخالفون منهج السلف ، بل يخالفون الأحاديث الصحيحة لمجرد أنها تتعلق بالعقيدة ، ولو كانت أحاديث صحيحة وأجمع علماء المسلمين على صحتها ومنها هذا الحديث.(١)

---

(١) من ذلك طعنهم في هذا الحديث باضطراب متنه ، ويستدلون على هذا الاضطراب بروايات ضعيفة ، أو بأحاديث أخرى لا تعلق لها بهذا الحديث.

« فمن زعم الاختلاف في متنه فلم يصب ، لأنه احتج لما ذهب إليه بروايات أحسن مراتبها الضعف ، على أنها عند التحقيق لا تُعد اختلافًا ، وإنما أراد بعض أهل البدع التعلق بهذا لإبطال دلالة هذا الحديث على اعتقاد أهل السنة من أن الله فوق خلقه ، وأنه في مكان ، كذلك تشكيك بعض أهل الزيغ في ثبوت هذا الحديث في «صحيح مسلم» هو أوهى من بيت العنكبوت لمن علم وفهم وأنصف ، وشبهات أهل البدع لم تسلم منها آيات الكتاب ، فكيف تسلم منها السنن ؟!! ».

---

(١) تعليق الشيخ الجديع على «ذكر الاعتقاد» لأبي العلاء بن العطار (ص: ٧٥).

فقد رواه الإمــام مسلم في «صحيحه» ، ورواه مــالك في «موطئه»، ورواه الإمام أحمد فــي «مسنده» ، ورواه كل من له رواية في السنة إلا ما ندر ، وساقوه مســاق الأحاديث الصحيحة المسلَّمــة ، فجاء هؤلاء الخلف وردوا هذا الحديث ، وقالوا: لا يجوز لك أن تسأل هذا السؤال أين الله؟

فإذا قــيل لهم : قد سأل رسول الله ﷺ هذا الســؤال ، أجابوك بأن هذا حديث آحــاد أولاً ، ثم يزدادون جدلاً ، فيقــولون : وعلى فرض أن النبي ﷺ صحَّ عنه هذا السؤال ، فهو إنما أقرَّ الجارية على قولها : إن الله عز وجل في الســماء ، لأنهــا كانت أعجــمية ، ولأنهــا لا تعلم العقــيدة الصحيحة ، فهنا يقعون في مشكلة أخرى ، كما قلنا في تأويلهم :

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ﴾.

حيث فسروا بـ «استولى» ، فورد عليهم أن هناك من كان يغالب الله على عرشه ، فغلبهم واستولى على عرشه ، ذلك هو الضلال البعيد.

كذلك هنا نســبوا الرســول عليه الصلاة والســلام إلى أنه سكت عن الجــارية ، لأن جوابهــا غيــر صحــيح عندهم ، مع أن الله عز وجل قــد سمعتم آنفًا قوله: ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ .. إلى آخر الآية .

والخلاصة:

فمذهب السلف يجب التمســك به،وهو الضمان في أن يكون المسلم من الفرقة الناجية،وألا يكون من الفرق الضالة، ذلك هو العصمة .

○ القاعدة الأساسية في الدعوة إلى الكتاب والسنة:

ولابُد من لفت النظر أخيرًا إلى أننا حينما ندعو المسلمين جميعًا إلى التمسك بالكتاب والسنة ، وعلى منهج السلف الصالح ، لما ذكرناه أنفًا من البيانات والأدلة الصحيحة ، فنحن لا نكون متباعدين عنهم من أصل الإيمان بالكتاب والسنة ،ولكننا نُحسن دعوتهم إلى الكتاب والسنة ، لأننا نعتقد أنهم مرضى في عقائدهم التي انحرفوا فيها عن الكتاب والسنة، فندعوهم كما هو واجب الدعوة ، وهي قاعدة أساسية في كل من يريد أن يدعو إلى الإسلام ، ألا وهو قوله تبارك وتعالى :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل : ١٢٥].[1]

---

(١) هذه القاعدة التي ذكرها الشيخ - رحمه الله - من أهم ما يجب على الداعية السلفي أن يلتزم به اليوم في دعوته إلى الله ، فإن اللين في الدعوة والموعظة الحسنة بعيدًا عن الفجاجة، وبعيدًا عن إطلاق القول بالتفسيق أو التكفير للمخالف مجازفة - كما هو حال بعض الجهال - مما يؤتي نفعه ، وهو مذهب السلف الصالح - رضي الله عنهم أجمعين -.

وقد روى الخلال (٣٥) **بسند صحيح** عن الإمام أحمد :

أنه سئل عن الأمر ؟ قال:

كان أصحاب عبد الله يقولون مهلاً رحمكم الله ، مهلاً.

قلت : ولكن هذا في مجال التعليم والإعلام والنصح والدعوة ، وأما من استقرت بدعته، ودعا إليها ، ونافح عنها ، فزجره بهجره واجب ، والتحذير منه لازم كما هو معروف معلوم في مذهب السلف.

فيجب ألا نتهاون مع هؤلاء الناس الذين انحرفوا عن منهج السلف الصالح ، ليس فقط في كثير من الأحكام ، بل وفي كثير من العقائد ، كما ذكرنا مثلاً آنفًا فيما يتعلق بالصفات ، وفي عذاب القبر ، ونحو ذلك .

فنحن ندعوهم بالتي هي أحسن ، ولا نباينهم ، ولا نفارقهم ، لقوله عليه الصلاة والسلام:

« لأن يهدي الله على يديك رجلاً أحبُ إلي من حُمر النعم ».[1]

ولعل في هذا القدر كفاية .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري(٣/ ٢٢) ، ومسلم (٤/ ١٨٧٢) من طريق : عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه ، عن سهل بن سعد ، ضمن حديث طويل في فضل علي - رضي الله عنه - ولفظ الشاهد منه :

« لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم ».

وله طريق آخر عندهما من رواية : يعقوب القاري ، عن أبي حازم به.

السلفية والمذاهب

للشيخ العلامة

محمد ناصر الدين الألباني

جمعها ورتبها وشرحها

عمرو عبد المنعم سليم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ونستعينهُ ونستغفرُه ، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يضلِلْ فلا هاديَ له ، وأشهد أنْ لا إِله إِلا اللهِ وحدَه لا شريكَ له ، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ : ٧١].

أمَّا بعد :

فإنَّ أصْدَقَ الحديث كتابُ الله، وأحْسَنَ الهَدْي هدىُ مُحمد، وشر الأمور مُحدثَاتُها ، وكلَّ مُحدثةٍ بدْعة ، وكلَّ بدْعةٍ ضَلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار .

○ **الباعث على هذه الكلمة التي أوردها الشيخ :**

كان المفـروض أن أُسمعكم بعض الأحـاديث حسب الدرس النظامي الذي نحن عليـه منذ سنين ، نـختـارها مما صح من كـتـاب «**الترغـيب والترهيب**» ، كان هذا هو المفـروض ، ولكن رأيت أن أُلقي عليكم كلمة بمناسبة خـبرٍ وليس بالشيء الجديد في الواقع ، ولكنهـا ذكري ، والذكري تنفع المؤمنين ، حدثني من أثقُ به : أن أحد خطبـاء المساجد خطب خطبة طويلة ، وصرَّح فيها - هكذا كـما نقل لي الناقل ، وهو كما ذكرتُ لكم ثقة عندي - قال :

« **إن رئيس السلفيين في هذه البلدة** - أو قال : البلاد - **سمعته بأذني يصرح يقول : بأن من يتبع مذهباً من المذاهب الأربعة فهو مشرك** » .

ولـم يقل «**كافر**» وإنما «**مشرك**» ، أقول : لم يقل هذا لأنهم يفرِّقون هم بين الكفر والشرك ، وإن كان الأمـر ليس كذلك عندنا ، لأن كل كفر شركٌ وكل شركٍ كـفر ، فلو أنه قال : «**فهو كافر**» لكان تعبيره ألطف ، ولو أنه على ضـلال ، ولكنه حينمـا قال : «**فـهو مـشـرك**» فقـد زاد في الضلال ضلالاً آخر ، وأظن أنكم لستم - أو علي الأقل جمهوركم ليس- بحاجة إلى التفصيل الذي نحن نعتقده ونؤمن به ، ولكن أعتقد : أن هناك بعض الإخوان ممن يـلازموننا من قريب - أو مـا يُشبه الـقريب - ربما لم يسـبق لهم أن عرفـوا رأينا بوضـوح في هذه المسألة ، أو سـبق لهم ذلك ولكن لم تتمكـن الفكرة من قلوبهم ، فربما إذا سمـعوا مثـل تلك الخطبة الجائرة ، ربما تأثروا بهـا ، فأنا أتكلم هذه الكلمة أولاً لهـؤلاء الاخوان،

الذين نظن بهم أنهم يريدون الحق ، ويُحبون أن يكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أما أولئك الذين لا يخشون الله ولا يخافونه ، ولا يقيمون وزناً ليوم الحساب ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فذلك لا يفيدهم شيء ولو أتيتهم بكل آية .

○ الوقوع في الكفر لا يقتضي كفر فاعله:

أقول : أيها الإخوان ! **نحن من دعوتنا** : أنه لا يجوز أن نُكفِّر مسلماً ، بل وأكثر من ذلك نقول : حتى ولو كفر فعلاً - لو كفر فعلاً نحن - لا نُكَفِّره ، لأنه من المحتمل أن يكون له عذر عند الله تبارك وتعالى[1] .

---

(١) لأن ليس كل من وقع في الكفر وقع وصف الكفر عليه ، وقد صرَّح بذلك الشيخ - رحمه الله - في إحدى تسجيلاته باسم «حقيقة البدعة والكفر» ، وضرب لذلك مثلاً بالرجل الذي أمر أولاده بأن يحرقوه بعد موته ، قال الشيخ :

« وأختم الكلام على هذه المسألة بالتذكير بحديث يدلك على ما ذكرت آنفًا ، ليس كل من وقع في الكفر تلبسه الكفر ، ووقع الكفر عليه ، أعني به حديث البخاري : من رواية صحابيين جليلين وهما أبو سعيد الخدري، وحذيفة بن اليمان ، قالا : قال رسول الله ﷺ : « **كان فيمن قبلكم رجل حضرته الوفاة ، فجمع أولاده حوله ، فقال لهم : أي أب كنت لكم ؟ قالوا : خير أبٍ ، قال : فإني مذنب مع ربي ، ولئن قدر الله عليَّ ليعذبني عذابًا شديدًا،فإذا أنا مت فخذوني ،وحرِّقوني بالنار ، ثم ذرُّوا نصفي في البحر ،ونصفي في الريح،فمات ، فحرقوه بالنار ، فذروا نصفه في الريح ، ونصفه في البحر،فقال الله عز وجل لذراته كوني فلانًا ،فكانت ،قال الله عز وجل : أي عبدي ما حملك على ما فعلت ، قال ربي : خشيتك ، قال : اذهب فقد غفرت لك**». =

والله عز وجل يقول في كتابه:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (١) [الإسراء : ١٥].

وليس المقصود ببعثة الرسول هو : أن يُبعث الرسول ، ثم لا تصل هذه الدعوة إلى بعضهم ، فبالنسبة لهذا البعض يكون دعوة الرسول لم تبلغهم ، وبالتالي لم تقُم الحجة عليهم.

= كفر هذا الرجل ، ولا ما كفر ؟ كفر ، لكن الله غفر له .

ونحن نعلم من القرآن الكريم أن الله لا يغفر أن يُشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، . . . ، **لا يغفر أن يُشرك به عامدًا متعمدًا** .

. . . . . ما ينبغي نحن أن نتصور أن سيد قطب وقع في وحدة الوجود مثلاً كما أنا أعتقد أنه قاصدها ، وعقد القلب عليها ، كابن عربي هذا الذي أضل ملايين من المسلمين الصوفيين إلى آخره ، ربما هذه. . . وهو سجين خطرت في باله ، وما أحاط بالمسألة علمًا ، فكتب تلك العبارة التي كنت أنا من أول من انتقدها ، ما نحكم عليه بالكفر، لأننا ما ندري انعقد الكفر في قلبه، ثم هل أقيمت الحجة عليه ، وبخاصة وهو في سنِّه،أنَّى له ذلك ، لهذا لا نربط بين كون المسلم وقع في الكفر ، وبين كونه كافر » .

(١) وفي تفسير هذه الآية أخرج ابن جرير في «التفسير» (١٧/ ٢/ ٤٠٢) **بسند صحيح** إلى قتادة بن دعامة ، قال : **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحدًا حتى يسبق إليه من الله خبرًا ، أو يأتيه من الله بيِّنة ، وليس معذبًا أحدًا إلا بذنبه.**

قال ابن جرير : « وقوله : **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾** يقول تعالى ذكره : وما كنا مهلكي قومٍ إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل ، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم ».

ومن الأدلة الواضحة البيِّنة : نحن اليوم بعد بعثة الرسول عليه السلام بأربعة عشرة قرناً ، ومع ذلك فنحن نقطع بأن هناك في القطب الشمالي والقطب الجنوبي - على الأقل - من لم يسمع بدين الإسلام -باسمه مطلقاً- ، ولم يسمع باسم نبينا محمد ﷺ ، فلا يلزم من ذلك كفرهم المستلزم الخلود لهم في النار يوم القيامة ، لأنه لم يتحقق فيهم شرط المؤاخذة والتكليف ، ألا وهو بلوغ الدعوة.

ثم ليس المقصود من بلوغ الدعوة : بلوغ اسمها أو بلوغ لفظها ، فنحن نعلم - هذه صورة أخرى - أن كثيراً من الأوربيين سمعوا باسم الإسلام ، وبنبي الإسلام ، ولكنهم ما عرفوا حقيقة الإسلام ، ولا كمال نبي الإسلام ، وهذا له أسباب كثيرة ولسنا الآن في صددها ، فهؤلاء كلهم كفار بلا شك ، لأنه من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة ، ومن مات وهو يشرك بالله شيئاً دخل النار ، لكن هذا ليس على إطلاقه إنما هو مُقَيَّدٌ بمن بلغته الدعوة .

○ حكم أهل الفترة ومن لم تبلغهم الدعوة :

فالذين لم تبلغهم الدعوة لهم محاسبة خاصة يوم القيامة ، لهم معاملة خاصة من الله الحكيم الرؤوف الرحيم ، كما جاء ذلك تصريحاً في بعض الأحاديث الصحيحة : أن الله عز وجل يُرسل إلى هؤلاء الذين لم تبلغهم الدعوة من شيخ فانٍ بلغ من الكبر عتياً لا يفقه ما يُقال له ، أو طفل صغير لم يبلغ سن التكليف ، أو رجل من أهل الفترة لم تبلغه الدعوة ، أمثال هؤلاء ربنا عز وجل يوم القيامة يُرسل إليهم رسولاً ، فمن أطاع هذا الرسول دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار ، ذلك ليصدق

فيـهم أن حُجة الله عز وجل قـائمة على عبـاده جميعـاً ، حتى في ذلك المحشر في عرصات يوم القيامة[1] .

فإذا هذا الجنس مـن الكفار الأوربيين اليوم سـمعـوا باسم الإسلام ونبي الإسـلام ، لكن لم تبلغـهم دعـوة الإسلام ، وأنا حين أقـول : لم تبلغهم دعوة الإسلام أعنـي دعوة الإسلام على حقيقتـها ، وإلا فقد تبلغ أحدهم دعوةٌ باسم أنها دعوة الإسلام .

○ **حكم من تأثر بالقاديانية ممن أسلم حديثًا :**

فنقل مثلاً واضحاً يؤمن به كلُ جماهير من ينتمون إلى السنة أو إلى أهل السُنة ، **ذلك المثل هو : إسلام القاديانيين** ، فالقاديانيـون لهم نشاط كثير جداً في أوربا وفي أمريكا وفي كـثير من بلاد الدنيا ، ونعلم يقينًا أن كثيـراً من النصاري تقدينوا ، ولا أريد أن أقول أسلمـوا ، لكن هم حينما تقـدينوا بظنهم أنـهم أسلمـوا ، لأن الذين دعـوهم إلى القـاديانيـة ، لم يدعوهم - فعلاً أو قولاً على الصحيح - لم يدعوهم إلى القاديانية ، وإنما دعوهم إلى الإسلام ، والقاديانيون أنفسهم في كل بلاد الدنيا ، ومنها هذه البـلاد - وبخاصـة دمشـق الشام بُليت بهم سنـين كثـيرة - وأنا جـادلت بعضـهم كثيراً وكـثيراً ، فـهم يدعون المسلمين إلى الإسلام الصـحيح إلى الإسلام المصـفى بزعمهم ، كذلك هم إذا دعـوا غير المسلمين كـالنصارى

---

(١) وقد فصَّل الحافظ ابن كثير الكلام في هذه المسألة ، وأورد أدلتها التي اختلف تبعًا لها العلماء في تقرير حكم هؤلاء يوم القيامة ، ورجح ما ذهب إليه الشيخ هنا، وهو بحث منيف فانظره لزامًا في «التفسير» (٨/ ٤٤٧).

مثـلاً بزعمـهم يدعونهم إلى الإسلام ، فـأسلم بإسلامـهم هذا كثـير من أولئك الأوربيين ، لكنهم - نحن - حـينما نُطبق عـلى القاديانيين فـضلاً عمن تورطوا بهم ، واغـتروا بدعوتهم ، حينمـا نطبق عليهم جميـعاً سُنة الإسلام القائم على الكتاب والسنة الصحيحة من جهة ، والقائم على فهم هذين المصدرين على منهج السلف الصالح كـما نددن بهذا دائماً وأبداً ، حينما نـطبق هذا المبدأ الذي لا يمكن أن يكون المسلم مسلمـاً حقاً إلا على أساسه، حينما نطبقه علي القاديانيين نجدهم ليسوا مسلمين.

كيف يمكن أن يُحكم بإسلام من يُصَـرِّح بأن هناك أنبياء يُوحى إليهم من الله بعد خاتم الأنبياء ، ولا أريد أن أُطيل الكلام حول القاديانيين ، لا سيما وقد تحدَّثت عنهم كثيراً وكثيراً ، إنما أضرب بكلامي هذا مثلاً واحدًا أن هؤلاء الأوربيين حينما بلغتـهم دعوة الإسلام - لذلك أنا لا أستطيع أن أقول إن هؤلاء النصـاري الذين كانوا يقـولون بالأب والابن وروح القدس فكفروا ، وحُق لهم ذلك ، ثم آمنوا بالله الواحد الأحـد ولكنهم - كفروا من جـهة أخرى ، لأن الـقاديانيين لقنوهم خـلاف ما في الكتـاب والسنة وإجماع الأمـة ، ألا وهو مجيء أنبياء كـثيرين إلى غير ذلـك من العقائد المكفِّرة التي يعتقدونها.

---

(١) **مراد الشيخ هنا** : أن هؤلاء النصاري لما أسلموا علـى دين القاديانية وتربوا على أفكارهم كان ظنًا مـنهم أن هذا هو الدين الإسلامي الخالص الذي من التـزمه وآمن به ودخل فيـه ، وعمل بأوامره - على مـا علموه من القـاديانية - دخل الجنة ونجا من النار ، فمن هذه الجهة هم دخلوا في دين الإسلام ، ولكـن اعتقدوا فيه ما لا يجوز اعتقاده ظنًا منهم بأنه الصواب ، لأنه لم تصلهم الدعوة إلى الدين =

○ **الكافر عند الله من قامت عليه الحجة:**

هؤلاء النصاري لم تبلغهم الدعوة ، لذلك نحن لا نقول هؤلاء عند الله كُفار[1] ، **لأن الكافر عند الله هو من قامت عليه الحجة** ، وهذا أيضاً بحث طويل ، وخُضْتُ فيه أكثر من مرة ، فلا أريد أيضاً أن أُطيل البحث بالتفصيل فيه ، لكنني أدخل الآن في ما أنا بصدده.

= الإسلامي الصحيح ، وهذا قول له وجه قوي في حالة انتفاء وصول الدعوة الصحيحة إليهم ، وإلا فالأمر مختلف اليوم ، لأن طرق الدعوة كثيرة ، ومن دخل في الإسلام وجب عليه البحث والنظر وطلب ما لا يسعه جهله من أمور الدين ، لا سيما وأن الكثير من الأوربيين يمتازون بكثرة النظر والاطلاع والبحث ، ولا شك على أن من دخل دينًا جديدًا وجب عليه النظر والبحث لمعرفة أصول هذا الدين ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى: فلابد للدعاة أن يأخذوا مثل هذه الشرائح من المنتسبين إلى الإسلام بعين الاعتبار ، ومن ثمَّ فلا بد من الاجتهاد في توصيل الدعوة الصحيحة القائمة على الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح إلى كل من انتسب إلى الإسلام بل وعرضها على غير المسلمين أيضًا بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالتي هي أحسن.

وهؤلاء الذين دخلوا الإسلام ، ولم يصلهم من دعوته إلا ما لُقِّنوه من بعض الفرق الضالة كالقاديانية ونحوها مثلهم مثل المسلمين الذين اعتقدوا عقائد ضلال وكفر لا يجوز اعتقادها ، وإنما اعتقدوها ظنًا منهم أنهم موافقون للكتاب والسنة ، فهؤلاء وإن كانت عقائدهم عقائد كفر إلا أنهم لا يُحكم عليهم بالتكفير ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٢٠١) :

« **المبتدع إذا كان يحسب أنه موافق للرسول ﷺ لا مخالف له ، لم يكن كافرًا به**».

وقال (٣٥/ ١٦٥) :

« المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يُقال : هي «كفر» قولاً يُطلق ، كما دلَّت على ذلك الدلائل الشرعية ، فإن «الإيمان» من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله ، ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم ، **ولا يجب أن يحكم على كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير** ، وتنتفي =

كثيرون من المسلمين اليوم يعيشون بين ظهراني أهل السنة والجماعة ومع ذلك فهم لم يفقهوا التوحيد الذي هو أساس الإسلام ، والذي بدونه لا ينفع من يدعي الإسلام شيء من عقائده وأعماله وكل خير يقدمه بين يديه - بين يدي لقاء ربه - لأن الله عز وجل يقول :

﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

[الزمر : ٦٥].

○ تبليغ دعوة التوحيد إلى الناس :

كثير من جماهير المسلمين اليوم يعيشون بين المسلمين يصومون ويصلون ،ومع ذلك لما يفقهوا التوحيد الذي هو رأس الإسلام كما ذكرنا، هل بلغتهم الدعوة ؟ أنا أقول من يُبَلِّغهم الدعوة ؟

المفروض أن هؤلاء تَبْلُغهم الدعوة من مشائخهم الذين يتلقون العلم عنهم ، ولكن لا أقول : إن هؤلاء ينطبق عليهم الكلام المأثور «**فاقدُ الشيء لا يُعطيه**» من الذي يُقدِّم التوحيد إلى من كان بحاجة إلى التعرفُ

= **موانعه** ، مثل من قال : إن الخمر أو الربا حلال ، لقرب عهده بالإسلام ، أو لنشوئه في بادية بعيدة ، أو سمع كلامًا أنكره ، ولم يعتقد أنه من القرآن ، ولا أنه من أحاديث رسول الله ﷺ ، كما كان بعض السلف يُنكر أشياء حتى يثبت عنده أن النبي ﷺ قالها ، وكما كان الصحابة يشكون في أشياء مثل رؤية الله وغير ذلك ، حتى يسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ ، ومثل الذي قال : « **إذا أنا مت فاسحقوني، وذروني في اليم ، لعلي أضل عن الله** » ، ونحو ذلك ، **فإن هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة** ، كما قال تعالى : **﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾** ، وقد عفى الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان ».

به ؟ هو العالم ، والعالم المؤمن بالتوحيد .

فهؤلاء المشايخ قسمان :

أقولها بصراحة : **قسم منهم** : يعمل في التوحيد على حقيقته ، ولكنه قَنَع بنفسه وترك الناس وما يعتقدون ، إما خوفاً وإما حرصاً على الدنيا أو على الجاه أو منصب أو وظيفة أو ما شابه ذلك .

ومنهم : من يصدق فيهم قول الله تبارك وتعالي :

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف :١٨٧].

فهؤلاء يُقال فيهم : «**فاقدُ الشيء لا يُعطيه**» ، فعامة المسلمين الذين نسمع منهم الشرك وهو يدخل المسجد الذي بُني لعبادة الله وحده كما قال: **﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾** [الجن :١٨].

هو داخل المسجد تزل به القدم ، فيقول : «يا باز» ، وأنت رايح إلى مسجد الباز تعبد الباز ولاّ تعبد رب الباز ؟!! وخالف الباز ، مسكين!! هذا لا يعلم ، لا يعلم مثل قول الرسول عليه الصلاة والسلام :

« إن الرجل ليتكلم بالكلمة ، لا يُلقي لها بالاً ، يهوي بها في النار سبعين خريفا » (١) .

هذا الحديث الصحيح أصدق مكان يُطَبَّق عليه هو الكفر الذي يتلفظ

---

(١) هو بهذا اللفظ عند أحمد (٢/ ٣٥٥) **بسند صحيح** ، وعند البخاري (٤/ ١٨٧) ، ومسلم (٤/ ٢٢٩٠) بنحوه.

به من يأتي المسجد يعبد الله ، يعبد الله وحده : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وإذا به يفتتح دخول المسجد بدعاء غير الله .

○ **جهل كثير ممن يقع في أعمال الكفر بحكم ما وقع فيه :**

لكني أقول - آسفاً - : لكنه هو يجهل - ومن علَّمه؟ - يجهل أن «**يا باز! أغثني**» هو عبادة للباز من دون الله تبارك وتعالي ، كلهم يجهلون هذه الحقيقة ، ولا يعرفون أن دعاء الله هو عبادةٌ له ، وبالتالي لا يعلمون أن دعاء غير الله هو أيضاً عبادة له وإشراك له مع الله تبارك وتعالي ، هذه حقائق لا يعرفها جماهير الناس ، ذلك لأن دعوة التوحيد مضى عليها زمن طويل ، وداخلها كثير من الشركيات والوثنيات ، حتى رانت هذه الجراثيم والمكروبات على التوحيد ، وغطى عليها ، حتى صار أكثر الناس مرضي مرضاً هو الموت الحقيقي ، لأنه ما فائدة حياة الإنسان في هذه الدنيا ، وهو يعيش يعبد غير الله ، وهو يجهل أنه يعبد غير الله(١) .

---

(١) هذه حقيقة لابد أخذها بعين الاعتبار عند الحكم على الناس ، فإن كثيرًا ممن يأتون بعض مظاهر الشرك أو الكفر لا يفقهون ولا يعلمون أن ما يقعون فيه هو الكفر أو الشرك ، بل كثير منهم يظنون أنهم يتقربون إلى الله تعالى بمثل هذه الأعمال ، من السجود للأضرحة ، والذبح لها ، ودعاء الأموات ، ونحوها مما هو شائع بين بعض العوام ، فمثل هؤلاء لا يُحكم عليهم بكفر ، لأنهم على جهل بحكم ما يفعلونه ، بل يظنون أنهم بهذه الأفعال أقرب إلى الله ، ولذلك يجب دعوتهم بالحسنى إلى الحق ، وبيانه لهم ، والأخذ بأيديهم لتعلم الكتاب والسنة الصحيحة ، بدلاً من الحكم عليهم بالكفر أو الشرك والعياذ بالله ، كما يقع من بعض الجهلة المنتسبين إلى الدعوة ، وهذا التحقيق الذي ذكره الشيخ الألباني في هذه المسألة يدفع بقوة تلك الفرية التي لأجلها أنشأ هذه الكلمة التي بين يديك، فالمعتزين إلى الدعوة السلفية يأخذون بأيدي الناس إلى دين الله أفواجًا بالدعوة الصالحة =

وليس هذا فقط فهو يدخل المسجد ويكون في المسجد قبر فيأتيه ويطلب منه ما يطلب من الله تبارك وتعالي ، يطلب من المقبور الميت ، وقد يكون صار رميماً ما لو كان هذا الميت حياً لما استطاع أن يغيثه ، ولا أن يمده بما منه يرجوه ويطلبه.

أقول : مع هذه الدلالات كلها نحن لا نستطيع أن نُكَفِّر هؤلاء المسلمين ، لأنه لم تُقام الحجة عليهم ، لأنه ليس هناك دعاة كثر سيطروا علي جو سوريا - مثلاً فضلاً - عن البلاد الأخري ، وبلغت هذه الجماهير دعوة التوحيد خالصة لا شرك فيها ، ليس هناك من كثرة [1]،

= وبالحكمة ، وبالموعظة الحسنة ،ملتزمين في ذلك بقواعد أهل السنة والجماعة والسلف الصالح في هذه المسائل الخطيرة ، فيعتقدون أنه لا يجوز تكفير مسلم وقع في كفر أو في بدعة مكفرة إلا إن انتفت الموانع والشبه ، وأقيمت عليه الحجة ، وأن هذا ليس من حق أي أحد ، بل هو واجب العلماء والأئمة ، وهو مقتصر عليهم فقط ، لأنهم أعلم بدقائق هذه المسائل .

(١) وهذا هو الصحيح ، فمع ما قد يُشاهد اليوم من وفرة الدعاة إلا أنها وفرة تعد قلة بالنسبة إلى المجموع ، إذ يستلزم أضعاف الدعاة إلى التوحيد اليوم حتى يبيِّنوا للناس ما جهلوه من أمر دينهم،واليوم فالناس يسيرون إلى طلب علوم الدنيا ، وهو أمر يُحتاج إليه بلا شك ، إلا أنهم قد يغفلون عن تعلم ما يلزمهم تعلمه من أمور الدين،لا سيما ما يخص إصلاح العقائد والعبادات ، فالدين : العلم والعمل، نعم قد انتشرت الفضائيات اليوم انتشارًا واسعًا ، إلا أن هذه الفضائيات تلتزم بمناهج القائمين عليها وبمناهج من يملكها،وقد يوجد فيها بعض الأفكار المخالفة للسنة ، كما في تلك التابعة لبعض الرافضة ، ومنها ما قد يكون في منهج القائمين عليها خللاً ومن ثمَّ فلا يمكننا أبدًا الحكم على هؤلاء الناس بالكفر لما قد يقع منهم من قبائح =

إنما هناك أفراد قليلون وأصواتهم ضائعة ، ليس لها تأثير إلا بأفراد يتصلون بهم في مناسبات خاصة أو عامة ، ولكنها ليست شاملة .

○ **عقيدتنا ، وموقفنا من متبعي المذاهب :**

هذه - نحن - عقيدتنا : لو وقع فردٌ من هؤلاء الذين يُصلُّون معنا ويصومون معنا، لو وقع في الكفر ،نحن لا نُكَفِّره، لكن إذا علمنا ذلك، نبين أن هذا هو الكفر ، وهذا هو الشرك بالله عز وجل ، فإيَّاك وإيَّاه .

ومِنْ هذا - ودون هذا بكثير - ما ابتُلى به جماهير المسلمين اليوم ، حتي صار ديناً ، وهو تقليد مذهبٍ من المذاهب الأربعة ، **كيف يُتصور أن نكفِّر هؤلاء المسلمين لأنهم يتبعون مذهباً من المذاهب الأربعة ؟!! هذا أبعد ما يكون عن واقعنا** ، ونحن لا نقول مداهنين ، لو أردنا أن نُداهن أحداً لما سمعتم هذا الكلام الذي قلناه .

○ **حكم التقليد وحكم التدين به :**

إن أكثر الناس لا يعلمون التوحيد ، لا يعرفه أكثر المسلمين ، لكن الآن نقول : **ما ندين الله تبارك وتعالي به** : التقليد - نحن الذي نعتقده - أنه ليس ديناً (١) ، ولا غرابة في ذلك ، فنحن نقول في الوقت الذي

= وأعمال شرك ، إذ قد يُداخل ذلك الجهل ، أو الشبهة ونحوها ، فلا بد من الجد في تعليمهم الحق ، وإرشادهم إليه ليس بنية إقامة الحجة بقدر ما يكون بنية هدايتهم إلى الدين الصحيح ، وإرشادهم إلى ما يُصلح أمورهم دينًا ودنيا.

(١) التقليد جائز للعامي الذي لا علم له ، ولا قدرة له على الاجتهاد ، وأما اتخاذه دينًا يُتدين به بتقليد مذهب معين بغض النظر عن باقي المذاهب وإن وافقت الحق ، فهذا هو المذموم ، وللشيخ - رحمه الله - فتوى مهمة في هذا الباب ، انظرها لزامًا في هذا الكتاب .

نعتقد أن نداء غير الله شرك ، ومع ذلك لا نُكَفِّر هذا المنادي لأنه جاهل، بالأولى أن نقول حينما نعتقد أن التقليد ليس ديناً ، وجماهير الناس قد اتخذوه ديناً ، **فنحن لا نُكَفِّر هؤلاء لأن هذا أولاً ليس كفراً في نفسه إلا في حدود ضيقة سأشير إليها قريباً إن شاء الله ، فكيف نُكَفِّر من وقع في خطأ بل في ذنب ؟! هذا إفتراء علينا** ، وليست أول فرية أفتريت علينا ، وإنما هو - كما قلت لكم - التذكير والذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين.

○ الطريق إلى إدراك الحق ومعرفته:

نحن - يا إخواننا - نقول في التقليد : إن الأصل الواجب على كل مسلم أن يدين بالكتاب والسنة ، وأن يتبع ما ثبت في الكتاب والسنة ، هذا هو الواجب على كل مسلم ، بدون تفريق بين عالم وبين متعلم وبين أمي كعقيدة ، لا فرقٍ في ذلك إطلاقاً ، الفرق يأتي في الطريق ، في الأسلوب، **بمعنى** : **العالم كيف يعرف حكم الله ؟ والأمي كيف يعرف حكم الله** ؟ يختلفان أشدَّ الاختلاف، **العالم**: يعرف حكم الله بدراسته لكتاب الله ولحديث رسول الله ، **الأمي** - الذي لا يقرأ ولا يكتب - : كيف يعرف حكم الله ؟ وهو إذا فتح المصحف لا يقرأ ، وكذلك الحديث لا يقرأ ؟ الجواب في نفس القرآن الكريم: **﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾** .

اسئلوا أهل الذكر عن ماذا ؟ عن رأي فلان ومذهب فلان واجتهاد فلان واستنباط فلان؟! أم عمَّا قال الله وقال رسول الله ؟ لا شك أن السؤال عن حكم الله الذي أنزله في كتاب الله وبيَّنه رسول الله ـ ﷺ في

حديثـه ، فالاخـتلاف بين العـالم وبين الأمي الجاهل ليس في خـصوص وجوب اتباع الكتـاب والسنة على كلٍ منهما ، وإنما الاخـتلاف في طريقة الوصول إلى معرفة ما يجب اتباعه في الكتاب والسنة[1] .

○ اتباع العلماء وسيلة وليس غاية :

فالعـالم يعرف ذلك مـباشرة ، أمـا العامي والجاهـل فلا يمكنه أن يعرف ذلـك إلا بواسطة العالم ، هنا يبـدأ الخطأ فواسطة الأمي والجـاهل لمعرفة حُكم الله وحكم رسوله العالم ، **فالعالم وسيلة وليس غاية** ، **والغاية هو اتباع الكتاب والسنة** ، فإذا وصل الأمر إلى قلب هذه الحقيقة ، فذلك هو الضلال المبين.

ما هو هذا القلب ؟ أن نجعل الوسيلة غاية ، ألا نسأل عن حكم الله ولا عن حكم رسـول الله ، لكن نسأل العـالم « شو » رأيك ؟ يقـول له رأيي كذا ، فيخـضع له ، ويتبعه ، وكان المفروض باعتـباره مسلماً - لمن أسلم ؟ أسلمت لله رب العـالمين - كـان المفروض أن يُسلـم قلبه وعـقله وتفكيره وحياته ومماته كما في القرآن الكريم :

(١) وفي الحقيقة الأمية قد لا تعني فـقط : عدم معرفة القراءة والكتابة ، بل قد نُطلق ذلك أيضًا منسوبًا إلى علوم الشرع ، فقد يكون المسلم عالمًا بالقراءة والكتابة ، بل قد يكون قـد وصل إلى أعلى درجات التعـليم في الميادين الدنيوية ، إلا أن فـيه أميَّة شـرعية ، بمعنى أنه لا علم له بمسائل الشرع ، وقـد لا تكون عنده القدرة على الاستنباط والاجتهاد ، وإن كانت عنده بعض الحـصيلة العلمية ، فمثل هذا يجوز له التقلـيد لمن استـفتـاه أو سأله ، أو قرأ له ، بشـرط أن لا يُتخـذ دينًا يورث تعصـبًا ومذهبية مرفوضة.

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[الأنعام : ١٦٢].

كان يجب عليه أن يُسلم هذا كله،وإذا بنا بسبب قلب الحقائق وجعل الوسيلة غاية ، أصبحنا نجعل العالِم هو الغاية ، كما لو كان هو الرسول نفسه صلوات الله وسلامه عليه الذي إذا قال لا يجوز مخالفته، **ومن تعمَّد بقلبه مخالفته** [١] ، فقد كفر وخرج من الدين خروج الشعرة من العجين.

○ طاعة العلماء مقرونة بطاعتهم لله وللرسول ﷺ :

أهكذا شأن العلماء أن نُنزلهم منزلة الرسول المعصوم ﷺ ؟ لا ، لذلك فرَّق النص القرآني في عديد من الآيات - ومن ألطفها - فرَّق بين الرسول الذي يجب اتباعه لأنه معصوم بعصمة الله له ، وبين الآخذين عنه ، فرَّق في أبدع عبارة فقال تعالي :

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء :٥٩].

لم يُظهر الفعل في المرة الثالثة ، ما قال : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

---

(١) هذا تعبير دقيق جدًا من الشيخ ، وهو تعمد المخالفة الذي يقتضي الجحد أو النكران بل الاستحلال ، أما من فعل ما يخالف فيه رسول الله تعالى على سبيل الخطأ ، أو ظنًا منه أنه موافق للنبي ﷺ فيما يفعله ، أو على سبيل التكاسل دون جحود أو نكران ، أو لأجل شهوة أراد تحصيلها ، وهو يعلم يقينًا في قلبه أن ما أمر به النبي ﷺ واجب الاتباع،وإنما زلت قدمه في المعصية وفي مخالفة أمر رسول الله، فمثل هذا لا يكون كافرًا أبدًا ، ولا يقع في الشرك بمثل هذا الفعل ، وقد تقدَّم النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية بما يؤيد ذلك.

الرَّسُولَ﴾ وأطيعوا ﴿أُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ .

وهذا كما قال ابن القيم - رحمه الله - : لإلفات النظر إلى أن إطاعة أولي الأمر ، وهم العلماء والحكام ، ليس كل الحكام وإنما الذين يحكمون بما أنزل الله يُطاعون تبعاً لطاعتهم لله والرسول ، أما الرسول فيُطاع لأنه رسول ، لأنه يحكي عن الله ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فأصبحنا نحن لا نفرِّق بين الرسول وبين الناقل عن الرسول والفاهم عن الرسول ، وهم أولو الأمر ، وهم الحكام .

لذلك فنحن نقول : التقليد ليس ديناً ، والواجب على كل مسلم إطاعة الله وإطاعة الرسول ، والحرص على ذلك ، لكن الجاهل يسأل العالم ، فاذا كان هناك علماء ويدَّعون العلم وأنهم يفهمون ، إذا قيل له : قال الله كذا ، وقال رسوله كذا ، أعرض ونئا بجانبه .

نحن مشكلتنا ليست مع العامة ، لأننا نقول العامة لا يفهمون طريق ومشوار أهل العلم ، نحن مشكلتنا مع هؤلاء الخطباء الذين ذكرهم الرسول عليه الصلاة والسلام في غير ما حديث ، واحد :

رأى ليلة أُسرى به عليه الصلاة والسلام ناساً يؤخذون من أشداقهم - هكذا - بحدائد من نار ، كلاليب من نار ، فلما سمع ذلك الرسول عليه السلام من جبريل أو رأى ذلك سأل جبريل قال : « **من هؤلاء ؟** » ، قال : هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون(١) .

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٠و٢٣١) من طريق : حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن أنس بن مالك به ، وعلي بن زيد هو ابن جدعان ضعيف الحديث . =

○ **ذم التقليد المفضي إلى الاتباع الضال ومشابهته لهدي أهل الكتاب مع أحبارهم :**

وهم يقولـون نحن نتبع الكتـاب والسنة ، فإذا جاء الكتـاب والسنة قالوا : نحن لا نفهم الكتاب والسنـة ، فمن الذي يفهم الكتاب والسنة ؟ إذاً لم يبق أحدٌ يفهم الكتاب والسنة ، **معنى هذا** : القضاء على الإسلام ، لأن رسول الإسلام يقول: . . . .

. . . .[1] دعوة ، لكن أية دعوة هذه ونحن بعد لم نفقهها ؟!! بل نُصرِّح بأنـه لا يمكننا أن نفهمـها من الكتـاب والسنة ، وإنما من طريق العلمـاء ، ثم ضغثـاً علي أبالة - كمـا يُقال - ، ليـتهم يقـولون : نأخذ الشريعة من العلماء المجتهدين الذين فهموا الكتاب والسنة ، وهم بلا شك أعلم من المتـأخـرين ، ولكن هذا ليس مـعناه أن نحكم على المتـأخـرين بالجهل ، وأن نفرض عليهم الجهل وعدم الاشتغال بمعرفة الكتاب والسنة، ذلك تماماً كما هو شأن النصاري مع قسـيسيهم ورهبانهم ، خبراً من وحي السماء من جهة ، وواقعاً في الأرض من جهة أخرى.

أما خبر السماء :فكلكم يقرأ قول الله تبارك وتعالى في حق النصارى :

﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ**﴾ .

[التوبة :٣١].

= وتابعه عليه من هو مثله ، ألا وهو عمر بن نبهان، عن قتادة ، عن أنس به.
أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٧٣).

(١) يوجد سقط بمقدار قليل جداً من الشريط ، والظاهر أنه بسبب تغيير الشريط أثناء التسجيل.

أما الواقع : فعامة النصارى لا يعرفون ما في الإنجيل وما في التوراة، هذا خاص بقسيسيهم ورهبانهم ، وذلك ليتمكن هؤلاء القسيسون والرهبان من التحكم بعامة النصارى وشعوب النصارى ، وأن يستعبدوهم من دون الله تبارك وتعالى ، وهذا معروف ، وآخر شيء بلغنا - بلغ الجميع - وبلغ بعض الخاصة في آخرين ، فقد عرفتم أن اليهود بُرِّئوا من تهمة صلبهم إلههم عيسي - بزعمهم!! - ، فطهَّروا صحيفتهم بسبب تدخل السياسة وفرض السياسة المعينة ، وكان على رئيس النصارى أن يُصدر هذا التطهير ، وفي الإنجيل خطاباً لبُطرس : « ما تعقده في الأرض يكون معقوداً في السماء » ، وكذلك نائبه - وهو البابا - .

هذا هو التأليه ، وهذه هي الربوبية التي ذكرها الله عز وجل في القرآن : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾ .

آخر شيء بلغنا أن الراهبات - في البُرهة الأخيرة - أصدر البابا قراراً - مجاراةً منه للعصر الحاضر ، أي تبرج النساء - بأنه يجوز للراهبات اللواتي كنا نحن نأسف في العهد القريب أن لباسهن وسترتهن أستر وأشرع من لباس كثير من المسلمات ، وإذا بالبابا يُصدر قراراً بأنه يجوز للراهبات أن يكشفن عن رؤوسهن ، مقدمة رؤوسهن ، لماذا ؟ لأن العصر الحاضر - الآن - ما عاد ليتحمل هذا الجمود ، على هذا التلفف وهذا التحجب البالغ ، إذًا هو يُحل ما شاء ويُحرِّم ما شاء.

○ النهي عن اتباع أهل الكتاب أو التشبه بهم:

المسلمون يجوز لهم أن يفهموا مثل هذا الفهم؟!! حاشا لله ، وما ذكر

الله عز وجل الآية السابقة في كتـابنا إلا تحذيراً لعلمائنا أن يسلكوا مسلك القسيسين والرهبان ، فيُنَصِّبـوا أنفسهم محللين ومحرمين من دون الله رب العالمين تبارك وتعالى ، هذا من جهـة العلماء ، ومن جهة عامة الناس ألا يغتروا بتـقليد أعمى لهؤلاء الذين يُحَلِّلون ويـحرِّمون ، وهذا مع الأسف الشديد - أقولها صـريحة - قد صدق فينا أيضاً مثل مـا صدق في اليهود والنصارى خبر الله من السماء : ﴿ **اتَّخَذُوا** . . . . ﴾ ، هذه حقيقة واقعة ،وخبر السماء من رسول الله ، يقول :

« لتتبعُن سنن من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراعٍ ، حتي لو دخلوا جُحر ضبٍّ لدخلتموه »[1] .

فهل وقع في هذا المسلمون ؟ نعم نحن نسمع اليوم الخطيب يقول كذباً علي الناس : «فلان يُكفِّر المسلمين» ، فلسان حالهم :« آمين » ، أين أنتم وقول رب العالمين :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [الحجرات :٦].

---

(١) البخاري (٢/ ٤٩٢) ، ومسلم (٤/ ٢٠٥٤) من طريق : زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري به.

وهو بنحـوه عند البخـاري (٤/ ٢٦٤) من طريق : ابن أبي ذئب ، عن سـعيـد المقبري ، عن أبي هريرة .

وعن أبي هريرة من طرق أخرى .

هذه الآية منسوخة !! مـا الذي نسخها ، لا ، ليـست هي المنسوخة القرآن كله منسوخ !! لأنه لا أحد يعمل به ، ولا يجوز لأحد أن يقرأ القرآن ولا حـديث الرسول عليـه السلام إلا لـلبركـة !! ولذلك ران على قلوب المسلمين هذا الجهل العميق، فأصبحوا لا يتأثرون بما يتلون من كتاب الله ، وما يدرسون من حديث رسول الله ﷺ .

○ قراءة القرآن والسنة للتبرك وتضييع أحكامهما :

كيف ونحن كنا نسمع - ولا نزال مع الأسف - يقولون : نحن نقرأ حديث رسول الله ، وإذا كـان حديث رسول الله ﷺ وهو المبيِّن للقرآن الكريم يُقرأ للبركة - ويَعْنُون بذلك - لا للتفقه فيه ، ولا لتفهُمه ، خلافاً لقول صاحب هذا الحديث وهو الرسول عليه السلام :

« **من يُرد الله به خيراً ، يفقهه في الدين** »(١) .

لا للتفقه في الدين يقرأونه! - كما سمعتم - للبركة !! مع أن الحديث يُفسِّر القرآن ويُوضِّحه ، فإذا كانوا يزعمون أنهم إنما يقرؤون حديث الرسول عليه السلام للتبرك ، لأنهم ليس باستطاعتـهم أن يتفهموه ، فليت شعري حينما يقرؤون القرآن ، لماذا يقرؤونه ؟! أيضاً زعموا للبركة .

ومن العجائب - وهذا من المتناقضات - : يقرؤون في كتب الغزَّالي وأمثاله أن هناك حديث عن رسول الله ﷺ - وأنا أقول سلفاً : هذا الحديث المنسوب إلى الرسول لا أصل له ، لكن انظر إلى المعنى الذي ينقلونه يقرؤون

---

(١) البخاري (١/ ٢٥) ، ومسلم (٢/ ٧١٩) من طريق : يونس ، عن الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، سمعت معاوية مرفوعًا به.

في كتاب «الإحياء» أن الرسول عليه السلام قال - أو بعض السلف- :

« **رب تالٍ للقرآن ، والقرآن يلعنه** »[1] .

على من ينطبق هذا الحديث ؟ إن كان حديثاً أكثر من أن ينطبق على هؤلاء الذين يقرؤون القرآن ثم لا يتدبرونه ، أقول هذا بمناسبة الآية التي ذكرتها آخيراً : ﴿ **إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا** ﴾ هل هذه الآية منسوخة ؟

لا يا جماعة !! موجودة في القرآن ومُحكمة ، وعلماء التفسير يذكرون المناسبة والسبب الذي من أجله نزلت الآية ونحو ذلك.

لكن لما كان جماهير المسلمين - الخاصة منهم فضلاً عن العامة - يقرؤونه للتبرك فلم يعُد لهذا القرآن تأثيراً ما في قلوب هؤلاء التالين له، والرسول عليه السلام يقول في حديث صحيح :

« **القرآن حجة لك أو عليك** »[2].

فعاد هذا القرآن حجة علي جماهير المسلمين ، لماذا ؟!!

○ تكرار الفرى، ووجوب التثبت من صحتها:

نحن مضى علينا قرابة نصف قرن من الزمان ، لا تزال الفريات تتنوع في كل سنة ، في كل سنة شيء يتكرر ، وشيء يُبتكر من جديد ، ما أحد

---

(١) هذا الخبر مذكور في «الإحياء» دون سند ، فالأقرب أنه لا أصل له.

(٢) شطر من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عند مسلم (١/ ٢٠٣).

من هؤلاء الناس جاء إليَّ أو إلى بعض إخواننا - ممن يمكن أن يُعرف عندهم - صحيح أنت بتكفِّر المسلمين لأنهم بيتبعوا المذهب ؟!! ما أحد جاء يسأل إطلاقاً ، إذا - هُمْ - هذه الآية كأنها منسوخة لديهم .

صحيح أنت بتقول أن الذي يُصلى على الرسول عليه السلام بعد الأذان هذا خيرٌ منه الذي يزني بأمه ؟!!

اسمعوا يا جماعة !! هذا ليس خيالاً هذا واقع ، هذا واقع ، مجلة «التمدن الإسلامي» مطبوعة ، وهناك عدد منشور فيه هذا الخبر ، رجل لا يزال في قيد الحياة ، واكتفى بالاعتذار للمجلة ، لكن ما اعتذر للناس الذين اتُهموا بهذه التهمة الباطلة ، نشر في بعض الرسائل أن هناك مؤذناً في مكانٍ - سمَّاه - كان يؤذن ، فقال له أحد هؤلاء - يعني السلفيين - : لا تُصلي على الرسول بعد الأذان ، فقام أحد المشايخ الفضلاء - لا مانع من تسميته لأنه خير - وهو الشيخ : محمد بهجت البيطار - رحمه الله - ، فكتب في مجلة «التمدُّن الإسلامي» بياناً ، بأن هذه القصة فرية محضة والمؤذن نعرفه . . . وإلى آخره ، لذلك نرجو الذي نشر هذا الخبر أن يُبادر إلى تكذيبه ، فبادر المسكين.

أنا - الواقع - لما أذكر هؤلاء بين من يُأسى عليهم ويشفق وبين من يحقد عليهم ويغضب ، لماذا ؟! لأنه كيف يدخل في عقل هذا الإنسان أن يوجد مسلم في الدنيا يُصلى ويصوم ، يقول : أن زنا الرجل بأمه خير من الصلاة على الرسول بعد الأذان ، كتب هذا ونشره في رسالة ، فلما اطلع علي طلب الشيخ بهجت -جزاه الله خيراً-، فأرسل كتابًا لمجلة «التمدن» :

« والله أحدهم حدثنا بهذا الخبر ، فما دام الخبر غير صحيح ، فأنا أعتذر » .

ومثل هذه الأخبار تتكرر ، لكن ألستم تنقمون على هذا الإنسان؟! بلا شك ، لكن هذا خير من هؤلاء الناس الذين يلقون الفريات والبهت المتتابع على المنابر ، ولا يخشون الله ، إذا كان هؤلاء - حرصاً على مناصبهم - لا يخشون الله ، فليحذر الذين يسمعون هذه الكلمات أن يُشاركوا هذا المبطل وهذا المفتري على المؤمنين في إثمه ، وليحذروا أن ينقلوا مثل هذه الأخبار ، لما ذكرنا من قول الله عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ .

○ الأصل في الاتباع :

نحن نقول : الأصل هو اتباع الكتاب والسنة كما ذكرنا لجميع الناس ، لكن الناس يختلفون في طريقة الوصول إلى معرفة الكتاب والسنة ، العالم بعلمه ، والأمِّي أو الجاهل بسؤاله إلى أهل العلم ، وطُلاب العلم بين هؤلاء وهؤلاء ، يتدارسون ويسلكون الطريق ليتمكنوا من معرفة ما قال الله وقال رسول الله .

الغرض : أن تُلاحظوا التفصيل : الأصل الكتاب والسنة لمن يستطيع ، وهذا المفروض أن يستطيعه أهلُ العلم ، والعامة يسألون أهل العلم ، هذا صحيح جدًّا ، لكن أن ينقلب الأمر فيُصبح العلماء جُهالاً لا يعرفون الكتاب

والسنة ، ويفرضون على الناس آراءهم وأقوالهم ، فهذا خلاف الإسلام ، وهذا يؤدي إلى أن يُصيب المسلمين ما أصاب النصاري - كما ذكرنا - من خضوعهم لقسيسيهم ورهبانهم.

○ **دحض فرية وبيان عقيدة :**

فمن ينقل عنا : أن اتباع المسلم لمذهب من المذاهب هو كفر أو شرك، فهو مفترٍ ، والله عز وجل حسيبه يوم القيامة .

أما - نحن - **عقيدتنا** : أنه يجب علي المسلمين اليوم جميعاً وبخاصة العلماء في كليات الشريعة أن يُطوِّروا مناهج التدريس ، بحيث أن يأتي زمن يُصبح الجو العام في العالم الإسلامي ، هو الجو العام الذي كان في السلف الأول(١) .

السلف الأول : لم يكن هناك مذاهب ولا طرق(٢) ، لم يكن هناك إلا « **قال الله قال رسول الله** » ، والأمر كما قيل :

---

(١) وهذا يكون عن طريق غرس وجوب الاتباع وضرورته في نفوس الطلاب ، اتباع الكتاب والسنة ، بحيث يتمكن منهم قلبًا وقالبًا طريقة واعتقادًا ، لا مجرد كلمات خاوية بلا معنى يُتلفظ بها ، دون تطبيق عملي حقيقي لمقتضياتها ، ثم تعليمهم طرق الاستنباط ودراسة الأدلة ، والاستعانة بفهم السلف وباجتهادات العلماء لترجيح ما يؤيده الكتاب والسنة ، واستبعاد ما لا يؤيده من الأقوال .

(٢) لم يكن في عصرهم مذاهب متبوعة ينتسب إليها الناس كما هو حاصل في العصور المتأخرة ، وإنما كانت لهم اجتهادات وأحكام معتمدة على ما وصلهم من الأدلة الشرعية.

وكل خيرٍ في اتباع من سلف ، وكل شرٍّ في ابتداع من خلف.

فالرضا بهذا الواقع السيئ علي عُجره وبُجره وبخاصة ما نحن فيه، الرضا ببقاء الناس جُهالاً بكتاب الله وبحديث رسول الله ، الذي أوصل بهم أن يجهلوا التوحيد الذي هو رأس الأمـر ، فهذا لا يجوز في دين الإسلام قولاً واحداً .

○ **العودة إلى المنهج الصافي:**

تطوير المناهج يُودي مع الزمن إلى أن يعود المسلمون إلى ذلك العهد الصافي الذي لم يكن فيه بكريٌ ولا عمريٌ ولا عثمانيٌّ ولا علويٌّ، فضلاً عن أن يكون فيهم حنفيٌّ أو مالكيٌّ أو شافعيٌّ أو حنبليٌّ .

ويوم يعود المسلمون حقيقـة إلى هذه الحياة العلمية التي لا يعلو ولا يحفظ فيها إلا : «**قال الله قال رسول الله**» ، يومئذٍ - أنا أعتقد - تقوم قائمة المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية ، أما ونحن ماضون على هذا الخطأ وعلى هذا الضلال ، من الابتعاد عن كتاب الله وعن حديث رسول الله ، واتهام مـن يدعو إلى كتـاب الله وإلى حديث رسـول الله ﷺ بأنه يُكَفِّر ويُضلِّل وما شابه ذلك ، فمع الأسف سيظل المسلمون هكذا مغلوبين على أمورهم ، يحكمـهم من لا يَدين بدينهم ، ويتسلَّط عليهم اليـهود ، وهم بجوارهم ، ثم لا يستطيعون أن يعملوا شيئاً .

ذلك لأن الله عز وجل يقول :

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد: ٧].

وكيف يكونُ نصرُ الله ونحن نحارب دين الله كتاباً وسنة باسم الدين .

فإِن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإِن كنت تدري فالمصيبة أعظم

ولعل في هذا القدر كفاية .

* * *

شُبهةٌ حولَ السَّلفيَّة

للشَّيخ العلَّامة

محمد ناصر الدين الألباني

جمعها ورتبها وشرحها

عمرو عبد المنعم سليم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ونستعـينهُ ونستغفرُه ، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسِنا ، ومن سيئات أعمالِنا ، من يهده الله فلا مُضَلَّ له ، ومن يضلِلْ فلا هاديَ له ، وأشـهـد أنْ لا إِله إلا الله وحـدَه لا شريكَ لـه ، وأشهـد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَقَّ تُقَـاتِهِ وَلا تَمُـوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ : ٧١].

أمَّا بعد :

فإنَّ أصْدَقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحْـسَنَ الهَدْيِ هدىُ مُحمد، وشر الأمور مُحـدثَاتُها ، وكلَّ مُحدثةٍ بدْعة ، وكلَّ بدْعـةٍ ضَلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار .

وبعد : كنا في الدرس الماضي تلونا عليكم فقرة لبعض الكُتَّاب الإسلاميين في العصر الحاضر ، تكلَّم فيها عن جانب من جوانب الدعوة السلفية ومدى تأثيرها في المنتمين إليها ، ولعل الذين حضروا الدرس السابق يذكرون جيدًا قول الكاتب المشار إليه في تساؤله واستدراكه بقوله :

« ولكن هل استطعتم أن تركزوا هذا المفهوم الصحيح في نفوس المنتسبين إلي طريقتهم ؟ ».

تكلمت على هذه الجملة بالذات بما يكفي ويشفي - في اعتقادى - في الدرس الماضي وأنا أتكلم عن بقيتها فقد قال :

« الواقع يؤكد قليلٌ منهم قد أخذ نفسه بهذا المنهج ، أما الأكثرون فعلى الضدَّ من ذلك ، لا يرون في المذاهب إلا عدوًّا يجب القضاء عليه، وقد رأينا وسمعنا من كبارهم - بين هلالين « » - **من يجاهر بهذا الرأي ومن أوسطهم من يقول لابد أولاً من إحراق كتب المذاهب جميعًا »**.

هذا الكلام يعزوه الكاتب إلي بعض المنتسبين للدعوة السلفية ، وهو يجعلهم قسمين : كبارًا وصغارًا ، ولعلَّ هذا التقسيم يشير إلى محاولة الرجل إلى إنصاف الذين يتكلم فيهم نقدًا ، والذي يهمني من التعليق على هذه الأسطر إنما هو أمران اثنان : أحدهما أهمُّ من الآخر ، فلنبدأ بالأهم ، ثم بما دونه.

الأول : هو موقف الدعوة السلفية بالنسبة للمذاهب وأئمتها ، هذا الأمر الأول ، والأهم كما ذكرنا .

والأمر الآخر : هل فيمن ينتسب إلى الدعوة السلفية من يتكلَّم بمثل هذا الكلام الذي ذكره الكاتب وعزا طرفًا منه إلى كبارهم وطرفًا آخر منه إلى أوسطهم؟!

أما **الأمر الأول** : فنحن ندندن دائما وأبدًا ، وتكلَّمنا عن شيء من ذلك في الدرس السابق فلا أريد الإطالة ، نقول دائمًا :

إن هذه الدعوة - الدعوة السلفية - إنما تقوم على فهم الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح الذين هم كانوا في القرون الثلاثة المشهور لهم بالخيرية في الحديث الصحيح بل المتواتر :

« **خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم** »[1] .

والأئمة الأربعة وغيرهم ممن عاصرهم أو تقدَّم عليهم أو تأخَّر عنهم شيئاً قليلاً كل هؤلاء من أئمة السلف الصالح ، فنحن بهم نقتدي وإياهم نتبع في دعوتنا هذه ، ولذلك فلا يُتصور إطلاقًا أن يذمَّ رجل سلفي المشرب والمذهب - لا يُتصوَّر - أن يطعن في إمامٍ من أئمة المسلمين ، أو أن يذمهم ، أو أن يتمنى حرق كتب هؤلاء الأئمة وعدم الاستفادة بها.

لقد كنت تحدَّثت عن جانب من هذه الحقيقة في مقدمة « **صفة صلاة النبي ﷺ** » ، وذكرت أن الأئمة - وبخاصة الأئمة الأربعة - لهم الفضل الأول في توجيهنا على المنهج الصحيح في اتباع الكتاب والسنة، وقد جمعتُ في مقدمة «صفة الصلاة» أقوال الأئمة الأربعة التي فيها

(١) تقدَّم تخريجه.

توضيح هذا المنهج في اتباع الكتاب والسنة ، وعدم الجمود على التقليد والجمود على اتباع المذاهب ، ذكرت أقوالهم هناك ولا أريد الإطالة في ذكرها[1] .

وحسبي مثال واحد منها - حيث إنهم اتفقوا جميعًا على التلفظ بهذا المثال - ألا وهو قولهم : « **إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي** »[2] .

---

(١) وكيف يُدَّعى ذلك على السلفية وهي التي تعني باتباع ما ورد في كتب الاعتقاد عن أئمة السنة ، والتي لا تخلو في مباحثها من الحث على اتباع السلف والأئمة وجعل ذلك من علامات أهل السنة وأهل الحديث والأثر وأصحاب الاعتقاد السليم الصحيح، وعبارتهم مشهورة في ذلك :

« **إذا رأيت الرجل يحب فلانًا وفلانًا - أسماء لأئمة السنة - فاعلم أنه صاحب سنة** » ، و« **إحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة وعلمائها وأنصارها وأوليائها وبغضهم لأئمة البدع الذين يدعون إلى النار** » .

(٢) ولذلك فقد وردت كلمات ذهبية عن الأئمة الأعلام في المنع من الأخذ بأقوالهم إن هي خالفت الكتاب أو السنة ، فإنه قد يعزب عن العالم سنة مروية أو دلالة لفظية لآية قرآنية ، فسبحان ربنا العليم الذي لا يعزب عن علمه شيء.

وقد أخرج البيهقي في «مناقب الشافعي» (١/ ٤٧٢) **بسند صحيح** عن الإمام الشافعي - رحمه الله - قال : **إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت.**

وأخرج ابن عبد البر في «بيان العلم وفضله» (٢/ ٣٢) **بسند صحيح** عن الإمام مالك بن أنس - رحمه الله - قال : **إنما أنا بشر أخطئ وأصيب ، فانظروا في رأيي ، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه.** =

لذلك فنحن نعتقد أن الدعوة السلفية قائمة على تقدير الأئمة حق قدرهم ، وإن وُجد هناك أناسٌ ينتمون إلي الدعوة السلفية ولكن يصدر منهم بعض الكلمات التي تُعتبر ظلمًا للأئمة ولجهودهم ولعلومهم ، بل وظلمًا لهم بمثل هذه الكلمات التي ذكرها الكاتب .

= وأخرج ابن عبد البر (٢/١٤٨- ١٤٩) **بسند حسن** عن الإمام أحمد أنه قال :

رأي الأوزاعي ، ورأي مالك ، ورأي أبي حنيفة كله رأي ، وهو عندي سواء ، وإنما الحجة في الآثار.

والشاهد من قول أحمد - رحمه الله - : أنه لا عبرة بأقوال الأئمة إن خالفت الكتاب أو السنة ، أو لم يقم دليل صحيح على صحتها ، وهو تمامًا معنى ما ورد عن الإمام الشافعي ، والإمام مالك - رحمهما الله تعالى -.

ومع هذا فقد صح عن أحمد أنه زجر عن الشذوذ بالأقوال والخروج عن أقوال السلف ، فقال لتلميذه الميموني : **يا أبا الحسن إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام.**

فاتباع السنة واجب ، وإنما يكون بفهم السلف ، ولا يشذ جاهلٍ بقولٍ لم يقل به أحد من أهل العلم من السلف تحت مسمى «الاجتهاد واتباع السنة ونبذ التقليد».

والحقيقة أن أحكام الأئمة واجتهاداتهم ليست في نفسها حججًا شرعية ، وإنما هي دلائل إلى معرفة الأحكام الشرعية ، والتعبد إنما يكون بنصوص الكتاب والسنة ، على فهم السلف والأئمة.

ولذلك فإن الدعوة السلفية تعني أشد العناية بالاتباع : وهو اتباع نصوص الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح ، ولا تمنع مطلق التقليد كما قد يتوهمه البعض ، بل تجيز بعضًا منه لغير المتأهل للاجتهاد وهو حال كثير من عوام الناس ، إلا أنها تمنع منه إن اتُّخِذَ التقليد دينًا وديدنًا بحيث يورث تعصبًا مذهبيًا يمنع من الأخذ بقول المخالف وإن دعمته نصوص الكتاب والسنة أو كليات الشريعة . =

إن من المبادىء التي قامت عليها الدعوة السلفية بناءً على أنها قائمة على الكتاب والسنة - وفي الكتاب والسنة ما يؤيدّ - أنه لا يحمل أحدٌ وزر أحد كما قال تعالي : ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾ [النجم : ٣٦ ـ ٣٨] .

وجاء في **الحديث الصحيح** : أن رجلاً من الصحابة أتي النبي ﷺ ومعه غلامٌ له قال : « **هذا ابنك ؟** » قال : نعم ، قال :

= وللشيخ الألباني - رحمه الله - فتوى مهمة في هذا الباب في «فتاوى المدينة» (٣٢) ، حيث سُئِلَ : **ما هو الدليل على تحريم التقليد** ؟ فأجاب - رحمه الله - :

« **لا أعلم دليلاً على تحريم التقليد ، بل التقليد لابد منه لمن لا علم عنده** ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ ، فهذه الآية جعلت المسلمين من حيث العلم قسمين: **عالم** :وأوجب عليه أن يُجيب السائل، **غير عالم** : وأوجب عليه أن **يسأل العالم**.

فلو أن رجلاً من عامة الناس جاء العالم فسأله فأجابه العالم ، فقد طبق هذا الرجل هذه الآية ، ولعل المقصود هو غير ما ذُكر في السؤال ، وهو تحريم التمذهب ، وهو أن يأخذ دينه من أحد المذاهب المتبعة ، ثم لا يلتفت إطلاقًا إلى المذاهب الأخرى وأقوال الأئمة ، **فهذا التدين بالتمذهب هو الذي لا يجوز** ، لأنه خلاف أدلة الكتاب والسنة.

وأهل العلم يُقسِّمون الناس إلى ثلاثة أقسام :مجتهد، متبع - أي على بصيرة- ، مقلِّد ، وهذا شأن عامة الناس ، **فإذن لا نستطيع أن نقول : إن التقليد حرام ، إلا إذا جُعل التقليد دينًا ، أما مطلق التقليد ، فلا يجوز تحريمه**».

« **أما إنك لا تجني عليه ، ولا يجني عليك** » [1].

هذا كتفسير للآية السابقة : ﴿ **أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾ .

فإذا صدرت مثل هذه الكلمات من بعض من ينتمون إلى الدعوة السلفية ، فالدعوة ليست مسؤولة عنها ، ولا عن قائلها لهذا الذي سمعتم من الآية والحديث الصحيح .

ونحن نعترف آسفين أنه قد تصدر مثل هذه الكلمات عن بعض المتحمسين من السلفيين ، من الذين لهم خُلُقٌ خاص أو طبع خاص ، من ذلك: الحدَّة ، ومن ذلك : أن يكون عقله وراء لسانه ولسانه قبل عقله ، فهو يقول قبل أن يُفكِّر ، هذا لا نستطيع أن نُبَرِّئَ مِنْ مِثْلِه - بل ومن أمْثَالِه- دعوة من الدعوات ، فهؤلاء أصحاب الرسول ﷺ لم يخل منهم من نزلت فيه بعض الآيات ، ومن غضب منه الرسول ﷺ ، وأحيانًا ربما سبَّه وشتمه ولعَنه، ذلك لأن في كل طائفة وفي كل جماعة من لم يتأدبوا بأدب الدعوة ، ولم يتخلَّقوا بأخلاقها.

نحن نأخذ من هذه السطور في نقد هذا الكتاب لبعض الدعاة المنتمين إلي السلفية نأخذ ناحيتين اثنتين ، قلت : إحداهما أهم من الأخرى .

فالأولى : أن يعرف الجميع أن الدعوة السلفية لا تقوم على هضم حقوق العلماء ، كيف والقرآن الكريم يقول :

---

(١) وهو مخرَّج في «السلسلة الصحيحة» (٧٤٩) .

﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

[المائدة: ٨].

فإذا كان القرآن الكريم يأمر المسلمين جميعًا بأن يعدلوا في إصدار أحكامهم حتى فيمن يُبغضونهم ، فكيف يكون شأنهم فيمن يُحبونهم؟!

لذلك فنحن على ما كنَّا ذكرنا منذ قرابة عشرين سنة من احترامنا لأئمتنا واقتدائنا واتباعنا إياهم ، ولكن - وهذا من بيت القصيد كما يُقال - إننا نختلف عن جماهير المسلمين الذين لا ينتمون إلى الدعوة السلفية، نختلف عنهم اتباعًا ، وفي تعظيمنا وتوقيرنا لأئمتنا إختلافًا جذريًا ، ولعل هذا الاختلاف يكون مسببًا ومثارًا لحفيظة بعض من لم يهضم الدعوة السلفية جيدًا ، سواءً ممن ينتمي إليها ، أو ممن لا ينتمي إليها ولكنه يتبنى بعض أفكارها وآرائها.

نحن حينما نوقِّر الأئمة ونعظمهم لعلمنا بأنهم هداةً ودعاةً إلى هذا الذي نحن ندعوا إليه من الكتاب والسنة ، وبالنظر إلى أنهم وسائط بيننا وبين محمد ﷺ ، فإننا لا نعتقد أن هناك طريقًا لطلب العلم سوى الطريق الذي يعرفه كل الناس ، وهو أن يتلقى الجاهل عن العالم ، فليس لدينا طريق يدَّعيه بعض المنتسبين إلي بعض الطرق الصوفية[1] ، أنه يمكن

(١) ليس الصوفية فحسب ، بل والرافضة كذلك ، الذين يدَّعون العصمة في أئمتهم ، ويقبلون بكلامهم وينزلونه تنزيل الحجج الشرعية ، بل ويقدمونها على نصوص الكتاب والسنة،بخلاف من يعتزي إلى منهج السلف وأهل السنة والجماعة ، فإن شعارهم الاعتدال في الأئمة: من التوقير والتعظيم لهم ، والثناء عليهم بالجميل=

للإنسان لو كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب أن يتلقى العلم بغير هذا الطريق المتبع في تلقي العلم ، وهو ما يسمونه بـ « **الإلهام** ».

« **الإلهام** » عند كثير من الصوفية يكاد يشبه الوحي ، ومن المؤسف أن نذكر هذه الحقيقة المُرَّة وهي أن الإمام الغزالي يذكرشيئًا من هذا الطريق الإلهامي في أول كتابه «إحياء علوم الدين» ، فيذكر أن الإنسان مع مجاهدته لنفسه ومراقبته لربه ومناجاته إياه في خلواته يمكن أن يتلقى من الإلهام علم ما لم يعلم ، ويذكر هو وغيره طريقة خاصة ، أن يجلس في غرفة مظلمة ، وأن يضع رأسه على ركبتيه ، وأن يُغمض عينيه ، ويجلس هكذا في ظلمات ثلاث ، الغرفة وظلمة غمض العين ، وظلمة أن يشعر نفسه الاتجاه الذي يتجه فيه ، علي خلاف تلقى العلم ، فيترقب أن ينزل عليه شيء من الوحي الذي يُسَمُّونه بالإلهام ، من هنا جاءت عبارة يُرددها كثيرٌ من الصوفية المتقدِّمين منهم والمتأخرين وهي قولهم: « **حدثني قلبي عن ربي** » ، لا يقول أحدهم كما يقول أئمة الحديث : « **حدثني فلان عن فلان** » ولا يقول أحدهم كما يقول علماء الفقه : « **قال فلان في كتابه عن فلان** » ، وإنما فوراً يقول : « **حدثني قلبي عن ربي** » (١) .

= والحسن ، والترحم عليهم ،ونشر فضائلهم ،واتباع مذاهبهم فيما وافقوا فيه الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح ، وما كان من خطأ أحدهم أو زلله فالعفو عنه واجب ، وترك اتباعه في هذا الخطأ وترك التقليد له فيه أوجب ، فكلماتهم كثيرة في المنع من اتباع زلاتهم ، أو الأخذ برخصهم إذا قامت الأدلة بخلافها.

(١) وفي ذلك يقول أحد علماء شاش- «شرف أصحاب الحديث» (ص:١٤٤) - :

كل الكلام سوى القرآن زندقة ... إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
والعلم متبع ما كان «حدثنا» ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين

أيضًا هذا المجال للبحث الطويل لا أريد أن أخوض فيه ، لأني في صدد بيان نقطة الاختلاف ، بينما نحن السلفيين الذين نشترك مع جماهير المسلمين في تقدير الأئمة واحترامهم ، نفترق في هذه النقطة.

نحن نعتبر الأئمة وسائل ووسطاء يبلغون العلم عن الله ورسوله، فنحن لا نتبعهم لذواتهم ، ولا نجعل اتباعنا إياهم غاية من غاياتنا ، لأن الغاية الوحيدة هي أن نعرف ما كان عليه رسول الله ﷺ ، مما أنزل ربه عليه في كتابه أو بيَّنه هو عليه الصلاة والسلام في سنته.

فهؤلاء العلماء الأجلاء نحن نتخذهم وسائط[1] ليبلغونا دعوة الكتاب والسنة ، أما الجماهير من الذين يشتركون معنا في تقدير العلماء هؤلاء واحترامهم ، فهم قلبوا هذه الحقيقة وجعلوا اتِّباع العلماء - إن صح إطلاقنا هذه اللفظة فيهم - إنما هم جعلوا تقليدهم لهؤلاء الأئمة هي الغاية، والدليل : - قال وبضدها تتبين الأشياء - : الدليل أن كلاً منهم رضى بإمام ، وتمسك بكل أقواله ، ولا يتمسَّك بشيء من أقوال الأئمة الآخرين ، وهي أكثر وأكثر ، لأن أقوال أئمة ثلاثة هي بلا شك أكثر وأكثر من أقوال إمام واحد ، فلذلك فكل مقلد لإمام من هؤلاء الأئمة فهو خاسرٌ أكثر مما ربح من تقليده في القسم الذي أصاب الإمام الحق في ذاك الذي يقلده هذا المقلد ، أما نحن فقد عرفنا منزلة الأئمة في علمهم من جهة ، وعرفنا أنهم وسائل ووسائط ، ليسوا مقصودين بالذات في الاتباع ، كما هم بيَّنوا ذلك بوضوح في تلك الأقوال التي أشرنا إليها في

(١) وسائط في العلم والتعلم والأدب والتأدب والتسنن والاتباع .

مقدمــة كتابنا : «**صفة الصلاة**» فهم يقولون مثلاً لأتــباعهم وأصحابهم : «**خذوا من حيث أخذنا**» ، فخذوا من حيث أخذنا تــأكيدًا لهذا الذي نقول إنهم ليسوا مقصودين بالاتباع ، **وإنما المقصود بالاتباع : هو الله ثم رسوله** وهو ﷺ الوحيد الذي يجب اتباعــه دون سائر الناس ، وهو النبي الوحيد الذي جعل الله عز وجل اتبــاعه الدليل لمحبة الله عــز وجل كما في الآية المشهورة : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾

[آل عمران : ٣١].

فإذًا الفرق هام ، **ويمكن إيجازه بكلمة قصــيرة : دعوتنا تنحصر في إفــراد النبي ﷺ بالاتبــاع** [١]، فــهو عندنا لا مــثيل له ولا شــريك له في الاتبــاع ، لا نتبع أحــداً من البشــر إطلاقًا إلا الرســول ﷺ ، أما غــيرنا فالمتبعون عندهم كثيرون ، كما هو المعروف .

وليت أن الأمر في الاتباع عندهم انحصــر في اتباع الأئمة الأربعة ، وليت أن الأمر انحصر عندهم في اتباع تلامذة هؤلاء الأئمة،وليت ليت ، ولا فائدة من ليت مطلقًا ، ولكن هذا التفصيل لبيان أن الأمر خطر جدًا.

---

(١) وكما قال الإمام أحمد - رحمه الله - : **الاتباع : أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه ، ثم هو من بعد في التابعين مخيَّر.**

أخرجه أبو داود في «المسائل» (١٧٨٩).

فالاتبــاع يكون للكتاب والسنة بفهم السلف الصــالح كما دلَّت عليه كلــمة الإمام أحمد - رحمه الله -.

إن الأمر بتوالي الأيام ومضي السنين صار المتبوعون عند المدَّعين الاتباع للأئمة الأربعة لا يمكن حصرهم بالألوف المؤلفة ، إنك إذا جئت إلي رجل متفقه في مذهب ما ، واحتججت عليه بكتاب إمامٍ من هؤلاء الأئمة ، وكان هذا الإمام هو إمام هذا الإنسان الذي ينتمي إليه ، كالحنفي والشافعي مثلاً فيؤتوا بالنص من كتاب الإمام ، قال : لا ، نحن لا نتبع هذه النصوص ، طيب أنت رجل حنفي أو شافعي ، فيقول نحن لا نستطيع أن نأخذ من نفس الإمام ، إذًا هو يأخذ ممن أخذ حتى يصل إلى الإمام ، إذًا هم يأخذون من المتأخرين ولا يأخذون من الأئمة المتقدِّمين(١) .

كانت المشكلة في الحقيقة نتوهمها محصورة بين دعوتنا اتباع الكتاب والسنة وتوحيد الرسول ﷺ في الاتباع دون الأئمة الأربعة - الأقطاب الأربعة بحق - في العلم ، والمشكلة أضخم من ذلك ، فإنهم يأبون علينا أيضًا أن يظلوا متبعين للأئمة ، فليس عندهم من العلم ومن الثقافة

(١) هذه هي حقيقة الانتساب إلى المذاهب اليوم ، انتساب صوري إلى أحد الأئمة الأربعة ، وفي كثير من مسائل المذهب هم منتسبون فيه إلى ترجيحات أو اختيارات المتأخرين ، وغالب كتب الفقه على المذاهب الأربعة يهتمون بإيراد الخلاف بين متأخري أئمة المذاهب لا أصحاب المذاهب أنفسهم ، وغالب ترجيحات هؤلاء تبعًا للمتأخرين ، وفيها مخالفات صريحة للأئمة أصحاب المذاهب ، وليت هذا وقع في الفقه والأحكام فقط بل الأدهى والأمر أنه وقع في أصول الاعتقاد ، فغالب الأحناف بين أشاعرة وماتريدية ، وكذلك الشافعية والمالكية ، وجملة من متأخري الحنابلة من المفوضة كأبي يعلى القاضي وغيره ، فصار التمذهب أو الاتباع لمذهب معين اتباع ممسوخ للأسف الشديد ، من جهة أن أصحاب المذاهب الأربعة اتبعوا نصوص الكتاب والسنة ، ولم يخوضوا في تفريعات كلامية أو أصول على خلاف الكتاب والسنة ، بخلاف ما وقع فيه غالب المتأخرين .

والوعي أصولاً وفروعًا أن يجدوا في أنفسهم القدرة والاستطاعة لاتباع الأئمة أنفسهم ، وإنما يتبعون من . . . من . . . من . . . إلى أن يأتي إلى الفقيه في العصر الحاضر .

ونحن عندنا أدلة وشواهد كثيرة جدًّا في مناقشاتنا القديمة قبل انتشار الدعوة السلفية ، أنا أذكر جيدًا مرة نُقل إلى بعض المشايخ - توفي إلى رحمة الله - أني أقول بعدم مشروعية تعدد الجماعة في المسجد الواحد الذي له إمام راتب ومؤذن راتب ، هذه مسألة يعرفها إخواننا ، ومن لم يعلم فليسأل الذي يعلم ، فلقيته أمام المسجد ، قال : أنت تقول كذا وكذا، قلت نعم ، قال : كيف هذا ؟ قلت : قال الأئمة ، وأتيت بكتاب «الأم» للإمام الشافعي - وهو شافعي المذهب فعلاً - فلما قرأت عليه العبارة ، قال : نحن لا نأخذ بكلام الإمام ، لا تأخذ بكلام الإمام !! قلت : لماذا ؟ قال لأنه جاء بعد الإمام الشافعي أئمة ودرسوا أقواله فيها الراجح والمرجوح فنحن نأخذ بما رجحوه!!

أنا أحببت أن ألفت نظره إلى ما يتهموننا به(١) .

---

(١) قال الشيخ ربيع المدخلي في كتابه «أهل الحديث هم الطائفة المنصورة»(ص: ٣٤):

« القائمون الآن على المذاهب الأربعة- على حدِّ زعمهم!! - من غلاة الأشعرية، والصوفية ، و. . ، و. . إلخ ، وفي الوقت نفسه لا يُعوِّلون على أقوال الأئمة الأربعة ،فالشافعية لا يُعوِّلون من قرون على «الأم» للإمام الشافعي ، ولا يطبعونها، ولا يدْرسونها ، ولا يُدرِّسونها ، وإنما يُعوِّلون على كتب المتأخرين كالباجوري ، و«المنهاج» وشروحه للخطيب ، وابن حجر الهيتمي ، والمالكية أنفسهم لا يُعوِّلون على «الموطأ» ، ولا على «المدونة» ، بل يُعوِّلون على كتب المتأخرين ، كـ «مختصر خليل» ، وغيره ، والأحناف لا يعولون إلا على «الهداية» وشروحها للمتأخرين ، وفيها ما فيها من الأخطاء والخرافات.

قلت له : إذًا في كلام الشافعي راجح ومرجوح ، يعني في صواب وفي خطأ، فجاء من بعده فميَّز صـوابه من خطئه، فبُهت الرجل بهذه المفاجأة، ثم لف الموضوع، وقال: نحن باجوريون، لسنا شافعيون نحن باجوريون.

هذا واقع كل المقلـدين ، فلا الحـنفي اليـوم يُقلِّد أبا حنيـفـة ، ولا الشـافعي يُـقلِّد الشافـعي ، وهكذا سـائر المقلدين ، إذًا مـا دام لابد من الرجوع إلى متبع ، فنحن متبوعنا محمد ﷺ ، ولا يعني هذا أن لا نُقَدِّر كلمات الأئمة ، لكن يعني هذا أننا لا نتبع الأئمـة لذواتهم وأشخاصهم ، أما الرسول فنتبـعه لذاته ، فهو إذا قال كلمة لا نراجعه فـيها إطلاقًا ، أما إذا قال إمام من أئمـة المسلمين - فضلاً عن شيخ من المشـايخ المتأخرين - إذا قال قولاً ، فنحن لسنا على مـذهب من يقول من المشايخ : « **من قال لشيخه لِمَ ؟ لا يُفلح أبدًا** » !![1]

---

(١) قلت : إذا كـان هؤلاء المقلدون قد قلَّـدوا المتأخـرين من أصحـاب المذاهب بحجة أنهم علموا الراجح من المرجوح من أقـوال الأئمة ، فهذا دليل بيِّن على عدم الالتزام بترجـيحات هؤلاء الأئمة إلا فيـما وافقوا فيه الكتـاب والسنة ، فكيف يُقبل هذا من المتأخرين ولا يُقبل ممن هو بعدهم ممن لحق رتبة الاجتهاد؟!

بل هي - في حقيقتها - حجج واهية للتقليد الأعمى ، والتعصب المذهبي المقيت الذي انتشر في العصور المتأخرة انتشارًا واسعًا، بحيث وقع بسببه التفسيق والتبديع ، بل والتكفيـر للمخالف ، وبُنيت لأجلـه أربعة محاريب وأقـيمت تحت ستـاره أربعة جماعات في المسجد الواحـد ، وأما من اتبع مذهب «السلف» وطريقة «أهل الحديث والأثر» فالتزمـوا في ذلك بما تأيد بنصوص الكتاب والسنة بالفهم الصـحيح ، فِهْم السلف الصالح ، لأنه أداة فهم الشرع الحنيف وميزانه ، وكل ميزان خلا عن الكتاب والسنة وفهم السلف ميزان باطل.

نحن نقول له : لِمَ ؟ أي عالم قال قولاً ، نحن نقول له : لِمَ ؟ ما الدليل؟ما الحجة من الكتاب والسنة؟! ذلك لأننا مأمورون باتباع الكتاب والسنة[1] ، فهذه فارقة وفاصلٌ هامٌ بيننا نحن السلفيين الذين نُقَدِّر الأئمة وبين مقلديهم الذين أيضًا يشاركوننا في تقدير الأئمة ، ولكن في اعتقادنا يعطون لهم مزيَّة ما أعطاها الله عز وجل لأحدٍ من البشر إلا لمحمد ﷺ .

(١) هذا على الإجمال ، وعلى العموم ، وإلا فهناك بعض المسائل لا يحسن السؤال فيها عن الدليل ، لأن أحكامها مأخوذة من الكليات الشرعية ومن الاعتبار ، وقد نبَّه الشيخ - رحمه الله - على هذه المسألة حينما سئل عن رقص المرأة أمام زوجها ، ومع النساء ، وقيل له : إنه حرام !! لكن ما الدليل ؟ فأجاب - رحمه الله - بجواب فيه (*):« فإن قيل : **ما هو الدليل على ما قلت** ؟ فأقول :

إن الاعتدال في الأمور نادر جدًا ، إما إفراط وإما تفريط ، وبخاصة إذا عاش الناس زمنًا طويلاً في انحراف من نوع معين ، فإذا ما تبيَّنوا أن هذا الأمر فيه انحراف والشرع يأباه ؛ أعرضوا عنه ، فيحدث عن ذلك رَدَّةُ فعْلٍ شديدة.

وهذا ما قد أصابنا في العصر الحاضر فيما يتعلَّق بموضوع المطالبة بالدليل في موضوع الخلاص من التقليد ، فقد عاش المسلمون - خاصة وعامة - قرونًا طويلة وهم لا يعرفون إلا المذهب الفلاني والمذهب الفلاني، أربعة مذاهب ، مذاهب أهل السنة والجماعة ، فضلاً عن المذاهب الأخرى المنحرفة عن السنة والجماعة ، أما الاعتماد على ما قال الله ورسوله ،فهذا كان موجودًا في القرون المشهود لها بالخيرية، ثم انتهى الأمر - حينًا من الدهر - حتى جاء زمن ابن تيمية رحمه الله وتلامذته المخلصين له ، فنبَّهوا المسلمين إلى وجوب العودة إلى ما كان عليه السلف الأول من الاعتماد على الكتاب والسنة. =

(*) «مجلة الأصالة» (٨/ ٧٤).

. . . .

= ولا شك ولا ريب أن دعوة ابن تيمية وتلامذته كان لها أثر طيب ، ولكن كانت دائرته ضعيفة جدًا في عصره ، وغلب الجمود الفكري على خاصة الناس فضلاً عن عامتهم.

ثم تلتهم قرون مات هذا الإيقاظ الذي أيقظه شيخ الإسلام ابن تيمية، وعاد المسلمون إلى جمودهم الفقهي ، إلا في هذا العصر وقبله بقليل ، فقد قام كثير من العلماء النابهين بتجديد الدعوة لضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة ، وقد كان سبقهم إلى شيء من ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، لأنه في الواقع دعا إلى اتباع الكتاب والسنة ، ولكن نظرًا للمناطق التي كان يعيش فيها العرب النجديون في بلد الشيخ محمد والوثنية التي كانت حلّت في ديارهم - حينذاك - كان جهده الجهيد هو الاهتمام بالتوحيد.

وكأمر طبيعي جدًا - فيما أرى - حيث أن طاقة الإنسان محدودة، فهو لا يستطيع أن يحارب في كل جبهة كما يقولون، ولذلك كانت جهوده كلها منصبّة على نشر دعوة التوحيد ،ومحاربة الشركيات والوثنيات،وكان موفّقًا في ذلك كل التوفيق، ووصلت دعوته الطيبة إلى العالم الإسلامي فيما بعد،ولو أنه جرى بينه وبين خصومه حروب مع الأسف الشديد،هذه سنة الله في خلقه،ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

لكن في العصر الحاضر قام بعض العلماء بتجديد دعوة الكتاب والسنة ، واستيقظ كثير من الخاصة والعامة في البلاد العربية ، أما البلاد الأعجمية ، فلا يزالون في سباتهم مع الأسف الشديد.

إلا أن هذه البلاد العربية أصيبت بنكسة - وهي ما أشرت إليه آنفًا - حيث إن بعضهم ما وقف عند الوسط ، بل عرفوا شيئًا وجهلوا شيئًا ، فترى الرجل العامي الذي لا يفهم شيئًا إذا سأل العالم عن مسألة ما ، ما حكمها ؟ سواء أكان الجواب نفيًا ومنعًا ، بادر بمطالبته : ما الدليل ؟! =

. . . .

= وليس بإمكان ذاك العـالم - أحيـانًا - إقامة الـدليل ، خاصة إذا كـان الدليل مستنبطًا ومقتبسًا اقتباسًا، وليس منصوصًا عليه في الكتاب والسنة حتى تورد الدليل، ففي مـثل هذه المسألة ، لا ينبـغي على السائل أن يتـعمق ، ويقـول : ما الدليل ؟ ويجب أن يعرف نفسه : هل هو من أهل الدليل أم لا ؟ هل عنده مشاركة في معرفة العام والخـاص ، المطلق والمقيَّـد، والناسخ والمنسوخ ، وهو لا يفـقه شيـئًا من هذا ،فهل يفيده قوله: ما هو الدليل ؟!! وعلى ماذا ؟!

أقول : على حكم رقص المرأة أمام زوجها ، أو رقص المرأة أمـام أختها المسلمة جوازًا أو منعًا ! ودبكة الرجال ! يريد الدليل على ذلك !! وفي الحقيقة أنه لا يوجد لنا دليلٌ نصيٌّ عن الرسول ﷺ في ذلك، إنما هو النظر والاستنباط والتفقه.

ولذلك نحن نقـول في بعض الأحيـان : ليس كل مـسألة يُفـصَّل عليهـا الدليل تفصيلاً يفـهمه كل مسلم ، سواءً أكان عاميّـاً أم أميّاً ، أو كان طالب علم ، وليس هذا في كل المسائل ، لذلك قال الله تعالى :

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

ومن التطرف الذي أشرت إليه آنفًا ، وصار أجـهل الناس بسببه يرفض الدليل ؛ أن كثيرًا من المنتمين إلى دعوة الكتاب والسنة يتوهمون أن العالم إذا سُئل عن مسألة، يجب أن يقرن جوابه بـ (قال الله) ، و (قال رسوله).

أقول : هذا ليس بالواجب ، وهذا من فوائد الانتماء إلى منهج السلف الصالح، وسيرهم - رضي الله عنهم - ، وفتاواهم دليل عمليٌّ على ما قلته.

وعليه ؛ فإن ذكـر الدليل واجب حينما يقتضـيه واقع الأمر ، لكن ليس الواجب عليه كلما سئل سؤالاً أن يقول : قال الله تعالى كذا ، أو قال رسول الله ﷺ كذا ، وبخاصة إذا كانت المسألة من دقائق المسائل الفقهية المختلف فيها. =

الشيء الثاني - يجب أن نعترف به - : وهو أن هناك بعض الأفراد من المنتمين إلى الدعـوة السلفية ، تصـدر منهم تارةً كلمات ، تارة تكون صريحة في الطعن في المذاهب وتارة تكون تلويحًا ، **فنقول : هذا لا يجوز في ديننا وفي اعتقادنا** ، لأن العلماء المجتهديـن - كما نقرر دائمًا وأبدًا - هم مأجورون أصابوا أم أخطأوا ، بدليل قوله ﷺ :

« **إذا حكم الحاكم ، فاجتهـد فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد** »(1) .

لذلك ؛ فالذي نعتـقد أنه مأجور عند الله عـز وجل على كل حال

= وقوله تـعالى : ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ هو أولاً على الإطلاق ، فما عليك إلا أن تسأل من تظن أنه من أهل العلم ، فإذا سمعت الجواب فعليك بالاتباع ، إلا إذا كانت عندك شبهة سـمعتها من عالم آخر ، لا بأس من أن توردها ، فحينئذ من الواجب على العالم أن يـسعى بما عنده من العلم لإزالة الشبهة التي عرضت لهذا السائل » .

(1) البخاري (٤/ ٣٧٢) ، ومسلم (٣/ ١٣٤٢) من حـديث عمرو بن العاص - رضي الله عنه - .

وهذا الحديث أصل فـي أبواب الاجتهـاد ، والاختلاف فـي الأحكام ، فإنه لا يجوز بحال من الأحوال الإنكار على المجتهدين في اجـتهاداتهم وإن خالفناهم فيها إن لم تخرج هذه الاختـلافات عن أقوال السلف الصالح ، وإن لـم تشذ عن أقوال أهل العلم ، وأما فرض الرأي والرأي الواحد فقط في المسائل التي وقع فيها الخلاف فلا يقول به رجل عاقل ولا فقيه راشد ولا عالم رباني ، وقد أفردت في هذه المسألة رسالةً لطيفة باسم « **الرأي والرأي الآخر** ».

مهما عــرفنا من هؤلاء الأئمة من زهدهم وخشيتــهم من ربهم وإعراضهم عن الدنيا وصدعهم بــالحق الذي كانوا يؤمنون به ، كل ذلك لا يسمح لنا بوجه من الوجوه أن ننال منهم، ولست في هذا الكلام آتيكم بشيء جديد، فمن شاء منكم أن يتأكــد فليراجع مقدمة «صفة الصــلاة» ، وقد جئت بها الآن ، فإني قد أحتاج إلى بعض النصوص ، لتأكيد ما قد أقول .

إذاً هذه الكلمــات التي أشــار إليهــا الكاتب - هذه - مــردودة على قائلها ، ولا يجوز نسبتها إلى الدعوة ، ثم يقول : « **هذا ولا خلاف بيننا على أن سواد المسلمين ممن لا ينطبق عليه الوصف بطلب العلم أو التحـقيق فهم غير مكلفين بمثل مسؤلـية أولئك المميزين** » - كما ذكرنا - في الدرس السابق وصــفاً للدعــوة السلفيــة ، وأنهم يدعون لاتباع الكــتاب والسنة ، وأنهم يدرسون المذاهب الأربعة ، ويناقشون أدلتهم ، ووصف هذه الدعوة بأنهــا دعــوة حق لكن الآن يريد أن يبين أن هذا العــمل والذي يقــتـضيــه التحقيق العلمي ، لا يستطيعه عامة الناس ، وهو كلام صحيح ، لكن ما بناه عليه فهو غــير صحيح كما ستســمعون ، لذلك يقول : « **ولا خلاف بيننا على أن ســواد المسلمين ممن لا ينطبق عليــه الوصف بطلب العلم أو التحقيق فهم غير مكلفين بمثل مسؤلية أولئك المميزين** » ، هنا الشاهد في خطورة كــلامه ، قــال : « **فــدعــوتهم إلى التــحلل من المذاهب إنما هو اســتــجرار إلى الشك في الدين نفســه، وكـفى بهـذا تضليـلاً لهم ودفـعـاً لمجموعهم إلى هاوية الضياع** » [1] .

(١) هذا كلام باطل جملة وتفصيـلاً ، لأن الدعوة السلفية لا ترمي ولا تدعو =

على هذا نفسر موقف البوطي والحامد رحمه الله من اللامذهبية على اعتبارها في هذا المنظور خطرًا يهدد الشريعة الإسلامية ، هذا الكاتب مع الأسف الشديد في أول الكلام يلتقي مع السلفيين على طول الخط ، في آخر الكلام يخرج عنهم علي طول الخط ، والسبب في هذا يعود إلى شيء واحد عندي ، وهو : أن الدعوة السلفية لما كانت بطبيعة الحال المفهوم الصحيح للإسلام ، وكان الإسلام بواقعه دينًا شاملاً لكل بني الإنسان وفي كل زمان ومكان، كان بطبيعة الحال الدعوة السلفية أيضاً لا تختص بطائفة من المسلمين دون الآخرين ، إنما هي تدعو الناس جميعًا كما يدعو الإسلام ، لأن الدعوة السلفية هي الإسلام بالمفهوم الصحيح ، فهي تدعو المسلمين إلى أن يتمسكوا بإسلامهم ، لا تخص الدعوة السلفية طائفة دون أخرى ، ولا تُفَرِّق من حيث الدعوة إلى اتباع الكتاب والسنة بين مثقف وغير مثقف بين متعلم وغير متعلم ، هي تدعو كل الفئات وكل الأفراد إلى أن يخلصوا لله عز وجل في عبادته ، ولنبيهم في اتباعه كل المسلمين، يجب أن يشتركوا في هذا ،فالآن نسمع نغمة جديدة،وهذا الكاتب أيضاً، من المشاكل التي تحيط بالدعوة السلفية أنه ينتمي إلى الدعوة السلفية ، وإذا

= أبدًا إلى التحلل من المذاهب ، وكيف يكون ذلك وشعارها فهم الأدلة الشرعية بفهم السلف الصالح وبالاستنارة بأقوال الأئمة إذا وافقت اجتهاداتهم نصوص الكتاب والسنة بفهم السلف ، بل «السلفيون» هم من رفعوا شعار حب الأئمة العلماء وعدم انتقاصهم والأخذ بأقوالهم دون التدين بتقليدهم ، بل اتباعهم فيما اتبعوا فيه الكتاب والسنة الصحيحة ، ولا تجد فريقًا من الفرق الأخرى يذكر من تقدَّمه من العلماء في ترجيح قول على قول كما يفعل «السلفيون» ، فإن مصنفاتهم زاخرة بأقوال الأئمة .

به الآن يبدو منه هذا التفريق ، السبب في هذا التفريق يعود إلى أن هناك أناسًا سبقوا الدعوة السلفية بالانتماء إلي حزب أو جماعة أخرى لا تتبنى الدعوة السلفية لهم مذهبًا ومنهجًا ، سبقوا الدعوة السلفية فانتموا إلى حزبٍ وتثقفوا بثقافته ، وأكثر هذه الأحزاب كما تكلمنا بشيء من التفصيل في تعليقنا على الكلمة السابقة في الدرس الماضى قائمة على التجميع والتكتيل وتكثير السواد[1] ، وليس على التثقيف والتفقه في الدين ، فالذي يصير ويتفق تأتي الدعوة السلفية إلى فرد من هؤلاء فيُعْجَب بنصاعتها ووضوحها وقوة حججها فيتبناها في الجملة ، ولكن ما كان سبق إليه من التبني لدعوة أخرى قائمة على التكتل والتحزب لا يُفسح هذا التكتل وهذا التحزب من حيث الواقع مجالاً للدعوة السلفية أن تدخل إلى شغاف قلبه، وأن تسيطر على كل حواسه وعلى كل تصرفاته ، فتجده هو من ناحية سلفيًا ومن ناحية ليس سلفياً بل هو ضد السلفية ، وهذا مثال نحن كنا نتحدث عنه قبل أن نقرأه مسطوراً - كما الشأن الآن - ، كنا

(١) هذا هو حال كثير من «الجماعات» و«الفرق» المنتشرة اليوم ، همها الأول والأكبر : تكثير عددها وسوادها ، وتكتيل أعضائها بغض النظر عن أي أساس بُني عليه هذا التكتيل ، فيخرج البناء غير متجانس ، فهذا أشعري ، وذلك ماتريدي ، وآخر صوفي ، ورابع مرجيء ، وربما حزبي ،ولربما تكفيري ينتحل منهج الخوارج، فيجتمع الفساد كله في بوتقة واحدة ، ويصدرون عن عقائد شتى ، بخلاف من انتهج منهج السلف الصالح ، واعتقد عقيدتهم ، والتزم بمنهجهم قلبًا وقالبًا ، ومن هنا كانت من أصول الدعوة السلفية : « ثقِّف وعلِّم قبل أن تسوِّد وتكثِّر » ، فالأصل الأصيل عندهم : الالتقاء على أصل الأصول كلها : كتاب وسنة بفهم سلف الأمة ، وعلم يعضده عمل .

نقرأه في تصرفات بعض هؤلاء النــاس ، نجدهم يعيش أحدهم وهو يدَّعي السلفية لكن لا أحــد يستفيد من تبنيــه للدعوة السلفية ممن حوله شــيئًا إلا شيئًا لا يكاد يُذكر ، لماذا ؟ هو لا يدعو للدعوة السلفــية فهو حملها لنفسه ولشخــصه فقط ، أما الشيء الذي يــدعو إليه فهــو حريص ومجتــهد في الدعوة إليــه ، وهذا التكتل وهذا التحزب على مفــاهيم إسلاميــة عامة لا توضح لمتبنيه الإسلام على وجهه الصحيح كما جاء في الكتاب والسنة .

هذا التكتل وهذا التحــزب لا يفسح المجال لانتشار الدعــوة السلفية بين جميع طبــقات الأمة وأفرادها ، لأن هذا ينافي التكتل والتحــزب كما شرحنا هذا في الدرس الماضي ، لأننا أحيانًا نقول هذا هو الحق ما به خفاء فدعــيني يا بُنَيَّاتِ الطريق ، ســوف ينفصل واحــد عن الثاني ، والأخ عن أخيه ، وهذا ينافي الــتكتل ، لذلك وُجد إنسانًا هو نصفــه سلفي ونصفه حزبي ، والنصف الأول فيما يتعلق بشخصه ونفسه ، والنصف الآخر فيما يتعلق بمجتمعه الذي يعيش فيه ، فهو مجتمع ليس سلفيًا ، لذلك هو يريد أن ندع عامــة الناس - كمــا سمــعتم - ، وعامــة الناس يمثلون الأكــثرية الساحقة من المسلــمين بطبيعة الحال يريدون أن ندعهم متــمسكين بمذاهبهم ولا ندعوهم لاتباع الكتاب والسنة ، لأن هذا بزعــمه دعوة لهم إلى متاهة وإلى ضلال وإلى التحرر والخروج من الدين - والعياذ بالله تعالى -.

ها هنا نريد أن نبيِّن الفرق بين الدعوة السلفيــة في حقيقتها ، وبين الدعوة الســلفية في حــدود ما يتــحمله بعض المنتــمين إليهــا من الأحزاب الإسلامية ، نحن نلتقي مع كل الأحزاب في حقيقةٍ واحدةٍ ، ونختلف في

طريقة الدعوة التفصيلية إليها ، والوسائل لتحقيقها ، نلتقي جميعًا أنه يجب على المسلمين أن يستأنفوا الحياة الإسلامية ، هذه كلمة سواء بيننا وبينهم.

كلنا نقول : يجب أن نستأنف الحياة الإسلامية ، لكن أنا الآن أتساءل في حدود ما كنا نقرأ في مجتمعاتهم وما نقرأه الآن مسجلاً في هذه السطور بين أيدينا من الذي يمثل المجتمع الإسلامي ، أهم فقط أفراد معدودون في قُطر وفي كل مصر ؟ أم هؤلاء المسلمون ما بين عالم ومتعلم وأُمِّيٍّ لا يقرأ ولا يكتب ؟

لا شك أن هذا الجواب الأخير هو الذي يمثل المجتمع الإسلامي.

فإذا أردنا حقيقة أن نتعاون على استئناف الحياة الإسلامية فهل هذا يقتضي أن نُقسم الناس قسمين ، قسم نثقفهم بالثقافة الصحيحة وليست هي إلا الدعوة السلفية باعتراف هذا الكاتب ، والقسم الآخر وهو الأكبر ندعه كما هو عليه ، ومعنى هذا أن ندعهم أولاً على الجهل ، لأن ما دمنا ندعوا الطائفة الأولى وهي الطائفة النخبة الممتازة من المسلمين ندعوهم إلى اتباع الحق أي الكتاب والسنة ولا ندعوا الجمهور ، فمعني ذلك أن ندع هؤلاء على جهلهم وخطئهم ، بل وعلى ضلالهم ، ثم ليس هذا فقط بل ندعهم على اختلافهم وعلى تنازعهم الشديد الذي من آثاره تحرج كثيرين منهم أن يصلى المسلم وراء أخيه المسلم بحجة أن هذا مذهبه مخالف لمذهبي ، وحتى اليوم تجدون الأمر ظاهراً في امتناع صلاة كثير من متبعي - بل من مقلِّدي - المذاهب ممن يدعو لاتباع الكتاب والسنة ، هذه ظاهرة

نراها في مناسبات كثيرة وكثيرة جدًّا ،إذا قيل لهؤلاء:هل السلفيون كفار ؟ قالوا : لا هؤلاء مبتدعة ، طيب الصلاة وراء المبتدعة جائزة في المذهب ولا لا ؟ جائزة ، وهم يحتجون بحديث نحن نضعفه من حيث الرواية ونصححه من حيث الدراية ، وهو : « **صلوا وراء كل بر وفاجر** »[1] .

فهم يروون هذا الحديث ثم يخالفـونه ولا يعملون به والمذاهب كلها قائمة عليه ، **الشاهد** : فهذا الكاتب هنا يريدنا أن ندع جماهير المسلمين على جهلهم وعلى خطئهم وعلى تفرقهم فهل هذا هو الإسلام ؟ الذي يقول :

﴿**وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [الروم : ٣١و٣٢].

هل الإسلام الذي يدعو جميع الفرق إلى التكاتف وإلى التعاضد وعدم التفرق يفرق بين القليل من المسلمين ؟! فهؤلاء يُدعون فقط ، والجمهور من

(١) وانظر الكلام عليه في «الإرواء» (٥٢٧) .

والحديث وإن لم يثبت رواية كما قال الشيخ فقد ثبت دراية واعتقادًا ، وأُثبت في اعتقـاد الأمة : «**الصلاة خلف كل بر وفاجر**» ، ومن ترك الصلاة خلف بعض أهل البدع أو خلف متعاطي الفساد والفجور فلأجل الزجر بالهجر ، لا أن الصلاة خلفهم لا تجوز ، أو أنها باطلة.

وما ذكره الشيخ في هذا المقام اتسع فيه اليوم الخرق على الغارب ، وبعد انتشار التصنيف والكلام بغير ميزان صحيح في الدعاة والعلماء ، وقعت - بسببه - القطيعة والتدابر وترك الصلاة خلف المختلفين في المذاهب والمناهج ، ومنه ما هو على سبيل الديانة - وهو نذر قليل - ، وغالبه تقليدًا للرؤوس والرؤساء ، نسأل الله السلامة في الدين .

المسلمين يُتركون كما هم ؟! هذا لا يقوله مسلم فهم شيئًا من دعوة الكتاب والسنة فهمًا صحيحًا .

ثم هنا نوضح الأمر بعض الشيء ، نقول : نحن لماذا نقول سلفيون؟ الدعوة السلفية ؟ كنا ذكرنا لكم مرارًا وتكرارًا كل المسلمين يدعون لاتباع الكتاب والسنة ، ولكن هذا الاتباع غير مقيَّد بموضوع ، بمنهج محدود بيِّن واضح ، **فرأينا نحن : أنه لابد من تقييد الدعوة للكتاب والسنة بما كان عليه السلف الصالح** ، فالسلف الصالح كيف كانوا ؟ هل كانوا جميعاً علماء ؟ هل كانوا جميعاً مثقفين وحكماء ؟ أم كان القليل منهم العالم ، وجماهيرهم ليسوا بعلماء ؟ فهل كان هناك هذا التقسيم الذي يُدندن حوله الكاتب ؟!

العلماء يُؤمرون باتباع الكتاب والسنة ، أما الجمهور فيجب أن يتبع مذهبًا معينًا ، كل مسلم يعلم بالضرورة أنه في القرون المشهود لهم بالخيرية لم يكن هناك تمذهب بمذهب ما ، كلنا يعلم ما الفرق بين عالم ومتعلم وجاهل : أنه لم يكن في زمن السلف الصالح مذهب اسمه مذهب أبي بكر الصديق فينتمي إليه بعض الناس ، فيقول : أنا بكري ، وليس هناك أيضاً مذهب عُمري ولا عُثماني ولا علوي [1] ، إذاً هذه القرون الثلاثة المشهود

---

(١) ولذلك فإن كتب الفقه التي صنِّفت على طريقة «أهل الحديث» لا سيما كتب ابن المنذر النيسابوري كـ «الأوسط» ، وهو من أهم وأشهر الكتب ، بل وكتب المذاهب التي جمع فيها مصنفوها بين طريقة الفقهاء والمحدثين ، ككتب الشافعي مثلاً أو المصنفات الحديثية البحتة كـ «الموطأ» للإمام مالك ، وغيرها والتي عنت بإيراد مذاهب الصحابة والتابعين دون ما انحياز إلى قول دون قول إلا ما عضده الدليل من الكتاب والسنة أو جرى على أصول الشريعة وكلياتها استنباطًا أو اعتبارًا أو قياسًا ، =

لهم بالخيرية عامة الناس الذين يُريـد الكاتب أن يفرض عليهم الجمود على المذهبـية عامـة في تلك القـرون الذهبيـة كيف كـانوا ؟ أقول بإجـمال - والتفصيل معروف - : كـيف كانوا ؟ كيف ما كانوا يجب اليوم أن يكونوا كذلك ، كيف ما كان عامة المسلمين في القرون المشهود لهم بالخيرية يجب أيضًا أن يكون عامة المسلمين اليوم وبعد اليوم ، فنحن نسعى لاستئناف الحياة الإسلامية الحقة ، يجب أن يُعيـد التاريخ نفسه ، أن يعود المسلمون علماء كما كان هناك علماء ، أن يعود المسلمون أتباع العلماء وعامة المسلمين كما كان هناك أتباع العلمـاء وعامة المسلمين ، فإذا قلنا : لا ، ندعـوا المثقفين والعلماء إلى اتباع الكتاب والسنة ، ونُبقي جـمهور المسلمين على مذاهبهم خشية الشرود وخشية الضلال المزعوم ، **فمعنى ذلك** : أننا لا نكون صادقين حينما ندعوا إلى استئناف الحياة الإسلامية ، إذًا ما موقفنا نحن بالنسبة لهؤلاء العامة الذين يخشى الكاتب أن يضلوا بسبب دعوتنا إلى الكتاب والسنة ؟

= ولم نجد قط من يُنسب إلى مـذهب الإمام أبي بكر الصديق ، أو الإمام عـمر بن الخطاب ، مع أنهمـا من أعلام الصحـابة وفقهـائهم وعلمائهم ، بل هم من خـيرة الصحابة على الإطلاق ، فلا يسع طالـب العلم أن يأخذ بقولٍ لأحد هؤلاء - رضي الله عنهم أجمـعين - يخالفه نص صحـيح ، أو يشهد على خلافـه نص صحيح ، وفي كتب الفـقه ، وفي «المصنفـات» ما يدل على أنه وقع من الصـحابة اجتـهادات خالفت النـصوص الشرعـية لعدم ورود الأدلة إلـيهم ، أو لعدم مـعرفتـهم بنواسخ النصوص كما في نكاح المتعة ، وكـما في شرب الخمر ، ومنهم من تأول النصوص على نحو خالف فـيه الوجه الراجح ، كما وقع من أم المؤمنين عائشـة في استدلالها بحادثة مـولى أبي حذيفة في التحـريم برضاع الكبير ، فظنتـه أمرًا عامًا ، وخـالفها باقي الصحابة ، والمسائل في هذا الباب كثيرة جدًا.

الواقع الذي يلوح لي أن الكاتب يُشير إلي ما نسمعه كثيراً وكثيراً جداً من بعض الناس الذين لم يفقهوا ولم يفهموا الدعوة السلفية ، لا من أشخاص الدعاة إليها مباشرة ولا من مؤلفاتهم ، وإنما فهموا الدعوة السلفية من خصومهم وأعدائهم، وهؤلاء هم الذين يأتون بمثل هذا البلاء في سوء الفهم لهذه الدعوة.

كثيرٌ من الناس ينقلون عنَّا ، بعضهم يتصل بنا وبعضهم يُحاربنا ويطعننا في الخفاء ، يقول بأننا نحن ندعوا المسلمين جميعًا حتى عامتهم إلى الفهم من الكتاب والسنة مباشرة ، وأنا أقول صراحة لو كان هناك فعلاً ناس يدعون الجُهال الأميين الذين لا يقرؤون ولا يكتبون إلى أن يأخذوا الفقه والعقيدة والدين كله من الكتاب والسنة مباشرة ، وهم لا يُحسنون قراءة آية ولا رواية حديث لصحَّ كلام هذا ولصحَّ كلام أولئك الأعداء ، ولكن هل هي الدعوة هكذا ؟!

نحن ندعوا من لا يفقه شيئًا من العلم أن يتسلق على الكتاب والسنة ثم يقول أنا أفهم هكذا ، وأنا مأمور بالكتاب والسنة هكذا ؟![1]

---

(١) ولهذا كان قيد «**فهم النصوص بفهم السلف**» أحد ركائز هذه الدعوة المباركة ،فلا يكون الالتزام بالكتاب والسنة مباحًا لفهومنا التي قد تضل وقد تُخطئ، بل هو مزموم بفهمه على فهم السلف الصالح الذين عاينوا تنزيل الوحي ، وكانوا أعلم منا باللغة ، وبمقاصد الشريعة ، وبتطبيق الأحكام ، وبدلالات النصوص ، وبوقائع الأدلة .

وقد تقدَّمت فتوى الشيخ الألباني في حكم التقليد ، وتقدَّم النقل عنه - بما لا يدع مجالاً للشك - أن الاستدلال بالكتاب والسنة لا يكون لعامة المسلمين عالمهم وجاهلهم ، كما لا يكون بعامة الفهوم والاستنباطات ، بل يكون بفهم السلف واستنباطاتهم ، وأن التقليد واجب على من لا يعلم ، وعبارته : =

لا يوجد مسلم - صِفْ ما شئت - سلفي أو خلفي ، لا يوجد مسلم أبداً يقول بمثل هذا الكلام ، ونحن قلنا دائمًا وأبدًا - وفي الأمس القريب يعني نهار البارحة - : جاءني أشخاص من حمص ، فيهم شاب مثقف بعض الشيء ، بلغه من اللامذهبية المعروفة ونحوها ما يُشير إليه هذا الكاتب أنه نحن ندعوا الناس جميعًا إلى اتباع الكتاب والسنة ، يعني أن الجهال يفهموا الكتاب والسنة بجهلهم!! فشرحت له المسألة بشيء من التفصيل، إيجازه:

قلت له : نص القرآن الكريم على جهل الناس من حيث العلم والجهل قسمين : جهلة ، وعلماء - وهم الذين يفهمون الكتاب والسنة - ويقابلهم غير العلماء - نسميهم يعني : الجهال الذين لا يفهمون الكتاب والسنة - قسمين ، فلكل من القسمين واجبه بنص القرآن الكريم قال تعالى :

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣].

إذًا هو يخاطب الأمة في مجموعها ، في علمائها وجُهالها ، في مثقفيها وأمييها ، يقول : أنتم طائفتان ، علماء وغير علماء ، غير العلماء عليهم أنْ يسألوا العلماء ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ .

نحن هذا الذي ندعوا الناس إليه ، لكن نختلف مع المقلِّدين في مفهوم العلم والعالم ما هو العلم ومن هو العالم ؟

قد ذكرنا أكثر من مرة - أيضاً - نقلاً عن علمائنا أن **العالم** : هو

= « التقليد لابد منه لمن لا علم عنده » و « لا نستطيع أن نقول : إن التقليد حرام ، إلا إذا جُعل التقليد دينًا ، أما مطلق التقليد ، فلا يجوز تحريمه ».

العارف بالكتاب والسنة ، وليس عالمًا لو أحاط بكل كتب الفروع المذهبية علماً، هذا ليس عالماً ، وإنما هو جعبة ، وإنما هو كشكول جمع كل ما قاله العلماء في كتبهم - على ما بين هذه الأقوال من اختلافات كثيرة - ، وإذا سألته : فما هو قول الله ، وما هو قول رسول الله في كل هذه الأقوال التي جمعتها؟ قال: تريد كل صراحة ، أنا لا أعلم!! إذًا هو يعترف بأنه لا يعلم، لأن العلم كما قال ابن القيم : « **قال الله قال رسوله** . . . » إلى آخر شعره المعروف.

فحين قال : ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ معناها : اسألوا أهل العلم إن كنتم لا تعلمون ، من هم أهل الذكر ؟ أهل الرقص في الذكر المزعوم ؟ طبعاً لا ، أهل الذكر هم كما قال تعالي :

﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر :٩].

أهل الذكر هم أهل القرآن ، أي : فاسألوا أهل العلم بالقرآن ، ولا يكون العالم عالماً بالقرآن إلا إذا كان عالماً بالسنة لأنها مبينة ما في القرآن:

﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ [النحل : ٤٤].

فالعالم هو العالم بالقرآن المبين والسنة المبينة، العالم بالقرآن المبين والحديث المبين ، وهو كلام الرسول عليه السلام : ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾.

إذًا فالعالم هو الذي يقول - فيما يذهب إليه في كل أمور الدين ، في كل ما يقول : هذا هو الإسلام يقول - : «**قال الله قال رسول الله**» ،

وما سواه ليس بعالم ، فإذًا الآية جعلت الناس قسمين، العالم يسأله الجاهل والجاهل هذا وظيفته أن يسأل العالم ، فينسبون إلينا أننا نقول وظيفة هؤلاء الجهال أن يفهموا ما فهمه العلماء ، هذا أمرٌ مستحيل ، من هنا تتسرب وتُذاع وتشاع هذه الفرية ، فربما تأخذ بعـقل بعض من سمع بالدعوة السلفية في جانب من تفاصيلها لو تبناها ، ولكنه فاتته هذه الحقيقة ، وهي : أن الدعوة السلفية لا تسمح للجاهل بأن يتعالم ، ولا فرق في هذه النقطة بين الدعوة السلفية وبين كل الدعوات الأخري ، فالجاهل جاهل مهما ادَّعي ، لكن أنا أقول هذه الحقيقة لفهم الدعوة السلفية ، وإن كنت أجد نفسي مضطراً إلي أن أقول إن مثل هؤلاء الذين يتـهمون الدعوة بما ليس فيـها والدعاة بما هم بريئون منه ، لا أستطيع أن أنكر ، **وهذه موعظة مني لإخواني** : إن هناك ناسًا ممن استجابوا للدعوة السلفية ولما يتمكنوا من أن يصبحوا من أهل العلم من الذين يتمكنون من فهم المسألة بدراستهم لنصوص الكتاب والسنة أولاً ، ثم بالاستعانة بأقوال العلماء المتـقدمين الذين درسوا هذه النصوص من الكتاب والسنة ثانيًا ، أقول آسفًا : إنني لا أستطيع أن أبرئ بعض الإخوان المتحمسين للدعوة أنهم قد يكونون شبهة لأمثال أولئك الذين يطعنون في الدعوة وفي دعاتها ، وشبهة لهذا الكاتب الذي اتفق أخيراً مع المتعصبين للمذهبية أن دعوة هؤلاء الناس الذين لا سبيل إلى اتباع الكتاب والسنة هو تضليلهم وإخراجهم من الدين .

فإذًا هنا قضيتان قضيـة تتعلق ببعض إخواننا ، فأنا أنصحهم بأن لا يتسرعوا بادعاء أنهم أصبحوا في منزلة وفي مكانة يتمكنون فيها من أن يفهموا

نصوص الكتاب والسنة استقلالاً بذواتهم وأشخاصهم ، دون الاستعانة ودون الالتفات إلى هذا التراث الضخم الذي ورثناه من علمائنا ، الذين أشرنا في مقدمة كلمتنا هذه إلى جهودهم وإلى فضلهم علينا ، ومن جهة أخرى نفي هؤلاء الذين ينسبون إلى الدعوة ما ليس منها أن الدعوة لا تعطي مجالاً للجُهال أن يتفهموا القرآن والسنة مباشرة ، ولكن في الوقت نفسه أريد أن أقول : إن الدعوة تشمل في دعوتها - على التفصيل السابق - المسلمين جميعاً علماءهم وغير علمائهم كلهم يُؤمرون باتباع الكتاب والسنة ، لكن العالم استقلالاً غير العالم اتباعاً للعالم ، والفرق الواضح في الدعوة السلفية: السلفي الأمي لا يقول أنا مذهبي كذا فأفتني بمذهبي ، أما غير السلفي يقول أنا مذهبي كذا فما هو الحكم ؟ هذا التفريق هو فرق من الفروق الجوهرية الظاهرة بين الدعوة السلفية والدعوة الخلفية ، والكلمة التي وردت هنا تعني إبقاء عامة المسلمين على مذاهبهم ، هذا حينما يُبتلى في مسألة ويُسأل عن مذهبه ، ويظل المجتمع الإسلامي هكذا يرث الولد عن والده الجمود على المذهب ، ويُصبح العمل بالكتاب والسنة نسياً منسياً.

إذاً هؤلاء الذين يخشون أن يضلَّ جماهير المسلمين بسبب الدعوة السلفية ، ما جاءتهم هذه الخشية إلا لجهلهم بالدعوة السلفية ، ونحن إذا كُنا متفقين - وأرجوا أن نكون متفقين - على أن من الواجب أن نُعيد الحياة الإسلامية الأولى ، فالحياة الاسلامية الأولى لم يكن فيها تمذهب ، مع أنه كان فيها علماء ، وكان فيها غير علماء ، فالذي كان يعمله هؤلاء الذين ليسوا بعلماء ، هو الذي يجب أن يعمله في كل زمان وفي كل مكان .

✸ ✸ ✸

حَقِيقَةُ الدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ

للشَّيخ العلاَّمة

مُحَمَّد نَاصِر الدِّين الألبَانِي

جمعها ورتبها وشرحها

عمرو عبد المنعم سليم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد..

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

○ **تقدمة لفضيلة الشيخ محمد عيد عباسي :**

الموضوع الذي أتحدث فيه هو عن الدعوة السلفية ما هي حقيقتها وما هو المراد بها ، ونبحث عن تاريخها ، ما موقفها من الدعوات الأخرى بشكل إجمالي ، وأعتذر إليكم عن عدم التحضير له بما يكفي ، فقد كان لي اليوم بعض «التوعك» .

○ **السلفية لغةً واصطلاحاً :**

الدعوة السلفية : نسبة إلى «أسلاف» .

وفي اللغة: هم القوم المتقدِّمون(١)؛ ويُراد بهم في الاصطلاح : أهل القرون الثلاثة الخيرية التـي جاء الثناء عليها عن رسول الله ﷺ في قوله:

---

(١) **السلف في اللغة** : من تقدَّم من الآباء والأجداد والقرابة .

قال الراغب الأصفهاني(١):

«**السلف**: المتقدِّم ، قال تعالى: ﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ**﴾ . . . **ولفلان سلف كريم**: أي آباء متقدمون».

وقال الفيروز آبادي(٢):

«**والسَّلَفُ** أيضًا: من تقدَّمك من آبائك وقرابتك».

وقال ابن منظور(٣):

«**والسَّلَفُ** أيضًا: من تقدَّمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل . . . ولهذا سُميَ الصدر الأول من التابعين السلف الصالح» .

---

(١) «المفردات» (ص: ٢٤٤) .

(٢) «القاموس المحيط» (٣/ ١٥٨).

(٣) «لسان العرب» (٣/ ٢٠٦٩) عن ابن الأثير في «غريب الحديث» (٢/ ٣٩٠).

«خيـر الناس قرني ثم الذين يلونـهم ، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي من بعد ذلك ناس يشهَدُون ولا يستشـهدون ويأمنون ولا يؤتمنون ويكثر فيهم الكذب»[1] .

فـهؤلاء بشـهادة رسـول الله ﷺ أهل هذه القرون الثـلاثة هم خيـر القرون، ولاشك أن هديهم وطريقتهم وسنتهم هي خير الهدي وخير السُنن وخير الطرائق[2].

○ الخلف وملامح التغيير:

ويقابل السلف الخلف، وهم الذين جاءوا بعـد هذه القرون الثلاث، ونحن نعلم أنه قد اختلفت طريقة السلف عن الخلف في كثير من الأمور، فقد ظهر بعد القرن الثالث أمور لم تكن ، **وذلك** بسبب اختلاط المسلمين بغيـرهم ودخول الثقـافات الأجنبية على الأمـة الإسلاميـة الهائلة، وهذه الثقافات أثرت في المسلمين وخاصة الذين لم يتمكن الإسلام في قلوبهم، فقد انبهـروا بها، وحين اطَّلعوا عليها وهي شيء جديد عـليهم أخذُوا بها وانبهروا، فأخذوا يعقلون بها، فأخذ بعض الأمراء والحكام الذين لم يفقهوا

---

(١) أخـرجه أحـمد (١/ ٣٧٨و٤٤٢)، وابن أبي عـاصم (١٤٦٦)، والبخـاري (٤/ ١١٨)، والتـرمذي (٣٨٥٩) من طريق: الأعـمش، عن إبراهيم النخـعي، عن عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود به .

(٢) ويؤيده ما أخرجه أحمد (٢/ ٢٩٧) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٧٨) بسند حسن من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عنه ﷺ أنه سُئل: أيُّ الناس خير؟ فقال : **«أنا ومن معي ، ثم الذين على الأثر، ثم الذين على الأثر»**.

حقيقة الإسلام ولم يهتموا للأمر وخطورته أخذوا يعطونهم الجوائز الكبيرة من أجل ترجمة كتب هذه الأمم الأدبية إلى المسلمين[1].

ونحن نعلم أن النبي ﷺ قد نبه إلى خطورة ذلك وقد حذَّر منه، ويكفينا في الدلالة على ذلك حديث عمر - رضي الله عنه- حينما كتب صحائف من التوراة قرأها عليه الصلاة والسلام فسأله عنها ، فقال إنه كان له صديقًا يهودي وإنه نسخ منه بعض صحائف من التوراة ، فغضب رسول الله ﷺ غضبًا شديدًا ، قال: «**أمتهوكون أنتم يا ابن الخطاب، والذي نفس بيده لو أن موسى بن عمران كان حيًّا لما وسعه إلا أن يتبعني**»[2] .

فهو عليه الصلاة والسلام يعرف أنه لا هدي إلا الهدي الذي جاء به عن ربه ، ولا يجوز لأحد أن يكون متبعًا وأن يكون إمامًا وأن يكون قدوة وأن يكون مرضيًا للاتباع ومأخوذًا منه الهدي إلا رسول الله ﷺ ، وهذا يشير إلى أنه لا يجوز للمسلمين أن يأخذوا دينهم ولا هدايتهم ولا إرشادهم ولا أخلاقهم ولا كل شيء من الأفكار والتصورات والقيم والسلوك عن أي أمة أخرى، وما السبب في ذلك ؟ السبب أن الله عز وجل

---

(١) وكان من نتيجة ذلك انتشار علم الكلام ودخول الجدل العقيم ، وانتشار الأهواء والبدع، ومن أشهرها محنة خلق القرآن والتي امتحن فيها علماء الأمة، واستبيحت بيضتهم ، فإلى الله المشتكى.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٧) من طريق : مجالد بن سعيد ، عن الشعبي ، عن جابر .

ومجالد بن سعيد ضعيف الحديث .

أرسل إليهم الهدي كاملاً واختصهم بالفضل عامًّا شاملاً فليسوا بحاجة إلى هديٍ آخر وليسوا بحاجة إلى إرشاد قوم آخرين، قد أخبرهم الله عز وجل أنه أكمل لهم الدين وأتم عليهم النعمة ورضى لهم الإسلام دينًا ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾، فالذي يلجأ إلى غير طريق الوحي الذي جاء به محمد ﷺ فإنما يعتقد بطريق المفهوم أن هدي الرسول ﷺ غير كافٍ وأن هناك هديًا آخر وخيرًا آخر يمكن أن يلتمسه لدى الأمم الأخرى، وهذا مؤداه الكفر وإن كان كثيرٌ لا يفقهونه ولا يقصدونه، وهذا النص وحده كافٍ للتحذير من اللجوء إلى طرائق الأمم الأخرى وهديها في أفكارها وعقائدها وأخلاقها وقيمها(١) .

○ جواز الاستفادة من العلوم الدنيوية لغير المسلمين وشروط ذلك:

وبالطبع فإن هذا لا يشتمل الأمور الدنيوية ، حتى لا يقول قائل: إن الإسلام حَجَّر على العقول ، وإنه ضَيَّقَ على الأفكار، لأن العلوم المختلفة هي عامة شاملة عند الأمم الأخرى، ولا يمكن أن نُهمل أو نطرح ما يأتي

---

(١) ولأجل ذلك فقد تواترت النصوص الشرعية على وجوب الالتزام بالسنة النبوية التي فيها صلاح الأمة في الدين والدنيا والآخرة ، وكذلك تواترت النصوص الشرعية على وجوب مخالفة هدي غير المسلمين الباطن والظاهر لما فيه من المصلحة الراجحة ، ولا شك أن مخالفتهم في مناهجهم الدينية أولى لا سيما مع نسخ الإسلام لباقي الشرائع .

فكيف هو الحال إذًا بما ليس بشرع أساسًا من عقائد الكفار كالهندوسية والسيخية، وأفكار الضلال كالعلمانية والشيوعية ، لا شك أن دراسة هذه المعتقدات للأخذ منها لهو عين الضلال والانحلال الفكري والتفسخ العقدي .

به الأجانب وغير المسلمين من تقدم علمي ومن تفوق حضاري في بعض العصور ، هذا صحيح، فإن العلم الدنيوي غير خاص بالمسلمين، والعقل الإنساني يعمل، والأمم الأخرى تعمل وتنهض، والحضارة والتقدم العلمي الدنيوي - كما يقال - هو متداول بين الأمم ، فيومٌ يكون الفضل لهذه الأمة ، ويومٌ لتلك ، وهي جميعًا تسير وتعمل وتبني هذه الحضارة المادية في ناحية العلم ، لم يُحرِّم علينا ربنا سبحانه وتعالى أن نأخذ عنهم العلم الدنيوي المحض[1] الصناعي الذي فيه مثلاً علم الزراعة والكيمياء والفيزياء

---

(١) بل الأخذ عنهم والاستفادة من علومهم وبحوثهم في مناحٍ ونواحٍ كثيرة قد يصل إلى درجة الوجوب ، لا سيما إذا تعلَّق هذا بصيانة الدين وحمايته والدفاع عنه، وكذلك إذا تعلَّق بحياة إنسان مسلم ، كما هو في مسائل الطب وأبحاثه وجراحاته ، بل لابد للمسلمين أن يبرعوا في علوم الدنيا وفق منهاج الشرع الحنيف، لأن التقدم والازدهار في هذه المناحي قوة للمسلمين وتمكين لهم ، وقد قال تعالى وهو خير القائلين : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والقوة هنا عامة ، وتشمل كل معانيها سواءً في الحرب أو في السلم ، كما قال ابن جرير (١٤/ ٣٧):

«لا وجه لأن يُقال: عني «بالقوة» معنى دون معنى من معاني «القوة» ، وقد عمَّ الله الأمر بها» .

واليوم نشاهد كيف تسلط الغرب على المسلمين بالعلوم والاختراعات والتقدم الحضاري قبل أن يتسلطوا عليهم بالقهر العسكري ، وإن كان هذا واقع منهم لا خلاف فيه.

إلا أن حاجة المسلمين اليوم للعلوم الدنيوية لا تقتضي بحال أن يتحول المجتمع الإسلامي إلى مجتمع مادي بحت لا مكان فيه للتأله والتدين والعبادة كما هو الحال=

والفلك، ولـكن بشـــريطة أن نطابق كـل شيء من هذه العلـوم ومن هذه المبتكرات بما جاءنا به الإسلام الحنيف ، لأن هناك من مبتكرات العلم ومن نظرياته أمـورًا فقـد نجدها تخـالف الإسلام ، فلا يـجوز أن نقبـلها، لأن الإسلام حـقٌ لا يتطرق إليه الريب والشك ، أمـا هذه العلوم فهي إنـتاج بشـر، وهي من ابتكار ناس يحتـملون الخطأ والصـواب ، ولا يخلون من أغراض ومن أهواء ، فلذلك إذا اصطدم النص الشـرعي الواضح الصريح القطعي بالنظرية العلمية أو الأفكار الحديثة فيجب أن تكون ثقتنا فيما جاءنا عن الله ورســوله، لا ريب في أن نـقـدِّمـــه على هـذه الأمـور الفـكرية للآخرين[1].

قلت: لا حرج من قبول هذه العلوم بهذا الشرط ، وعمدتنا في ذلك قول النبي ﷺ في الحديث المشهور، هو حـديث تأبير النخل، وخلاصته: أن النبي ﷺ لما جاء المـدينة ، وجد أهل المدينة يؤبِّرون النخل ، فـسألهم عمّـا يفعلون ، فـقالوا: شيء اعتـدنا عليه، فـقال: «**لو لم تفعلوا لكان**

= في دول أوربا ، بحيث يتـحول بهم هذا التوجـه إلى العلمانيـة ونبذ الدين ، بل نقول: إن حـاجة المسلين اليوم للتـقدم العلمي حاجـة ماسة لصـيانة دينهم ولرفعـته ونشره في أرجاء العالم كله ، فهو أداة وليس بغاية كما هو الحال عند الكفار .

(١) لا سيمـا وأن بعض هذه النظريات تكون مدسوسة أو مـفبركة لبث شـبهات علمية تتعلق بمسائل عقدية ، كما هو الحال في نظرية «التطور» لدارون، تلك النظرية الماسخة للخلق ، والذي روِّج لها قديمًا بل وحـديثًا ، ومفادها أن أصل الإنسان قرد والعياذ بالله ، فمثل هذه النظريات لم تنفع البشرية شـيئًا، بل كانت سببًا للشك في الله، وإنقاصًا لقدر الإنسان .

خيرًا»، فتركوه ، فنقصت ثمرته، فأخبروا النبي ﷺ فيما بعد، فقال: «**إذا حدثتكم في أمر من أمور دينكم فخذوا به ، وإذا حدثتكم في أمر من أمور دنياكم فأنتم أعلم بأمور دنياكم**» أو كما قال عليه الصلاة والسلام(١).

إذًا هناك أمران ، أو نوعان من الأمور: **أمور دينية**: تضمن العقائد والأخلاق والتصورات والقيم والثقافة والأدب، فهذه يجب أن لا نقبلها إلا عن طريق إسلامنا ، ولا نأخذها إلا من طريق الوحي الصادق الصحيح الذي جاء به عليه الصلاة والسلام .

وهناك **أمور دنيوية بحتة** وصناعية وعلمية، فيجوز أن نأخذها منهم، بل يجب ، لكن بالشرط السابق : أن لا نأخذ ما يخالف ما جاءنا به الوحي الصادق .

○ الأصل التاريخي للدعوة السلفية:

نرجع إلى هذه الدعوة السلفية لنقول: قد يقول البعض: إنها دعوة طارئة وجديدة، وإن أقدم من تنتسب إليه هو شيخ الإسلام ابن تيمية ثم ابن عبدالوهاب في العصر الحالي ، وهذه فكرة خاطئة ، بل هي باطلة، وإنما الدعوة السلفية هي دعوة الإسلام الصحيح نفسه ، دعوة الكتاب والسنة التي جاء بها محمد ﷺ ، وكانت خاتمة الدعوات وآخر الشرائع وخاتمة الأديان ، وإنما لم يُطلق عليها ذلك ؛ لأنه لم يكن هناك حاجة،

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٦/٤) ، وابن ماجة (٢٤٧١) من طريق : حماد بن سلمة، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أم المؤمنين عائشة ، وعن ثابت البناني، عن أنس به .

وهو عند أحمد (١٥٢/٣) من الطريق الثاني .

فالمسلمون الأولون كانوا على الإسلام الـصحيح، فلم تكن هناك حاجة ، ولم يوجد داعٍ لقول «الإسلام السلفي» .

و«الدعوة السلفية» كمـا يقرب ذلك إلينا مثلاً العلوم الأخرى العلوم العربية، كان الناس يتكلمون الـعربية الفصحى دون لحنٍ ودون خطأ، فلم يكن هناك حاجـة لوضع قواعـد النحو والاصطلاح ، اصطلاحـات النحو واللغة والبلاغة، لأنها كانت معروفة سليقة .

وكذلك «الدعـوة السلفية» كـان الناس عليهـا ولم يكن هناك شذوذ وانحرافـات، ولكنها بدأت تظهر للوجـود ، وعندما بدأت هذه الثقـافات الأجنبيـة تؤثر على المسلمين ، فتـحرف بعـضهم وتزين لبعـضهم أشـياء تخـالف الإسلام في الـعقـائد وغيـرها ، حـينذاك بدأ أئمـة المسلمين من صـحابة وتابـعين ومن بعدهم يـوجهـون إلى خطورة هذه الدخـائل وإلى خطورة هذه المحدثات[1]، فكانت تظهر وتشـتد الدعوة شيـئًا فشيئًـا كلما زادت هذه المحدثات وكلما زادت هذه الثقافات التي تؤثر في المسلمين .

وكان أبرز من بَـيَّنَ هذه الدعوة ووضَّحـها بجـلاء الإمام أحـمد بن حنبل حيث ظهرت فتنة خلق القرآن في زمانه ، وأُريدَ حمل الناس جميعًا على هذه الفكرة المحدثة البـاطلة ، وصمد ذلك الصمـود المثالي ، ووقف ذلك الموقف الشـجـاع الرائع ، وكـان معـه جـمـهور المسـلمين بقلوبهم وأرواحهم ، وكان أولئك المعتـزلة في فصلٍ آخر مقابل للمضاد، فـتميزت

---

(١) ولعل من أول ما ظهر من هذه الانحرافات ظهور الخوارج في عصر الصحابة -رضوان الله عليـهم أجمـعين- ثم تلتهـا بعد ذلك ظهـور أهواء شتى كـالإرجاء ، والقدر ، والتجهم ، . . .

الدعوتان وظهر الحق بين الاتجاهين، اتجاه الرأي وأصحاب الرأي وأصحاب تقديم العقل على النقل، الذين لا يعتدون في نصوص من الكتاب والسنة، ولا يعتدون بهدي السلف الصالح، وبين من يجعل الأساس الكتاب والسنة ، ويجعل الأساس هدي السلف الصالح.

وهكذا أخذت تتميز الدعوة السلفية شيئًا فشيئًا ، كلما ازداد المسلمون بعدًا عن دينهم الصافي الحقيقي ، وكلما أخذت الأفكار الأجنبية والثقافات الدخيلة على الإسلام ، كلما أخذت تزداد وتشتد.

○ **تجديد الدعوة إلى السلفية في عصر شيخ الإسلام ابن تيمية:**

وفي زمن شيخ الإسلام ابن تيمية كان ذلك قد استفحل وكانت الثقافات والتأثيرات الأجنبية قد تضخمت حتى صرفت أكثر المسلمين ، فلم يبقى إلا قلة نادرة غريبة عن المجتمع هم الذين بقوا يحافظون على الدعوة إلى الكتاب والسنة ، ويتقيدون بطريقة السلف الصالح ، وحينذاك ظهرت الحاجة مُلحة إلى توضيح الدعوة وإلى تمييزها ، فكانت كتابات شيخ الإسلام - رحمه الله - الكثيرة القيمة الرائعة ، التي ميَّزَ بها الإسلام الصحيح الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، فكانت كتبه تارة لمن يطلب الهداية ، وكانت فيصلاً بين الحق والباطل ، وقد أقام الحجة على المخالفين بالمناظرات وبالرسائل وبالكتب، وفي المجالس ، ولم يُبقي حجة لمعاند إلا ما يكون بسبب العناد أو ما يكون بسبب الاستكبار ، فلذلك في زمنه مُيِّزت وظهر هذا الاسم «دعوة السلف» و «منهج السلف» و «طريقة السلف» وإن كانت قد استعملت هذه الكلمات من قبله أيضًا ، وأظن قائل هذا البيت المشهور في العقائد في مذهب السلف:

وكل خير في اتباع من سلف   وكل شر في ابتداع من خلف

أظنه قيل - شيخ الإسلام -: هي كلمة عربية فصيحة ظهرت في كلامهم ، لكن كما قلت توضحت وتركزت أكثر في عهد شيخ الإسلام - رحمه الله - ، كما قلت: بأنه سيطرت الأفكار الصوفية على الناس ، وطرقها المختلفة، وأفكار علماء الكلام، والتعصب المذهبي، والبدع في الدين، والأحاديث الضعيفة والموضوعة ، فظهرت غربة الإسلام، وظهر أنه كان في حاجة ماسة إلى أن يتبين وإلى أن يتوضح، حتى يعرف الناس ما هو الحق من الباطل، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة .

فقد تابع هذه الرسالة وهذه الدعوة تلاميذ الإمام ابن تيمية ، ابن القيم وابن كثير وغيرهم على مر العصور ، ولكنهم كانوا مُحَارَبين مضطهدين، فمات منهم من مات في السجون ، وقُتِلَ من قُتل وعذِّب ، وإن كانت الغلبة المادية في أكثر العصور للمخالفين ، وإن كانت الغلبة المعنوية غلبة الحجة والبرهان لأهل السنة ، مصداقًا لقوله عليه الصلاة والسلام :

«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتي يأتي أمر الله ، وهم ظاهرون على الناس»(١) .

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٤٣٦و٥/٣٤و٣٥) ، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢/٣٣٣) ، وابن أبي شيبة (٦/٤٠٩) ، والترمذي (٢١٩٢)، وابن ماجة (٦) ، وابن حبان (موارد: ٢٣١٣) من حديث معاوية بن قرة ، عن أبيه به مرفوعًا، وسنده صحيح .

○ تجديد الدعوة إلى السلفية في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

وقد جدَّد هذه الدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله تعالى - في نجد حينما كانت في ظلامٍ دامس ، وحينما كانت الوثنيات تسيطر على البلاد ، تفقه بثقافة شيخ الإسلام وأخذ عنه وقرأ كتبه ، وأخذ ينشرها ويدعو إليها ، فناله من جرَّاء ذلك الأذى الكثير ، والحرب العوان ، ولكن كان أن وَفَّقه الله عز وجل مع من أيَّده من الأمراء السعوديين الأوائل .

كان من ذلك أن ظهرت هذه الدعوة، وأثَّرت في المسلمين، ووصلت إلى بلدانٍ كثيرة وما تزال باقية في البلاد السعودية وغيرها ، ولن نخوض كثيرًا في هذه التفصيلات التاريخية .

○ حقيقة السلفية، أفكارها، أهم أصولها:

فلننتقل إلى حقيقة الدعوة السلفية، لماذا تظهر؟ ما هي أهم أفكارها؟ ما هي أهم الأصول التي تركز عليها ؟

هناك أمور هامة وأصول أساسية تركز عليها الدعوة السلفية :

أول هذه الأمور : مسألة التوحيد :

هذه المسألة أخطأ فيها جماهير المسلمين عامتهم وخاصتهم، قد شاع لديهم أن التوحيد الذي أمر الله به في كتابه وسنة نبيه هو الاعتقاد فقط بأن لهذا الكون خالقًا مدبرًا رازقًا حكيمًا يتصف بصفات الكمال ، وقد ملأوا كتبهم وأتعبوا أنفسهم في إثبات هذه الحقيقة ، مع أنه كما سمعتم من أستاذنا أكثر من مرة هذه الحقيقة فطرية مفطورة في النفوس والأذهان[1] ،

(١) هذا كان يُسَمَّى «دين العجائز»، أي الاعتقاد الفطري، الذي تقتضيه الفطرة=

ولا يحتاج إلى كثير إثبات ولا إلى جهد كبير ، فقد قال الله تعالى مثلاً:

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [إبراهيم : ١٠].

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

وإن كل الذي ينظر إلى طريق البشر على مر العصور ليجد أن كل البشر يؤمنون بوجود إله خالق ومدبرٍ حكيم، إلا قلة نادرة من الملحدين على مرِّ العصور ، كانوا يسمون «الدهريين» قديمًا ، ويسمون الآن «ملاحدة» أو «زنادقة» أو «شيوعيين» هؤلاء نسبتهم قليلة جدًا بالنسبة لبقية البشر.

ولا يقول قائل : إن والله الشيوعيين مثلاً الآن هم سكان روسيا وسكان الصين وسكان الدول الشيوعية الأخرى الكثيرة ، لا يقول أحد هذا ، فإن سكان هذه الدول أكثرهم إما نصارى أو مثلاً يهود أو وثنيون يؤمنون بإله ، ولكن الملاحدة منهم والشيوعيين مثلاً هم قلة قليلة ، وهم الحكام فقط ، والذين يُسيِّرون أمور العسكريون وغيرهم، يعني هم أعضاء

= السليمة التي فطر الله الناس عليها ، والتي ألجأت إبراهيم - عليه السلام - وغيره إلى التفكير في الله ، وأنه لابد للخلق من خالق .

وياليت التزم كثير ممن حاد عن الفطرة الصحيحة بهذا الاعتقاد ، بل ظهر عندنا الجهمية الذين يعطلون صفات الرب بحجة «التنزيه» ، وأصل مقالتهم تقتضي أنهم يعبدون عدمًا كما قال بعض السلف ، ومنهم من يخوض في التشبيه حتى يصلوا إلى التجسيم والعياذ بالله ، ومنهم من يتأول الصفات على خلاف مراد الله تعالى، ومنهم من يشرك في عبادة ربه غيره من ولي ، أو ميت ، أو جنٍّ ، أو مَلَكٍ ، بنذر له، أو بدعاء يرجو إجابته منه ، أو بذبح يتقرب به إليه .

الحزب الشيوعي لا غير ، أما بقية الشعب فتعلمون لهم كنائسهم ولهم عباداتهم ، وكانوا يُجْرون إحصاءات بين الحين والحين، أذكر أن آخر إحصاءات كانت أن الشيوعيين في روسيا نحو سبع ملايين فقط، فإذًا هم أقلة ، ما قيمة سبع ملايين ، أضف إليها مثلاً البلدان الأخرى سبع ملايين أخرى ، خمسة عشر مليون ، قل عشرين، خمسين، ما قيمتهم بالنسبة للسكان البشر الذين هم الآن أظن نحو ثلاثة آلاف مليون نسمة.

○ حاجة الناس إلى الدين الصحيح وإلى تصحيح العقائد والعبادات:

فإذًا إن عامة البشر وجماهير الناس على مرِّ العصور هم مؤمنون بإله، إذًا ماذا يحتاج هؤلاء ؟ إن أحوج ما يكونون إليه هو: أن يؤمنوا بالله الإيمان الصحيح ، الذي جاءنا به محمد ﷺ والرسل السابقون ، إنه هو الإيمان الذي يعتدُ به ، والذي ينجي صاحبه من الخلود في النار ، إنه طريق دخول الجنة ، إنه هو وحده الإيمان الصحيح ، وما عداه كفر ، والمشركون كلنا نعرف إنهم كانوا يؤمنون بإله خالق ، إلا قلة نادرة جدًا، أيضًا أشار إلى ذلك القرآن ، حيث قال :

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١].

وبيَّن سبب ضلالهم وشركهم أنه اعتقاد الشفعاء والوسطاء بينهم وبين الله ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣].

وفي شعـر الجاهلين تجد كثـيرًا لفظة «**الإله**» و«**الخالق**» ويقسمون به ويعظمونه .

ولكنهم يعتـقدون أن هذه الأصنام هي وسائط، وهي مقـدمات لهذا الإله ، وإن ذكرها ودعوتها هو ضمانٌ ليسـتجيب لهم الله دعاءهم ويغيثهم إذا استغاثوا .

إذًا الدعوة السلفيـة تهتم بتبيين التوحيـد الصحيح الذي يكون الناس أحوج ما يكونون إليه .

○ أنواع التوحيد وأقسامه :

وهو ما استخلصه العلماء المحققون من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره ، من أن هناك ثلاثة أنواع للتوحيد :

التوحـيد السـابق : واصطلحوا علـيه إنه «**توحـيد الربوبيـة**» وهو: الإيمان بأن لهذا الكون خالقًا رازقًا متصفًا بصفات الكمال .

والنوع الثاني من التوحيد هو: «**توحيد الألوهية**» ، والنوع الثالث هو «**توحيد الـصفات**» ، وهذه - صحـيح - أسماء اصْطُلِحَ عليـها من هؤلاء الأئمة الأعلام ، ولكن مدلولها وحقيقتها موجود في ثنايا الكتاب والسُنة، وإنما هؤلاء وضحوها وميزوها واصطلحوا عليـها ، لتتضح الأمور، وتتبين الحقائق .

توحيـد الربوبية قلنا المراد به [١] ، **أما تـوحيد الألوهـية** فهـو أيضًا

---

(١) **الرب:** هو المالك ، والسيِّد ، والمدبِّر ، والرازق . .

وتوحيـد الربوبية: هو التصـديق التام ، والاعتقاد الجـازم الذي لا يساوره شك، ولا يداخله ظن أن الله تعالى هو المتفرد بالخلق ، والرزق ، والـتدبير ، والإحياء،=

بصورة إجمالية : أن يخص المسلم أصناف العبادة كلها لله عز وجل ، هذا الخالق المدبر الذي آمن به.(١)

=والإماتة ، وبمعرفة الغيب، وبتقدير الأمور ، كبيرها وصغيرها ، جليلها ودقيقها، خيرها وشرها .

وأنه سبحانه وتعالى المربي لخلقه أجمعين بنعمه الظاهرة والباطنة ، والتي منها إرسال الرسل والأنبياء لهدايتهم إلى التوحيد ودين الله القويم ، حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

قال تعالى :

﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

وقال عز من قائل :

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]

وقال تعالى :

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾.

[يونس: ٣١].

(١) **الإله:** هو الذي تألهه القلوب ، وتدين له بالطاعة والحب والتعظيم والخضوع، ولا تعصي له أمرًا ، رغبًا ورهبًا .

وتوحيد الألوهية : هو إفراد الرب تعالى بالعبادة ، والتأليه ، والطاعة ، والاستقامة على أمره وأمر نبيه ﷺ ، وعدم الإشراك معه في العبادة ، وترك اتخاذ الأنداد والوسائط معه وإليه ، وترك الاستشفاع والتوسل إليه إلا بما أذن فيه مما ورد مشروعيته في الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ .

وهذا لا يتحقق إلا بتحقيق شرط الإخلاص في عموم الطاعات والعبادات . =

وهذا في الحقيقة أمر طبيعي فإذا كان الله هو الخالق المدبر الرازق.. إلى آخره، فلماذا يدعو غيره؟ ولماذا يعبد سواه؟ يعبد المخلوقين! يعبد المحتاجين! يعبد الذين لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعًا، كما يقول الشاعر:

من قصد البحر استقل السواقي

هذا الإنسان العبد الضعيف العاجز الذي لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ولا حياة ولا نشورًا ، كيف تدعوه وتترك ربك الذي بيده كل شيء؟! الذي إذا أراد شيئًا قال له : كن فيكون ، هل هو قاسٍ ؟! هل هو لا يستجيب دعائك ؟! هل هو بعيد؟! هل هو ظالم حتى تخاف منه وتلجأ إلى سواه ؟!

إنه رحيم برٌ بعباده ، رؤوف بهم ، يُجيب دعوة المضطر إذا دعاه، يقبل التوبة عن عباده ، إنه أقرب لأحدكم من عنق راحلته إليه، إنه الذي يفرح بتوبة التائب أشد من فرحة الإنسان الذي كان في سفر وضلَّت راحلته ثم وجدها وعليها طعامه وشرابه بعد ما يئس منها.

هذا الإله العظيم الحكيم الرحيم لمَ تتركه وتلجأ إلى غيره من هؤلاء

= وقد قال تعالى :

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وقال ﷺ :

«إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امريء ما نوى..»[(١)] .

---

(١) البخاري (١/٥) ، ومسلم (٣/ ١٥١٥) من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه-.

الآلهة الضعفاء العجزة ، الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ولا حياةً ولا نشورًا.

فلذلك توحيد الألوهية من أخص خصائص التوحيد وهو من أهم ما جاء به رسول الله ﷺ ، فهو في الحقيقة معنى قولنا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فكلمة «لا إله إلا الله» هي التي تدخل الإنسان في الإسلام وهي الكلمة الطيبة وهي التي قال عنها رسول الله ﷺ :

«من قال لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه دخل الجنة»(1) .

---

(1) البخاري (١/ ٥٢) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - .

وعنده (١/ ٦٢) من حديث أنس - رضي الله عنه - مرفوعًا :

«ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرَّمه الله على النار» .

وعند مسلم (١/ ٥٦) من حديث أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال: **«أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيهما ، إلا دخل الجنة»**.

فلابد لمن قال بلسانه: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» أن يأتي بمقتضيات هذه الشهادة حتى يدخل الجنة كما ورد في الأحاديث السابقة : **«صدقًا من قلبه»**، **«غير شاك فيهما»** ، **«مخلصًا»** .

فيمتنع تحقق الإخلاص مع الإشراك بالله تعالى في العبادة في نذر أو دعاء لغيره، أو في صرف أي نوع من أنواع العبادة والشعائر التي لا تجوز إلا لله تعالى لغيره.

ويمتنع تحقق الصدق وهو لا يؤدي ما افترضه الله تعالى عليه،ولا يدين لله بطاعة أبدًا .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦١١): =

فإذا عَلَّق دخول الجنة على من يقول بهذه الكلمة مؤمنًا مخلصًا من قلبه .

ما معنى هذه الكلمة ؟ هل هي الألفاظ تُقال باللسان هكذا دون فقه ولا اعتقاد ولا تطبيق ؟ ليس كذلك ، إن الأمور **بحقائقها** .

هذه الكلمة معناها «**الإله**» : المعبود ، فيُأله : أي عبد يُعبد، أي معناها: **لا معبود بحق إلا الله** .

فإذًا من ألصق معاني «لا إله إلا الله» : توجيه وتخصيص العبادة كلها بأنواعها المختلفة بالله عز وجل .

كثيرٌ من المسلمين يجهلون العبادة فيظنون أن لا إله إلا الله آمنا معكم هي المراد بها تخصيص العبادة لله ، ونحن أيضًا نؤمن بذلك فلا نخصص ولا نسجد لأحد إلا لله ، وهذا قصور في الفهم ، فإنهم يجهلون أن العبادة معنى أشمل وأوسع من ذلك ، إن العبادة كل ما يحبه الله ويرضاه، العبادة تشمل أنواع التعظيم التي يجب أن تُخص بالخالق الحكيم، إنها تشمل الدعاء ، وتشمل النذر ، وتشمل الذبح ، وتشمل التوكل والإنابة ، وتشمل الاستعانة ، وتشمل الخوف والخشية والاستغاثة والرجاء والمحبة ، كل هذه الأنواع هي من العبادات ، وهؤلاء لجهلهم يظنون أنها مقصورة على الصلاة وعلى الحج مثلاً،فيدل على ذلك نصوص كثيرة أيضًا لا نحصيها الآن لضيق الوقت، وإنما نذكر بعض الأمثلة .

= «من الممتنع أن يكون الرجل مؤمنًا إيمانًا ثابتًا في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج ، ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة، ولا يصوم من رمضان، ولا يؤدي لله زكاة ، ولا يحج إلى بيته ، **فهذا ممتنع ، ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة ، لا مع إيمان صحيح**».

○ **بعض الأمثلة لما يقع فيه الشرك في العبادات:**

مثلاً: الدعاء والاستعانة، يقول الله عز وجل:

﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥].

وتقديم المفعول هنا يُرَاد به التخصيص ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ أي: لا نعبد غيرك، ﴿**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ أي: لا نستعين بسواك، وهذا الفرق بين قولنا: إياك نعبد، ونعبدك ولم يكن نعبدك لاحتمال أن يُراد بها أو تشمل لغيرك، ولا مانع أن نعبد غيرك، وقدَّم المفعول لهذا التخصيص.

كذلك قوله عز وجل: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠].

فقابل بين ﴿**ادْعُونِي**﴾ و ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي**﴾ مبينًا أن الدعاء هو عبادة، ويوضح ذلك تمامًا قوله ﷺ الصادق:

«**الدعاء هو العبادة**»(١).

وهكذا يتضح في قوله: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[الأنعام: ١٦٢]، ونصوص كثيرة تشمل الخوف والرجاء ﴿**وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ ﴿**فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ**﴾ ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ وما أشبه ذلك من النصوص الكريمة، هذا هو النوع الثاني من أنواع التوحيد الذي يجهله المسلمون، وترتكز عليه الدعوة السلفية لأن من

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٧١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٣٥)، والترمذي (٣٢٤٧ و ٣٣٧٢)، وابن ماجة (٣٨٢٨) من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - **وسنده صحيح**.

أخطأ فيــه ولأن من جهله ولأن من اعــتقــد خلافــه مُشرك ويُحكــم عليه بالخلود في النار إلا إذا كان لم تبلغه هذه الدعوة ، فأمره إلى الله ، يعذره الله ، ويوضح مصيره الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره:

«**أنه يُبعث إليه يوم القيامة رسول..**»[1] إلى آخر الحديث المعروف .

○ توحيد الصفات:

النوع الثالث من أنواع التوحيد - الذي أيضًا يجهله كثيرٌ من المسلمين ويخالفون مـضمونه ويشركــون بالله فيه - هو «**توحيد الـصفات**»: وهو اعتقاد أن أحدًا يشارك الله في صفة من صفاته[2] .

---

(١) تقدَّم تخريجه والكلام على هذه المسألة .

(٢) **توحيد الأسماء والصفات** : منه ما هو مختص بأسماء الله تعالى ، ومنه ما هو مختص بصفاته عز وجل ، فأما ما يختص بأسمائه :

فهو الإيمان الجــازم ، والتصديق المطلق بأن لله تعالى أسماء حُـسنى قد سمى الله بها نفسه ، فكل ما ورد في الكتاب الكريم ، أو في السنة الـصحيحة المشرفة وجب الإيمان به أنه من أسـماء الله تعــالى ، والإيمان بأن الله تعالى يحب أن يُدعى بــهذه الأسمــاء الكريمة ، وأن يُتـقرب إليــه بها ، وأن التـقرب بها فــي الدعاء وغيــره من المنجيات والحافظات للمسلم ، وأنها من الطاعات التي يُثاب عليها المرء .

قال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومن الإلحاد في أســماء الله تعالى دعــاءه بغير ما ســمَّى به نفسه مما ابتــدعه أهل الأهواء وأرباب الوساوس والزيوف كدعــائه ببعض الألفاظ أو الأسمــاء السريانية أو الأعجمية، مما لم ترد في كتاب ولا سنة ، كقولهم : «يا هو».

وقــد بيَّن النبي ﷺ أن الله يُعطي ويستــجــيب إذا دُعي بأسمــائه التي سمى بهــا نفسه.

=

. . . .

= فعن بريدة بن الحصيب - رضي الله عنه - :

أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقـول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت، الأحـد الصمـد ، الذي لم يلد ولم يولـد ولم يكن له كفـواً أحد، فقال ﷺ :

«لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئِلَ به أعطى ، وإذا دُعِيَ به أجاب»(١) .

ومن الإلحاد في أسماء الله تعالى ما كان يفعله المشركون من عدولهم بها عما هي عليه، فـسموا بها آلهـتهم وأوثانهم وزادوا فيهـا ، ونقصوا منها ، فـسموا بعـضها «اللات» اشتـقاقًا منهم لها من اسم الله الذي هو «الله» ، وسـموا بعضهـا «العُزى» اشتقاقًا لها من اسم الله الذي هو العزيز(٢) .

وأما ما يختص بالصفات : فمعناه : إثبات ما أثبته الله سبحانه لنفسه من الصفات الكريمة والنعوت الجليلة ، ومـا أثبته له نبيـه ﷺ ، ولا يصرفونها عن وجـهها، بل يصدقـون بها وإن لم تدركها عـقولهم ، ولا يقولون لِم؟ ولا يقـولون كيف ؟ وإنما الإيمان والتصديق الجازم .

مع التنزيه المطلق بأن الله سـبحانـه وتعالى ليس كمـثله شيء في الأرض ولا في السماء ، وأنه سـبحانه صفاته صـفات كمال مطلق ، ولا يحرفـونها ، ولا يمثلونها بصفات المخلوقين ، ولا يشبهونها بها ، بل يثبتونها على وجهها ، مع معرفة معناها في لغة العرب ، وتفـويض كيفيتـها إلى الله تعالى ، ولا يعطلونها كـأهل التجهم، ولا يتأولونها كالأشاعرة ، ولا يفوضون معناها كجماعة المفوضة ، ويقولون: آمنا به كل من عند ربنا .

---

(١) أخرجـه أحمـد (٥/ ٣٤٩, ٣٦٠) ، وأبوداود (١٤٩٣, ١٤٩٤) ، والتـرمذي (٣٤٧٥)، والنسـائي في «الكبرى» ، وابن مـاجة (٣٨٥٧) من طريق: مـالك بن مغـول، عن عبـدالله بن بريدة، عن أبيه به ، وسنده صحيح.

(٢) «تفسير الطبري» (٣/ ٢٨٢) .

الله: من صفاته يعلم الغيب ، وحينما يعتقد إنسان أن بشرًا من البشر يعلم الغيب كـما يعتقد الصـوفية أن شيوخـهم يكاشفون فيـعلمون ما في نفسك ،ويطَّلعون على أحوالك لو كنت في مشارق الأرض وفي مغاربها، فهـذا لا شك شرك في الصـفات ، وكـذلك حينمـا يعتقـدون في بعض مشايخهم إنهم يقدرون عل كل شيء وأنهم يقولون للشيء كن فيكون كما ورد في بعض كتـبهم ، وحينـما يعتـقدون صفـات أخرى هي من أخص خصائص الله عز وجل في أوليائهم وفي مشايخهم وفي الأنبياء والرسل ، فإنما يكونون هم أشركوا بالله عز وجل ، ومع الأسف هذا انتشر في كلام المتأخرين كثيرًا ، الشعراء منهم الذين يسمون المدَّاح للنبي ﷺ الذين كتبوا قصائد في مـدح الرسول - عليه الصلاة والسلام - ويخـتص بتلاوتها في الموالد والاحتفـالات الدينية ، هذه تكثر فيـها الاستغاثة بهـذه الصفات ، بنسبة هذه الأمـور التي لا يجوز إلا لله ، نسبتها للرسـول - عليه الصلاة والسلام - وإلى مشـايخهم وأوليائهم ، والرسول ﷺ قد حَذَّر كـثيرًا من هذا ، وقد أمر بعدم المبالغة في مدحه - عليه الصلاة والسلام- خشية من الوقوع في الانحراف الخطير ، قال - عليه الصلاة والسلام - مثلاً:

«لا تطروني كـما أطرت النصـارى عيـسى ابن مريم ، فـإنما أنا عبـد فقولوا عبدالله ورسوله»(١) .

وحينمـا جاء بعض الناس وقالوا له: أنت سـيدنا وابن سيـدنا، قال

---

(١) أخرجه الحميدي (٢٧) ، والبـخاري (١/ ٢٥٦) ، والترمذي في «الشمائل» (٣٢٤) من طريق : عبيـد الله بن عبدالله بن عتبة ، عن ابن عـباس ، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - به .

لهم - عليه الصلاة والسلام - :

«قولوا بقولكم هذا أو بعض قولكم فلا يستجرئنكم الشيطان»[١] .

فكلمة سيدنا وابن سيدنا الرسول ﷺ وجد فيها شططًا ، لأن ابن سيدنا نسبة أن عبدالله والد رسول الله ﷺ هو سيدٌ لهم ، وأنه كان مشركًا كما في الحديث المعروف ، وهذا من الشطط ، وقد حذَّرهم منه .

وحينما سمع بعض الجواري والأولاد ينشدون:

وفينا نبي يعلم ما في غد ، نهاهم أيضًا عن ذلك وقال لهم :

«لا يعلم ما في غد إلا الله عز وجل»[٢]

فمع هذا التنبيه ومع هذا التحذير من النبي ﷺ خالفه الناس صراحة وقال قائلهم - البوصيري مثلاً -:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم

معنى البيت: إنك دعهُ لا تقل أن محمدًا ابن الله وقل ما شئت فيه

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣ ، ٢٤١ ، ٢٤٩) من طريق : عفان والحسن بن موسى الأشيب ، كلاهما عن حماد ، عن ثابت ، عن أنس به ، **وسنده صحيح** .

وخالفهما مؤمل عند أحمد (٣/ ٢٤١) فرواه عن حماد ، عن حميد ، عن أنس، والأول أصح .

والحديث صححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١٠٩٧) .

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٥٩) ، والبخاري (٣/ ٣٧٤) ، وأبوداود (٤٩٢٢) ، والترمذي (١٠٩٠) ، وابن ماجة (١٨٩٧) من طريق: خالد بن ذكوان المدني ، عن الربيع بلفظ : **«دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين»** ، وما ذكره الشيخ هو لفظ ابن ماجة.

من الأقوال ، وهذا واضحٌ ضلاله وواضحٌ انحرافه وشططه(١) .

فتــوحيــد الصفات من أخطر أنواع التــوحيــد التي جهلهــا المسلمون وخالفوها ، ومعروف أن مسألة التــوحيد هي الفيصل بين الإسلام والكفر كمــا قلنا ، فلو كان إنسانٌ مــتعبــدًا يزكى ويقوم بأنواع النوافل المخــتلفة، ويتــقرب إلى الله بشــتى القــربات ، ويصل الأرحام . . إلى آخــره ، ولو أشرك في عمــره كله مرة واحدة ، استــغاث بغير الله ، قــال كلمة وصف فيها أحد المخلوقات بصــفة لله ، فإن كل عمله باطل وإنه خالد مخلد في النار إذا لم يتب منه ،قال الله عز وجل : ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ .

○ أهمية التوحيد،وخطورة قضيته :

فــإذًا ؛ المسألة خطيــرة جدًا ، ولذلك يُــوليهــا السلفيــون الاهتمــام الكبــير، ومن العــجب أن باقي العلمــاء والمشــايخ يدندنون حولهــا ، بل يخاصموننا فيه ، ويقولون : مــا فيه شيء ، المسألة تتعلق بالنية ، واسألوا نيتــه ، هذا الإنسان إنما يــريد بذلك وجه الله ، ويريد التــقرب والتــحبب وتعظيم هذا النبي وهؤلاء الأوليــاء ، مع أنهم يعلمــون أن النية لا تشــفع للعمل مهما كانت صالحة ، فــلابد أن يكون العمل صالحًا والنية صالحة ، مصداقًا لقول الله عز وجل :

---

(١) قال الشيخ السعدي - رحمه الله - في كتابه «القول السديد» (ص:٦٨):

«**الناس في معاملة الصالحين ثلاثة أقسام : أهل الجفاء** : الذين يهضمونــهم حقوقهم ، ولا يقومــون بحقهم من الحب والموالاة لهم ، والتــوقير والتبــجيل ، **وأهل الغلو** : الذين يرفعونهم فــوق منزلتهم التي أنزل الله بها ، **وأهل الحق** : الذين يحبونهم ، ويوالونهم ، ويقومون بحقوقهم الحقيقية ، ولكنهم يبرأون من الغلو فيهم ، وادعاء عصمتهم» .

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف : ١١٠].

﴿لا يُشْرِكْ﴾ أي لتكن نيته صالحة، فليعمل عملاً صالحًا أي: موافقًا للسنة كما فسرها بذلك الأئمة والمفسرون مثل ابن كثير وغيره(١) .

فإذًا ، يجب الاهتمام بمسألة التوحيد بأنواعه الثلاثة ، وخاصة النوعين الآخرين اهتمامًا بالغًا لإنقاذ الناس من الهاوية ومن الضلالة .

○ الاتباع والسلفية والموقف من المذهبية:

المسألة الثانية التي ركز عليها السلفيون هي: **مسألة الاتباع**، طريقة أخذ الأحكام ، وطريقة التفقه في الدين .

شائع عند الناس خاصة في القرون المتأخرة أن على كل إنسان إذا بلغ سن الرشد عليه أن يأخذ مذهبًا من المذاهب الأربعة ، مذهب والده مثلاً ، فيتفقه فيه ، ويلتزمه ، ولا يخالفه في مسألة من المسائل ، ويقلده تقليدًا ، ولا يسأل عن الدليل ، ولا يسعى للاجتهاد ، لأن الاجتهاد قد أُغلق، وأنه ليس أمامه إلا التقليد .

---

(١) ذلك لأن قبول العمل يعتمد على أمرين: أحدهما : الإخلاص ، وهو توحيد التوجه ، فلا يكون إلا لله تعالى ، والآخر: الصحة ، وهو توحيد المتابعة للنبي ﷺ ، فيقوم بالعمل على الوجه المسنون عن النبي ﷺ ، وهذا مقتضى الشهادتين: «أن لا إله إلا الله» وهي مختصة بتوحيد التوجه ، و «أن محمدًا رسول الله» ، وهي مختصة بتوحيد المتابعة ، فلا يجوز مثلاً للمرء أن يتبع حكم أحد العلماء ويقدِّمه على سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما لا يجوز أن يُقصد غير الله بهذا العمل .

○ **المجتهد والمقلد:**

هذه المسألة أيضًا خطيرة وهامة ، ويُخالف فيها السلفيون جمهور الناس[1] ، **فهم يرون الأصل في التفقه وفي أحكام الشرع** : الأخذ من الكتاب والسنة مباشرة اتباعًا لقول الله عز وجل: **﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾** [الأعراف: ٣] .

فالأصل - إذًا - أخذ الأحكام من الكتاب والسنة ، لكن من المعروف أن الناس يتفاوتون في ذلك، وأن ليس في مقدور أي إنسان أن يأخذ من الكتاب والسُنة ، وخاصة بعد ما فشي اللحن وبُعد الناس من لغة العرب ، وعن السليقة العربية ، وعن الفطرة، فأصبحوا غريبين عن لغة القرآن ولغة الحديث النبوي الشريف ، ولا شك أنه من المعروف من قواعد الشريعة أنه إذا لم يستطع الإنسان أمرًا ، فإنه يُكَلَّف بما دونه ، فإن لم يستطع هذا الإنسان الأخذ من الكتاب والسنة - أخذ أحكام دينه مباشرة - فلا يُكَلِّف الله نفسًا إلا وسعها ، كما قال الله تبارك وتعالى ، فيُنزل درجة في ذلك إلى الاتباع وهم ممن اختلفوا فيه عنهم ، إنهم يقولون: ما في اتباع ، إما مجتهد وإما مقلد ، وهذه مكابرة، وهذا في الواقع عناد ، لأنه مخالف لما هو مشاهد ولما هو محسوس.

فأنت ترى في الناس من هو عالمٌ قد بلغ من العلم شوطًا بعيدًا ، فقد تفقه في لغة العرب ، وقد درس علم أصول الفقه ، وهو أخذ وسائل

---

(١) من الذين نشأوا على التدين بالمذهبية ، والالتزام بأقوال المتأخرين من الفقهاء، وقد تقدَّم الكلام على هذه المسألة تفصيلاً بما يُغني عن الإعادة هنا .

الاجتهاد ، هذا هو المجتهد الذي يتفق الكل بأنه يجوز له الأخذ بالكتاب والسنة ، بل يجب عليه مباشرة ، وهناك باقي الناس غير هذا الإنسان .

نحن نرى صنفين اثنين وإن كانا يتفاوتان فيما بينهما في مراتب كثيرة، هذان الصنفان عامة الناس الذين لا عناية لهم بالعلم ولا دراسة لهم بالدين، فهؤلاء الذين يسمون مقلدين، هؤلاء إذا تلوت عليهم الآية ، لا يفقهونها إلا ما ندر من الآيات الواضحة الصريحة ، وإذا ذكرت لهم الحديث لا يستطيعون أن يعرفوا معناه أو يعرفوا الطريقة التي يعرفون صحته من ضعفه ، فهؤلاء لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها ، يُكَلَّفون أن يسألوا أهل العلم ، لكن عليهم أن يبذلوا جهدهم أيضًا في اختيار أهل العلم من الموثقين الذين لا تعصب لديهم ، والذين هم ثقات في دينهم وفي علمهم ، ومع ذلك ليس عليهم أن يلتزموا واحدًا بعينه من هؤلاء، وإنما عليهم كما قال الله تبارك وتعالى :

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

اسئلوا أهل الذكر ، فلم يُحدد واحدًا بعينه ، وإنما يكون ذلك حسبما يتيسر ، تيسر له فلان ممن يثق في علمه ودينه فيسأله ، وإذا تيسر له آخر فيسأله، ولا يُضيِّق على نفسه ويحجر اتباعه وتقليده لعالم معين[1].

---

(١) وكما قال الشيخ - رحمه الله - عليه أن يسأل من يثق في دينه وورعه وأمانته وعلمه ، ولا يسأل من عُرف بالتساهل في الفتوى ليتتبع الرخص من زلل العلماء .

قال الإمام النووي - رحمه الله - في مقدمة «المجموع» (١/ ٧٩) :

«يحرم التساهل في الفتوى ، ومن عُرف به حَرُم استفتاؤه» . =

○ **المتعلم غير المجتهد :**

هناك بين هذا المقلِّد وهذا المجتهد ناسٌ كـثيرون ، لهم عناية بالعلم، دراسـة للغة ، دراسـةِ للعلوم الشـرعيـة ، دراسة للقـرآن ، للتفـسيـر ، للحـديث، فـهـؤلاء لا نسـتطيع أن نـقول إنـهم مـثل أولئك الأولين أو المقلدين، هم يختلفون عنهم ، وإننا نظلمهم حينما نسويهم بهم ، لا شك أن لهم فضلاً عليهم، ولا يجوز أن نعاملهم مثلهم ، فإنهم إذا ذُكِرَت لهم

= وقد أخرج مسلم في مقدمة «الصحيح» (١/ ١٤) **بسند صحيح** ، عن محمد بن سيرين - رحمه الله - قال :

إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم .

وأما التساهل في السـؤال لأي غرض من الأغـراض فهـو مذمـوم أشد الذمَّ ، وبعض الناس يسـتدلون على مـثل هذا التسـاهل المنهي عنه والمذموم شـرعًا وعـرفًا وعقلاً بما يتناقلونه من الأخبار الموضوعة والواهية كقول بعضهم المنسوب إلى النبي - عليه السلام - كذبًا وزورًا : «**اختلاف أمـتي رحمة**»[1] ، و «**من قَلَّد عالمًا لقي الله سالمًا**»[2] .

مع أن الأولى بهم أن ينزجروا بمثل قوله تعالى :

﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ**﴾[القصص : ٥٠] ،

وبمثل قوله : ﴿**فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا**﴾[النساء : ١٣٥]

وبمثل قـوله : ﴿**أَفَـمَن كَـانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَـمَن زُيِّنَ لَهُ سُـوءُ عَـمَلِهِ وَاتَّبَـعُـوا أَهْوَاءَهُمْ**﴾[محمد : ١٤] .

(١) أخرجه البـيهقي في «المدخل» (١٥٢) بسند تالف، وانظر : «الضـعيفة» للعـلامة الألباني (٥٧).

(٢) «السلسلة الضعيفة» (٥٥١).

الآيات والأحاديث عـرفوا معانيـها ، أو تفقـهوا في أكثرها ، بالجـملة قد تخفى عليـهم بعض المعاني ، لكن إذا استعـانوا ببعض العلماء يفقـهونها ويفهمونها ، فهؤلاء عليـهم أن يبذلوا جهدهم ، وجهدهم هو يحصل بأن يعرفوا الحكـم الشرعي عن طريق عالمٍ من العلماء ، ويعـرفوا دليله الذي وصل به إلى الرأي الذي يتبناه ، هؤلاء يستطيعـون هذا، فكيف نسامحهم ونتساهل معهم .

فنقـول لهم : يكفي أن تقلدوا ، نسـأل العالم : إيش حكم الـشرع في هذا ؟ فيـقول لك : كذا وكذا ، أنت بـإمكانك إذا ذُكِرَ لك الدليل أن تفقـهه، فـما تتنازل عن ذلك ، ولمَ تتـساهل مع أنك في أمـور الدنيا إذا كنت تاجراً فلا تكتفي بسؤال المختص بذلك سؤالاً مجملاً معارضًا ، وإنما تُدقق وتحاسب وتقـارن وتسأل أكثـر من واحد ؟ لمَ في أمور الدنيـا تفعل ذلك وفي أمـور الدين تتـهـاون وتتـسـاهل؟ هل أمـر دينك أهون عليك وأضعف عندك وأقل شأنًا من أمور دنيـاك ؟ إن كنت كذلك ما أخسرك ، وما أضلك .

فلا شـك هناك مرتبـة وسط بين المجتـهد والمقلد ، وهو الذي يتـبع مستـعينًا بعالم مجتهـد بعد أن يفقه دليله ، ويطلع على حجـته ، ويقتنع بها، ويرجح من أقوال العلماء ما هو الصواب في نفسه .

○ البراءة من الافتراءات الكاذبة :

هذا موقف السلفيين من مسألة أخذ الأحكام الشرعـية ومسألة التفقه في الدين، وباعتقادنا أنه هو الموقف الحق العدل الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط ، ويجترئ علينا المخالفـون اجتراءات باطلة ، نحن دائمًا نكرر

براءتنا منها ، يدَّعون أننا نكره الأئمة الأربعة ، وأننا نطعن فيهم ، وأننا نوجب الاجتهاد على كل مسلم ، وأننا نأمر كل أحد أن يكون مجتهدًا عالمًا ، ولا يجوز له أن يقلد ، وهذا ظلم وافتراء ، طالما بيَّنا براءتنا منه، مع ذلك لا يتقون الله ويُصِرُّون على نسبته إلينا ، ويشهد الله إنا منه برآء - كما يُقال - براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، مع أن كتبنا طافحة ببيان هذه الحقيقة .

فبعضهم مثلاً سَطَّر كتابًا ملأه وحشاهُ بإثبات جواز التقليد والاستدلال على أنه جائز وواجب على بعض الناس ، كل ذلك يردُّ به على السلفيين ، ليوهم الآخرين أنهم يُنكرون التقليد ، هذا من الظلم الشنيع ، ومع أنه قد بُيِّن له ذلك ، وأُثبت له أن السلفيين يقولون أن الجاهل عليه أن يُقَلِّد[1] ، ومع ذلك يصرون على هذا ، وهذا يُبيِّن ما في نفوسهم من الضغينة ، وما في نفوسهم من الحقد والتحامل والظلم الدفين، هذه المسألة الثانية .

○ **التصفية والتربية «التزكية»[2]:**

والمسألة الثالثة: التزكية النفسية والتصفية الروحية :

هذه المسألة قد شاعت لدى المتأخرين فيها طريق المتصوفة ، هؤلاء الذين يعتمدون في تزكية النفوس على المجاهدات الروحية ، والمسائل

(١) وقد تقدَّم كلام الشيخ الألباني - رحمه الله - في ذلك ، وفتواه الدالة على جواز التقليد لغير العالم أو غير القادر عن إدراك الحق ، وحرمة التدين بالتقليد .

(٢) السلفيون يلتزمون في منهجهم بأصل مهم جدًا وهو : «التصفية» و «التربية» و«التزكية» على فهم السلف الصالح . =

النفسية، وما أحدثه مشايخهم من أمور ادعوا أنها توصلهم إلى الله ، وقد

= و «**التصفية**» تقدَّم الكلام عليها ، وكذلك «**التربية**» ، ومنها: «**التزكية**» ، ولكن لابد من الإشارة هنا إلى أن التزكية التي التزم بها كثير من الطرقيين تسير وفق الأذواق والأهواء وما توارثوه عن شيوخهم ، مشايخ الطريقة ، وغالب هؤلاء لا علم لهم بالكتاب أو بالسنة فضلاً عن فهم السلف الصالح وطريقتهم في تزكية نفوسهم ، تلك الطريقة الغرَّاء التي تلقوها عن النبي ﷺ ، وأساسها وأصلها الأصيل أن التزكية لا تكون إلا بشرع ، فقد يرى أحدهم العمل حسنًا من ذكر أو صلاة أو صيام وهو عند الله محرمٌ لأنه بخلاف الكتاب والسنة ، أو لأن الله لم يأمر به ولم يأمر به رسوله ﷺ .

وقد ورد في قصة الثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ، فسألوا عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا بها تَقَالوها ، فقال بعضهم :

لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا آكل اللحم ،وقال بعضهم : لا أنام على فراش ، فقال لهم رسول الله ﷺ منكرًا عليهم :

«**ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا ؟ لكني أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني**» .

أخرجه البخاري (٣/ ٢٣٧) ، ومسلم (٢/ ١٠٢٠) ، من حديث أنس - رضي الله عنه - .

فهؤلاء الصحابة - رضي الله عنهم - أرادوا الزيادة في العبادة بما لم يرد به الشرع ، بل بما قد يخالف الشرع من الرهبانية وترك الزواج ، ومواصلة الصيام ، والصلاة ، فأنكر عليهم النبي - عليه السلام - ذلك ، مع أن نيتهم فيه المبالغة في الطاعة ، وذلك لأن هذه المبالغة لا تجري وفق السنة النبوية الشريفة ، والأجساد تكل، والقلوب تمل ، فساعة وساعة ، ساعة للراحة والدعة والاستمتاع ، للتقوي على ساعة العبادة والطاعة والصوم والصلاة . =

اعتمدوا فيها على غير ما جاءهم عن رسول الله ، هؤلاء - والحق يقال -

---

= وقد ورد عن سلف الأمة ما يدل على حرصهم الشديد على عدم تجاوز هدي النبي - عليه السلام - في التزكية وإن كان ظاهر العمل صالحًا ، وليس أدلُّ على ذلك مما أخرجه ابن وضاح في «البدع» (٢٨) من طريق : أبي الزعراء عبدالله بن هانئ ، قال : جاء المسيب بن نجبة إلى عبدالله - وهو ابن مسعود - فقال: إني تركت في المسجد رجلاً يقول : سبِّحوا ثلاث مائة وستين ، قال: قم يا علقمة فاشغل عني أبصار القوم ، فجاء ، فقام عليهم فسمعهم يقولون : فقال:

إنكم لتمسكون بأذناب ضلالة ، أو إنكم لأهدى من أصحاب محمد ﷺ. وسنده حسن .

وذكر الله في نفسه حسن ، حث عليه الله تعالى ورسوله - عليه السلام - ، إلا أن ذكر الله بهذه الهيئة من الاجتماع عليه واختراع العدد له مما لم يأت به نص من كتاب أو سنة .

ولا يخالف إنسان في أن ذكر الله تعالى من أعظم طرق تزكية النفوس وتطهيرها، ولكن أنكر ابن مسعود على من خالف السنة فيه في هيئته أو عدده ، ولا اعتبار لأصل الحكم هنا ، لأن الزيادة التي طرأت عليه زيادة محدثة .

ومثل ذلك ما أخرجه ابن وضاح في «البدع» (٣٧) **بسند صحيح** ، عن عبدالله بن خباب بن الأرت ، قال: بينما نحن في المسجد ونحن جلوس مع قوم نقرأ السجدة ونبكي ، فأرسل إليَّ أبي ، فوجدته قد أحضر معه هراوة له، فأقبل عليَّ ، فقلت: يا أبه ، ما لي ؟ ما لي ؟ قال: **ألم أرك جالسًا مع العمالقة ؟ ثم قال: هذا قرن خارج الآن .**

فالأصل في قراءة القرآن الاستحباب ، إلا أن الاجتماع لقراءة سورة بعينها ، والبكاء أو التباكي لها مما لم يرد به دليل شرعي ، فحرم فعله ، ولأجل هذا =

المتصوفة؛ إن أول درجات التصوف الابتداع، وآخر درجاتهم الزندقة ، أول ما يدخل الإنسان في الصوفية أن يقوم ببعض البدع ، لأنه ما الذي يميز

= زجر خباب بن الأرت - رضي الله عنه - ابنه عنه ، وأوشك أن يعاقبه بالضرب مبالغة في الزجر ، وإرشادًا إلى عظم الإحداث في الدين وخطورته .

وأخرج ابن أبي شيبة (٥/ ٢٩٠) ، وابن وضاح (٤٠) **بسند صحيح**، عن أبي عثمان النهدي ، قال :

كتب عامل لعمر بن الخطاب إليه أنَّ ها هنا قومًا يجتمعون فيدعون للمسلمين وللأمير ، فكتب إليه عمر : أقبل بهم معك ، فأقبل ، وقال عمر للبوَّاب : أعد سوطًا ، فلما دخلوا أقبل على أميرهم ضربًا بالسوط .

قلت: فأنزل عمر بهم عقوبة الضرب زجرًا عن مخالفة السنة بالاجتماع على هذه الهيئة غير المعروفة عند السلف ، وغير المشهود لشرعيتها بنص من الكتاب أو السنة.

وعند ابن وضاح (٢٦) **بسند صحيح**، عن الأوزاعي أنه سئل عن القوم يكونون جميعًا ، فيقول بعضهم لبعض: قولوا خيرًا ، قال: **لا يفعل ، فإن أبوا عليه فليقم عنهم.**

ومن ذلك : التعبد بصيام أيام بعينها اعتقادًا لأفضلية الصيام في هذه الأيام دون ما دليل صحيح يدل عليه .

وقد أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ١٠٢) **بسند صحيح** ، عن خرشة بن الحر ، قال: رأيت عمرًا يضرب أكف الناس في رجب ، حتى يضعوها في الجفان، ويقول : **كلوا ، فإنما هو شهر كان يعظمه أهل الجاهلية .**

والأخبار في ذلك كثيرة وكثيرة جدًا .

والشاهد من هذا : أن تزكية النفوس لابد أن يسير وفق الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح ، لا وفق الأهواء والأذواق ، ولا وفق شطحات الطرقيين وخلواتهم ووساوسهم .

الصـوفي عن غيـره من أهل السنة ، أهل السنة يلتـزمون بالكتـاب والسنة وهدي السلف الصالح ، فـيمَا يختلف الصـوفي عنهم ؟ يقال: نحن أهل الكتاب والسنة ، لماذا إذًا تختصون لأنفسكم طريقًا ؟ لماذا تلتزمون بأوراد ؟ لماذا تلتـزمون بنوعٍ مـعين من الذكر ؟ وطريقـة خاصـة به ؟ لماذا تفـرقون المسلمين؟ فهذا شاذلي ، وهذا قادري ، وهذا رفاعي ، وما أشبه ذلك ؟

لا شك أن الحقـيقة البينة الناصـعة تدل على أنهم يبتـدعون في دين الله، فـلا يكتفـون بهدي رسـول الله ﷺ وهدي السلف الصـالح ، وإنما يزيدون ما استحسنوه بأنفسـهم ، وما أضافوه إلى الدين من أمور هو منها بريء ، وأمـور هي ضـلالات ، فلذلك الطرق الصـوفـية ، السلـفيـون ينكرونها جملة وتفصـيلاً ، وليست المسألة كما يتوهم البـعض إنها مسألة اصطلاح ، الصوفية هي نفس ما جاء به الإسلام من درجة الإحسان ، أو التزكية ، أو ترقيق القلوب ؟!!

○ التزكية عند أهل الأهواء «نظرية الكشف»:

هناك ضُلال أُخَـر يعتـقدون أن هناك طريقًـا لمعرفـة الغيب ولمعـرفة حقائق الأمـور عن طريق الكشف ، ولا يرجعون فيـه إلى ما جاءهم عن طريق الشـرع ، ويزهدون في التـعلم ،وبعـضهـم أحرق كـتـبه ، وقـال آخرون: أنتم تأخـذون علومكم ميت عن مـيت ، ونحن نأخذه من الحي الذي لا يموت ، وهذا الذي يُسمى نظرية الكشف من أبشع الباطل ، ومن أضل الضلال .

وهو إذا نظر فيـه الإنسان نظرة شاملة صحـيحة يجده إلغـاءً لكل ما جاءنا به الإسلام ، واستبدالاً لما جاء عن طريق الحدث والتخمين والأهواء

والنظرات الشيطانية ، وهذا خطر عظيم ما بعده خطر ، إنه كهانة يدَّعون أن الملائكة تأتيهم وتلهمهم ، وأن الله هو الذي يخبرهم ويلهمهم ، وما الدليل على ذلك ؟ ما الذي يضمن أنه وحي من الله ، أنه إلهام من الله ، وليس نزغات شياطين ، والأمور بنتائجها ، وتُعلم من آثارها أيضًا .

لا يتسع المقام في الإفاضة في ذلك ، فحسبنا أن نكتفي بهذا .

○ التحذير من الأهواء والبدع :

هذه أسس هامة ثلاثة للدعوة السلفية ، وهناك أمور أخرى تتصف بها، ومن مبادئها ، وتركز عليها ، وهي: التحذير من أمور البدع، وما دخل على الدين من المحدثات التي شوَّهت جماله ، وكدَّرت صفاءه ، وعكَّرت ما كان عليه من جمال ونقاء ، هذه المحدثات دخلت على الدين، فغيَّرت حكم الله ، وضلَّلت الناس ، فالسلفيون يهتمون بتنبيه الناس إليها ويحذرونهم منها .

والابتداع أمر ليس سهلاً ، ليست المسألة كما يقال: فرعيات ، «ايش فيها زيادة الخير خير» ، لأن حقيقة الابتداع أنه استدراك على الله عز وجل، وأنه تشريع بالرأي ، وبالعقل، هذا الأمر يقال لك يتعبد به ويتقرب به إلى الله عز وجل ، ما مستند ذلك؟ إنه الرأي والاستحسان ليس غيره، وهو ينسخ آية ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً**﴾ من أساسها وغيرها من الآيات ، مع أن الرسول ﷺ حذَّرنا من البدع كثيرًا ، وقال عليه الصلاة والسلام :

«**إياكم ومحدثات الأمور**»(١) .

---

(١) تقدَّم تخريجه ، وأما خطبة الحاجة فقد تقدَّم تخريج حديثها أيضًا (ص:٩)=

وجعلهـا في خطبة الحـاجة التي كـان يكررها كل أسبوع فـي خطبة الجمعة وفي غيرها من المجالس ، كل ذلك توكيدًا وتذكيرًا لخطورة البدع ،

= وقد تضـافرت نصوص الكـتاب والسنة على الحث على اتبـاع السنن واجتناب البدع والمحدثات والأهواء والتحذير منها .

قال تعالى ذكره :

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

وقوله عزَّ من قائل :

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾

[الأعراف: ٣].

وقوله سبحانه:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

[الحشر: ٧].

وهذا كثير في القرآن الكريم .

وعن العرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال :

صلى بنا رسـول الله ﷺ ذات يوم ، ثم أقبل علينا ، فـوعظنا موعظة بليـغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فـقال قائل : يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مودِّع ، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال:

«أوصيكم بتـقوى الله ، والسمع والطاعة ،وإن عبـدًا حبشيًـا ، فإنه من يعش منكم بعدي فـسيـرى اختلافًـا كثيـرًا ، فعليكم بسنـتي ، وسنة الخلفاء المهـديين الراشدين، تمسَّكوا بها ، وَعَـضُّوا عليهـا بالنواجذ ، وإياكم ومحـدثات الأمور ، فإن كل مـحدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة»[1] . =

(١) وهو حديث صحيح استوفيت طرقه في تعليقي على كتاب «المذكِّر والتذكير والذكر».

وبأهمية الالتزام بما جاءنا عن الله ورسوله.

ومع ذلك قد أصم أولئك الخلف آذانهم عن هذه الأحاديث البينة، وعن نصوص الكتاب الواضحة ، وأصرُّوا على البدع ، وزادوا فيها أمرًا آخر أيضًا سلبيًّا يحذر منه السلفيون وينبهون عليه ، هو تلك الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي كانت عُمدة لكثير من البدع .

○ السلفية تعني بالتحذير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة :

هذه الأحاديث شاعت لدى الناس ذكرها ، وأوردها الخطباء والمدرسون والكتاب والمؤلفون ، تجد الكتب طافحة بنسبة الأقوال إلى النبي ﷺ ، وهذه الأقوال رسول الله ﷺ براء منها ، ولا يتحرَّجون ، مع أن النبي ﷺ ينبه إلى ذلك كثيرًا ويحذِّر منه ويبين خطورته وأنه كذبٌ عليه.

«كذب عليَّ ليس ككذب على أحدكم»(1) .

ويستحل بالحديث المنسوب إلى رسول الله مما لا يصح يستحل به الحرام، ويبني به الأحكام ،وهذا أيضًا أمرٌ هام تقوم به الدعوة السلفية، وتبيِّن ما صح من الحديث وما لم يصح .

= وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت :

قال رسول الله ﷺ : **«من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»**(1) .

(1) البخاري (1/ 397) ، ومسلم في «المقدمة» (1/ 10) ، وفي الجنائز من «الصحيح» مختصرًا (2/ 643) من حديث : علي بن ربيعة ، عن المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - به .

---

(1) البخاري (2/ 112) ، ومسلم (3/ 1343)، والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًا .

وهناك مسألة أخرى لا يتسع الآن المقام لها، وهي: موقف السلفية من الدعوات الأخرى ، ولعل ذلك في موقف آخر ومجلس ثانٍ إن شاء الله ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

آخر كلمة فضيلة الشيخ : محمد عيد عباسي.

٭ ٭ ٭

○ بداية كلمة فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - :

إثنان منهما من باب التنبيه والتذكير ، وأخرى من باب التوضيح والتأكيد والبيان .

المسألة الأولى من الاثنتين :

○ نبذة عن منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - :

جاء في تضاعيف كلام الأستاذ محمد عيد عباسي أنه ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - أنه من أولئك الدعاة السلفيين، وهو كذلك بلا شك ، ولكن الواقع يشهد بأنه سلفيٌ في العقيدة، وما دمتم سمعتم شيئًا من التفصيل في كلامه عن الدعوة السلفية ، وأن منها أنها تدعو إلى اتباع الكتاب والسنة ، كلٌ حسب استطاعته ، كما سمعتم ، وأنها تُحذر من اتخاذ التقليد مذهبًا ودينًا ، مادام أن الدعوة السلفية هذا من مذهبها ، فيجب أن نعلم أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله- كان سلفيًا في العقيدة ، وله الفضل الأول من بعد شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمهم الله جميعًا - في نشر دعوة التوحيد في العالم الإسلامي

بصورة عامة ، وفي البلاد النجدية والحجازية بصورة خاصة ، يعود إليه الفضل بعد ابن تيمية ، ولذلك لعل انكبابه واجتهاده في دعوة الناس إلى هذا التوحيد الخالص المصفى من أدران الشرك والوثنية بكل التفاصيل هو الذي صرفه عن الاشتغال بإتمام الدعوة السلفية ، وذلك بمحاربة الجمود على التقليد وعلى التمذهب ، الذي صار في ما قبل زمانه وفي زمانه وفي ما بعده صار دينًا[1] .

كل من ترك التقليد نُبذ بالزيغ والانحراف ، ونحو ذلك مما ألمح الأستاذ المحاضر إليه في كلمته السابقة ، وهو من هذه الحيثية ، أي من حيث أنه كان يدعو للتوحيد دون ما سواه ، ذلك مما يتعلق بالإسلام المصفى على ما سمعتم ، يختلف عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه

(١) يشير الشيخ هنا إلى ما كان شائعًا في ذلك الوقت ، بل واستمرت آثاره حتى الآن عند البعض من التزام أهل تلك النواحي في الأحكام بالمذهب الحنبلي ، أقول: «المذهب الحنبلي»، ولا أقول : «مذهب الإمام أحمد» ، ذلك لأن كثير من المصنفات التي اعتمدت في ذلك الوقت هي مصنفات متأخري الحنابلة ، وفيها الكثير من اجتهادات هؤلاء المتأخرين التي خالفت أقوال أحمد واجتهاداته ، بل بعض هذه المصنفات تعتمد اعتمادًا كبيرًا على نقل أقوال أصحاب المذهب دون ما يؤيدها من الأدلة من الكتاب والسنة .

ويُذكر عن الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - أنه لما أعطاه الشيخ ابن إبراهيم كتاب «الإنصاف» للمرداوي في الفقه الحنبلي ، وطلب منه أن يقرأه ، قال الشيخ عبدالرزاق: «**لقد قرأته فلم أر مؤلفه ذكر النبي ﷺ من أول الكتاب إلى آخره إلا ثلاث مرات**»[1] . =

(١) «فتاوى ورسائل الشيخ عبدالرزاق عفيفي» (١/ ٥٥-٥٦).

الله- فإن هذا الشيخ الجليل قد دعا إلى الإسلام في عموم الإسلام من كل نواحيه ، أن يُفهم على الوجه الصحيح ، على التفصيل الذي سمعتموه.

فهو مثلاً يُحذِّر من الأحاديث الضعيفة ، ويُحذِّر من بناء الأحكام الشرعية عليها ، وهو إلى آخر ما هنالك من تفاصيل ذكرها الأستاذ .

بخلاف الشيخ محمد بن عبدالوهاب فلم تكن له هذه العناية لا في الحديث ولا في الفقه السلفي ، فهو من الناحية المذهبية حنبليٌّ ، ومن الناحية الحديثية كغيره ، فليس له آثار في الفقه تدلنا على أنه كابن تيمية

= بل وللأسف الشديد - تغلغل التقليد لبعض أئمة المذهب فيما أخطأوا فيه من مسائل الاعتقاد ، كما وقع لأبي يعلى القاضي وابن قدامة من الخوض في التفويض، واعتذر عنهم البعض الآخر بأعذار بعيدة .

والشاهد من هذا : أن السلفية تعني في عمومها وخصوصها بـ«الإسلام» كله، فهي لا تعني بـ«العقيدة» دون «الفقه والأحكام» ، فهي طريقة غرَّاء تتناول «الإسلام المصفى» كما جاء به النبي ﷺ ، وكما تعلمه الصحابة والسلف - رضوان الله عليهم- .

وهذا الكلام من الشيخ الألباني في بيان منهج شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - لا يُعدُّ انتقاصًا منه ، ولا نيلاً من طريقته ومنهجه، بل هو تنبيه ونصح ينتفع به الطلاب وعموم الناس على حدٍّ سواء.

(١) ولذا فإن ما وُرِثَ عنه في «الحديث» مختصر من كتاب «المحرر» لابن عبدالهادي، كما ألمح إليه شيخنا محمود الطحان - حفظه الله - قديمًا حينما كان محاضراً بالمملكة السعودية ، ولم يُحتمل منه مثل هذا الكلام آنذاك تعصبًا ومذهبية.

وغالب آثار الشيخ في مسائل الاعتقاد ، وأكثرها فيما يتعلق بالإنكار على بدع الطرقيين وأهل الأهواء من القبوريين من التوسل ، والذبح والدعاء والنذر لغير الله، وما إلى ذلك من البدع التي كانت منتشرة في تلك النواحي وفي تلك الأوقات. =

سلفي المنهج في التفقه في الدين[1] ، لعلَّ له في ذلك عذرًا كما ألمحنا إليه آنفًا ، وكذلك في الأحاديث فهو كغيره مع الأسف الشديد لا معرفة عنده بالحديث الصحيح والضعيف ، ومن الأدلة التي تدلنا على هذا أن له رسالة مطبوعة متداولة عند أتباعه النجديين حتى اليوم اسمُها «**آداب المشي إلى المسجد**» ، وقد أورد في مطلع هذه الرسالة الحديث المعروف عند السلفيين عامة إلا القليل منهم بضعفه ، وأورد الحديث المعروف بضعفه عند عامة السلفيين ، وهو حديث أبي سعيد الخدري .

والذي أخرجه الإمام ابن ماجة في «سننه» من طريق: الفضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي.والسعدي أيضًا ، ولكن مشهور هو بالعوفي أكثر ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري قال:

كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته إلى المسجد قال:

«**اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا...**»[1] إلى آخر الحديث .

= وقد كان الشيخ بحق مدافعًا قويًا عن العقيدة السلفية المتعلقة بتلك المظاهر الشركية، ولعل انتشارها الواسع كان سببًا مباشرًا في بذل الشيخ كامل جهوده في إبطالها والدعوة إلى ما يخالفها من السنة دون الاهتمام بنفس القدر بالدعوة إلى اتباع المنهج السلفي في «الأحكام» لتكون دعوة متكاملة إلى «الإسلام المصفى» ، بخلاف شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فإنه سار في دعوته على منهج الشمولية في الدعوة إلى اتباع منهج السلف الصالح في كافة نواحي الدين ، عقيدة ، وفقه، وسلوكًا ، وعلمًا ،و استدلالاً .

(١) هذا الحديث أخرجه أحمد (٣/ ٢١)، وابن ماجة (٧٧٨) ، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٤٢) ، والطبراني في «الدعاء» (٤٢١) من الطريق المذكور. =

فهو أولاً : ورده دون أن ينبه إلى ضعفه ، وأن فيه علتين اثنتين، لو أن واحدة منهما استقلت لنهضت بتضعيف الحديث، فكيف بالعلتين معًا؟!

وثانيًا : أن ظاهر هذا الحديث يخالف ما كان يدعو إليه من عقيدة ومن إخلاص التوحيد والدعوة إلى الله عز وجل ، وهو التوسل بالمخلوقين، فهو كابن تيمية وككل سلفي بصير في سلفيته ودعوته يحارب التوسل إلى الله بعباد الله عز وجل ، وفي هذا الحديث وفي ظاهره التوسل إلى الله بحق السائلين وبحق هذا العبد الذي يمشي إلى طاعة الله وإلى عبادته ، أقول هذا غير ناسٍ أن الحديث لو صح لأُمكن تأويله كما كنت ذكرت في بعض مؤلفاتي ، لكن موضع الشاهد في هذا أنه أورده في أدبٍ من آداب المسجد إذا خرج المسلم من بيته فعليه أن يدعوا بهذا الدعاء، وهو حديث ضعيف[1] .

= وعطية العوفي ضعيف صاحب مناكير ، لا سيما فيما يرويه عن أبي سعيد، وقيل: كان يروي عن أبي سعيد وهو الكلبي المتكلَّم فيه.

وقد توسعت في الكلام على الحديث في كتابي «هدم المنارة» (ص: ١٤٠) بما يغني عن الإعادة هنا .

(١) على أنه من الإنصاف بمكان أن لا نحكم على الشيخ - رحمه الله - بمثال واحد أو بعدة أمثلة ، فليس من شرط العالم أن لا يُخطئ ، وقد يكون الشيخ - رحمه الله - قد اغتر بتحسين بعض أهل العلم للحديث كالحافظ الدمياطي ، والحافظ ابن حجر ، فتأوله بتأويل سائغ يوافق عقيدة السلف بعيدًا عن التوسل المذموم، فمن هذا الوجه أورده في جملة آداب المشي إلى المسجد وذكره ضمن أدعية الخروج إليه ، لا سيما وقد ساقه موضع الحجة لشواهد أخرى في المتن غير شاهد الاستدلال للتوسل إمام الأئمة ابن خزيمة في «التوحيد» والطبراني في «الدعاء» =

فـهذا يدل على أن شـيخ الإسلام الثـاني في التوحـيد مـحمـد بن عبـدالوهاب ليس كشيخ الإسـلام الأول من حيث أنه كان سلفـيًا في كل الدعوة ، في كل نواحي الـدعوة بحالاتهـا الكثيرة ، هذه الناحـية الأولى أردت التنبيه عليها ، وهذا طبعًا من باب إعطاء كل ذي حقٍ حقه .

نحن بلا شك لا يسـرنا أبدًا أن ينال أحـدٌ من الشـيخ مـحمـد بن عبدالوهاب كما يفعل أعداء الدعوة وأعـداء التوحيد ، حيث يتهمونه بكل ما يُتَّهم به السلفيون بكل بلاد الدنيا ، ولكن هذا لا يحملنا على الغلو في إعطاء كل شخصٍ من حملة الدعوة السلفية ما ليس فيه ، فيجب أن نفرِّق بين ابن تيمـية وبين محمـد بن عبدالوهاب ، ونعطي كل ذي حقٍ حـقه، ومن أجل هذا قلت ما قلت،وإلا فشيخ الإسلام مـحمد بن عبدالوهاب له منزلته في الدعوة عندنا بعد شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى-[1] .

= وإن كان الأولى -بل الواجب-تنزيه المصنفات عن مثل هذه الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة، وإن وافقت العقيدة السلفية الصحيحة،ففي الصحيح غنية عن الضعيف

(١) **وهذه هي إحـدى حسـنات هذه الدعـوة المباركـة** : الإنصاف في الحكم على الأشخاص وفق معاييـر الكتاب والسنة وهدي السلف ، ولا تجد في دعوةٍ أخرى من الدعـوات إلا المحـاباة لأفرادهـا وللمنتـمين إليـها ، وغض الـطرف عن أخطائهم، والسكوت عن زلاتهم ، بل الحـرص أشـد الحرص عـلى إخفـائهـا ، وأما الدعـوة السلفية فمن ركائزها الإنصاف والحيادية في الحكم على الأشخاص ، وبيان الأخطاء أو التجاوزات وإن كان لأحد المنتسبين إليها بعيدًا عن التعرض للأشخاص ، بل بيانًا للحق والصواب والهدى والنور المبين ، مع حفظ القـدر والمكانة لكل أحدٍ بعيدًا عن المبالغة في النقد والاعتراض ، فهي وسطية حميدة حكيمة.

○ تنبيه مهم على كلام الشيخ العباسي والكلام على صفة الحكمة للرب :

التنبيه الثاني : جاء في كلام الأستاذ محمد عيد عباسي ، جاء في صدد تحدثه عن توحيد الربوبية ، وأن هذا التوحيد يعتقده جماهير الناس والأمم حتى المشركين ، وهذا كلامٌ حق، ولكن جاء في أثناء كلامه بأنهم يعتقدون في الله أنه خالق مدبر حكيم ، فأنا أريد أن أُلفت النظر ، ولي هدف غير الهدف الظاهر من كلمته هذه ، قوله: إن المشركين كانوا يعتقدون أن لهذا الكون خالقًا مدبرًا ، ووقف إلى هنا ، لكان الكلام مسلَّمًا ، ولكنه أضاف إلى ذلك وصفًا وصفة حقٍ لله تبارك وتعالى ، ولكنه نسب إلى الكفار أنهم يعتقدون بالله هذه الصفة أيضًا وهي أنه حكيم، ومن المؤسف أن أقول وهذا هو الشيء الآخر الذي أرمي إليه بهذا الكلام، أن اعتقاد أن الله حكيم ليس فقط مما لا يعتقده المشركون الذين كانوا يشركون في توحيد الألوهية ، وفي توحيد الصفات كما سمعتم شيئًا من التفصيل في ذلك ، ليس المشركون هؤلاء وحدهم كانوا لا يعرفون الله حكيمًا ، يعرفونه خالقًا مربيًا مدبرًا ، أما أنهم يعرفونه حكيمًا ، فلا .

ولكن مع الأسف الشديد هناك جماهير المسلمين اليوم لا يعتقدون هذه الصفة لله رب العالمين ، هذا ما أردتُ التنبيه عليه ، يعني وصف المشركين بأنهم يعتقدون بأن الله حكيم هذا خطأ ، لأننا نعلم أن هذه الحكمة هي في كثير من الأمور إيمانية ، ومن أجل ذلك شك في هذه الصفة بعض الطوائف الإسلامية ، بعض المذاهب الإسلامية ولا أكتم الحق ولذلك أقول إن كتب الأشاعرة طافحة بأن الله عز وجل لا يوصف بأنه حكيم ، مع علمهم بأن هذا الاسم الكريم مذكور في القرآن الكريم،

ولكنهم يتـأولون هذا الاسم حكيم ، بأنه من الحُكْمِ وليس من الحكـمة ، فهـو حكيم على وزن فعـيل ، بمعنى فاعل ، أي أنـه حاكم[1] ، أما أنه حكيم بمعنى أنه يصنع الشـيء في محله مقـرونًا بالحكمة فـلا ، وهذا مع الأَسف الشديد لا أقـول إنِ الأشاعرة لا يؤمنـون بهِ بل يصرحون بنفـيه ، وكتبهم طافحة بذلك وشبهاتهم معروفة .

---

(١) قال العلامة الـهرَّاس - رحمـه الله - : «ومن أسمـائه الحسنـى سبحـانه: (الحكيم) ، وهو إما فعيل بمعنى فـاعل ، أي: ذو الحُكْم ، وهو القضاء على الشيء بأنه كذا أو ليس كذا ، أو فعيل : بمعنى مفعل ، وهو الذي يُحْكِم الأشياء ويتقنها ، وقيل: الحكيم ذو الحكمة ، وهي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم» .

«شرح النونية لابن القيم»(٢/ ٧٥) .

وقد ورد في القرآن الكريم اسم الرب تعالى : «**الحكيم**» في مثل قوله:

﴿**وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام:١٨].

كما ورد في «السنة» اسمه الآخر: «**الحكَم**» في حديث هانئ بن يزيد ، مرفوعًا: «**إن الله هو الحكَم ، وإليه الحُكم**»[1] .

ويشهد له قوله تعالى : ﴿**أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا**﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقوله عز من قائل : ﴿**فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾ [الأعراف: ٨٧]

فَدَلَّ ذلك على أنه تعالى الحكيم ذو الحكمـة ، والحاكم الذي يحكم بين العباد ، والحكم، تعالى ربنا عن تعطيل المعطلين وتأويل المتأولين .

---

(١) انظر: «صحيح سنن أبي داود» (٤١٤٥) ، و«صحيح سنن النسائي» (٤٩٨٠).

وانظر كتـاب أخينا الفاضل الشيخ علوي السـقاف «صفات الله عـز وجل الواردة في الكتاب والسنة» (ص:١٠٣و١١٦) .

لأنهم يتساءلون فيقولون ما الحكمة من تأليم وتعذيب الأطفال؟ أين الحكمة في تأليم الأطفال ؟ أين الحكمة في تعذيب الحيوانات ؟ .

لا شك أن المسلم المؤمن بحكمة الله عز وجل يقول: والله قد لا أدري ما الحكمة في تأليم الأطفال ؟ وإن كان بعض علماء التوحيد المؤمنين بهذا الاسم «حكيم» وبمعناه الصحيح يحاولون أن يوجدوا حكمة ظاهرة في تأليم الأطفال وتعذيب الحيوانات ، ولكن أنا في اعتقادي ليس كل مسلم يستطيع أن يستكشف الحكمة الإلهية في كل التصرف الإلهي ، ولذلك فلابد في النهاية من الإيمان ، الإيمان الذي هو الشرط الأول في وصف المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب ،ويقيمون الصلاة ، فالإيمان بالغيب هو الفصل الحق بين المؤمن الصادق والمؤمن الكاذب ، فإذا نحن عرفنا الله عز وجل أنه وصف نفسه بأنه حكيم ، فيجب أن نؤمن سواء أن ظهرت لنا الحكمة أو لم تظهر[1] ، على أن حكمة العليم الحكيم واضحة بينة في كثير من هذا الخلق المشهود ، لا سيما المتخصصين في دراسة نظام هذا الكون ، لكن تبقى هناك أمور قليلة تخفى الحكمة فيها على كل الناس أو جلِّ الناس أو أقل الناس ، فما الذي يمنعنا أن نقول ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾؟

عَجْزُ الأشاعرة عن أن يقفوا على الحكمة في بعض تصرفات الله عز وجل فيما يخلق ، حَمَلَهم إلى انحرافٍ عن هذا النص القرآني ، فيقول

---

(١) وهذا معنى قول السلف في الاعتقاد والصفات والغيبيات: «التسليم والتصديق» ، «ولا يُقال: لِمَ ، ولا يُقال: كيف» ، وكما تقدَّم النقل عن ابن عيينة - رحمه الله - قال: **كل ما وصف الله تعالى به نفسه في القرآن ، فقراءته تفسيره ، ولا كيف ، ولا مثل** .

الله : ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ فمعنى ذلك بأنه لا يُسأل عما يفعل ، لأنه يفعل ما لا حكمة فيه ، يفعل ما لا عجز فيه؟! فعال لما يريد يعني كأي جبار من جبابرة الأرض يتصرف في حدود جبروته دون أن يتقيد بعدلٍ أو بحكمة هكذا ؟! وهم يقولون ليس كمثله شيء ويغالون في ذلك حتى نفوا عنه الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه ، ووصفه بها نبيه في حديثه ، مع ذلك يتأولون هذه الصفات، لماذا؟ قال : تنزيهًا لله رب العالمين ، ثم ينسون هذا كله فيصفون الله عز وجل بمثل ما يصفون به الجبابرة ، إنه فعال لما يريد بدون عدلٍ وبدون حكمة!

○ **تناقض الأشاعرة وتهافت حججهم :**

ومن هنا توصلوا إلى التصريح بقولهم في عقيدة «الجوهرة» المشهورة عند الأشاعرة : «لله تعذيب الطائع ، وإثابة العاصي» وشرح هذا عند بعضهم - مما لا يستحي ولا يخجل - أن الله تبارك وتعالى عما يقولُ الظالمون علوًا كبيرًا ، له أن يدخل محمدًا - عليه الصلاة والسلام - وأن يلقيه في الدرك الأسفل من النار ،مكان إبليس الرجيم ، وأن يرفع إبليس الرجيم ويجعله في الدرجة الوحيدة التي قال الرسول - عليه السلام- : «**أرجو أن أكون أنا هو**»(١) في الحديث المعروف لديكم جميعًا .

قالوا هذا في كتبهم : له إثابة العاصي ،وتعذيب الطائع ، فلماذا لا يعذب الحيوان ؟ ولماذا لا يعذب الطفل الذي لا يعرف الطاعة من المعصية وهم يقولون لله أن يعذب الطائع وأن يدخل الرسول في الدرك الأسفل من

---

(١) مسلم (١/ ٢٨٨) من حديث عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - .

النار ويرفع إبليس في أعلى درجات الجنان؟! قالوا هذا صراحة، من أين أخذوا هذا ؟ من إطلاقات الآيات الكريمة: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ بمعنى أن لا عدل عنده؟ حاشا لله، هل فعالٌ لما يريد بمعنى لا حكمة عنده ؟حاشا لله.

○ طريقة أهل السنة في الاستدلال:

ولذلك يجب كما نقول دائمًا وأبدًا كل مسألة يجب أن تُضَم النصوص فيها بعضها إلى بعض، وتؤخذ الخلاصة من مجموع هذه النصوص.

﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ إنما يريد الله عز وجل من هذا النص وأمثاله أن لا أحد يستطيع أن يحول بينه وبين ما يريد أن يفعله، ولكن هذا ليس معناه أنه ليس بحكيم، وليس بعادل، كيف والله عز وجل يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ الجبابرة من العبيد قد يفعلون هذا كما هو الواقع اليوم المشاهد، يرفعون السفلة المجرمين في وظائف وفي منازل رفيعة جدًا، ويعكسون فيضعون الناس الصالحين في وظائف يستطيع أن يقوم بها الأطفال الصغار، هذا شأن الجبابرة.

إن الله عز وجل الجبار بحق، والحكيم العليم، هو منزه عن كل شيء ينافي صفة الكمال في الله تبارك وتعالى، هذا ما أردت التنبيه عليه، وأنا أريد كما قلت أن أرمي عصفورين بحجر واحد، العصفور الأول: أن لا نصف الكفار بأنهم كانوا يعتقدون بأن الله حكيم، لأن هذا بعض المسلمين ما آمنوا به مع أن الله عز وجل أنزل هذه الصفة في القرآن الكريم، والعصفور الثاني: إلفات النظر إلى أهمية الدعوة السلفية التي

تدعو المسلمين جـميعًـا إلى الرجوع إلى الكتـاب والسُنة دون انحراف إلى الأخذ بأقوال علماء الكلام ففي علماء الكلام ما هو إلحاد وكفر[(١)] ، وهذا مثاله قد جاءكم من بـاب التحذير عن وصف الكفار بأنهم يؤمنون بأن الله في الوقت الذي يقولون بأن الله خـالق ومدبر للكون يؤمنون بأنه حكيم ، هذا إذا آمن به المسلمون ، فهذا هو واجبهم ، لأن الله ذكر لهم في القرآن أن الكفار الذيـن لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخـر . . إلخ ، فلا يمكن أن يؤمنوا بأن الله حكيم لأن حكمتـه تخفى في كثيـر من الأمور ، من أجل ذلك وقعت الأشاعرة في هذا الانحراف الخطير .

---

(١)ولذا فقد ورد عن الأئمة التحذير من الكلام وأهله،واتفقت كلمتهم على ذلك .

فقد قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - :

لأن يُبتلى العبـد بكل ما نهى الله عنه سـوى الشرك ؛ خـير له من الكلام ، ولـقد اطَّلعت من أصحاب الكلام علي شيء ما ظننت أن مسلمًا يقول ذلك.[(١)]

وقـال - رحمـه الله - : **حكمي في أصحـاب الكـلام أن يُضـربوا بالجـريد ، ويُحملوا على الإبل ، ويُطاف بهم في العـشائر والقبائل ، ويُنادى علـيهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأخذ في الكلام**[(٢)] .

وقال الإمام مالك - رحمه الله - :

الكلام في دين الله أكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه[(٣)] . =

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي» (ص: ١٨٢) **بسند صحيح** .

(٢) أخـرجه البـيهـقي في «مناقب الشـافعي» (١/ ٤٦٢) ، والخطيب في «شـرف أصحـاب الحديث» (١٥٥)، **وسنده صحيح** .

(٣) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٩٤) **بسند صحيح** .

○ مزية الدعوة السلفية على باقي الدعوات:

المسألة الثالثة: وهي في الواقع - كما قلت - زيادة بيان لبعض ما جاء في كلام الأخ ، الدعوة السلفية تلتقي مع الدعوات الأخرى كلها قديمها وحديثها مما يحُوم دعاتها في دائرة الإسلام كلهم يلتقون في كلمة سواء ، وهي أنهم يرجعون إلى الكتاب والسنة ، فالدعوة السلفية من هذه الحيثية لا مزية لها على سائر الدعوات ، خاصة ما كان منها قائمًا في العصر الحاضر اليوم ، ولكن إنما تتميز الدعوة السلفية في هذا المجال الذي يدندن الجميع حول الكتاب والسنة أنهم يدعون إلى فهم الكتاب والسنة

= وقال الإمام أحمد - رحمه الله - :

الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه، لا يكون صاحبه إن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة حتى يدع الجدال ويؤمن بالآثار(١) .

وقال - رحمه الله - في رسالته إلى الخليفة المتوكل:

ولست بصاحب كلام ، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله عز وجل ، أو في حديثٍ عن النبي ﷺ ، أو عن أصحابه ، أو عن التابعين ، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود(٢) .

وقال أبو يوسف القاضي :

كان يُقال : من طلب الدين بالكلام تزندق ، ومن طلب غريب الحديث كذب، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس(٣) . =

(١) «رسالة عبدوس العطار» عنه (ص:٥١) .

(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٢/ ١٣٩) .

(٣) أخرجه اللالكائي (٣٠٥) ، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (٢) ، وأبو القاسم الأصبهاني في «الحجة» (١/ ١٠٥) **بسند لا بأس به** .

على منهج السلف الصالح ، لا يكتفـون فقط بدعوة المسلمين إلى الرجوع إلى الكتـاب والسُنة ، بل يزيدون على ذلك الرجـوع إلى الكتـاب والسُنة على منهج السلف الـصالح ، لأن هذه الفـرق الكثـيرة التي أشـار إليهـا الرسول - عليه السلام - إشارة عابرة فـي حديث الفرق الثلاث وسبعين، قال عنها : «**كلها في النار إلا واحدة**» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**هي مـا أنا عليـه وأصحـابي**» وفي الرواية الأخـرى ، وهي أصح، قال: «**هي الجماعة**» ، وفي الحديث الآخر:

«**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**»[1] إلى آخر الحديث.

فنجد هنا في الحديثين تنبيهًا إلى هذا القيد الذي يتمسك به السلفيون من بين سائر الدعـاة ، كتاب وسنة ، وفهم عـلى منهج السلف الصالح، لأن الرسول - علـيه الصلاة والسـلام - ما قـال: ما أنا علـيـه فقط ، إنما قال: «**وأصحـابي**» ، ما قـال :عليكم بسنتي فـقط ، وإنما قال: «**وسنة الخلفـاء الراشدين من بعـدي**» وهذا في الواقع اقـتباس من القـرآن الكريم كمثل قول ربِّ العالمين :

= وقال الحافظ ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٥/ ٩٥) :

«أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يُعدون عند الجميع في جميع الأمـصار في طبقات العلماء ، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه ، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم» .

وقال البغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٦) :

«اتفق علمـاء السلف من أهل السـنة على النهي عن الجـدال والخصـومـات في الصفات ، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام وتعلمه» .

وأما أقوال أهل العلم المتناثرة في ذلك فكثيرة.

(١) تقدَّم تخريجهما .

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] .

فالله عز وجل قال: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لماذا جاء بهذه الجملة ، هذه الجملة بيانية خطيرة جدًا كان يكفي أن يقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ ، ولكنه أضاف إلى مشاققة الرسول قوله عز وجل: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، ومنهج السلف الصالح الذي سمعتم عنه في الكلمة السابقة ، لذلك يقول ابن القيم تأكيدًا وبإشارة عابرة سريعة إلى هذا القيد في فهم الكتاب والسنة، يقول :

العلم ، قال الله قال رسوله

كما يقول جماهير المسلمين ، وإنما أضاف :

قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فقيه

كلا ولا جحد الصفات ونفيها حذرًا من التعطيل والتشبيه

أريد باختصار أن الدعوة السلفية تدندن في جملة ما تدندن حوله فهم الكتاب والسُنة على منهج السلف الصالح ، ومن هنا تأتيهم العصمة من الوقوع في العقائد التي تكلم عنها علماء الإسلام وأنها انحرفت عن الجادة كالمعتزلة وكالمرجئة وكالجبرية ونحو ذلك، ومن الأفكار الحديثة اليوم التي يتكلم بها ويسطرها كثير من الكتاب الإسلاميين باسم الإسلام وهي ليست من الإسلام في شيء ولا يمكن لأحد من أهل العلم أن يعرف ذلك إلا إذا كان متمكنًا بالكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، وهذه ذكرى والذكرى تنفع المؤمنين، وبهذا القدر كفاية، والحمد لله رب العالمين .

✷ ✷ ✷

فهرس الموضوعات

* * *